المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

معهد البحوث العلمية

مركز بحوث اللغة العربية وآدابها

مكة المكرمة

سلسلة بحوث اللغة العربية وآدابها

قراءات في السيرة النبوية

صلى الله عليه وسلم

ذخیرۂ پروفیسر محمد اقبال مجددی
جو 2014ء میں پنجاب یونیورسٹی لائبریری کو
ہدیہ کیا گیا۔

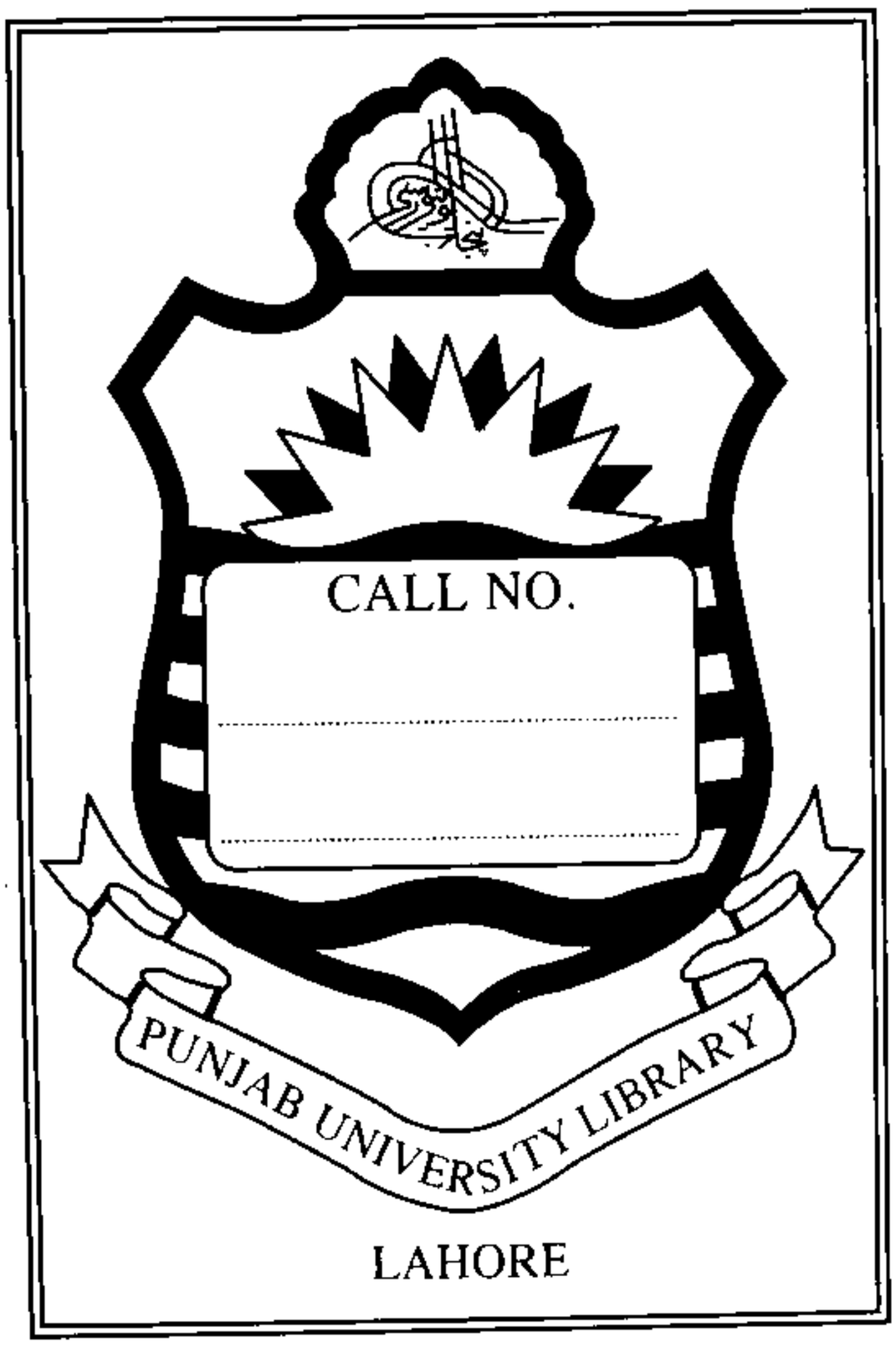

المملكة العربيـة السعودية
وزارة التعلـيم العـالى

جامعة أم القرى

معهد البحوث العلمية
مركز بحوث اللغة العربية وآدابهـا
مكة المكرمـــة

سلسلة بحوث اللغة

وِرَاءَاتُ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَظَوَاهِرُهَا اللُّغَوِيَّةُ

135401

ح جامعة أم القرى ، ١٤١٨ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

سالم ، مصطفي عبدالحفيظ

قراءات للنبي صلى الله عليه وسلم وظواهرها اللغوية . ـ مكة المكرمة .

١٩٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٣ ـ ٣٦٤ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

١ ـ القرآن ـ القراءات والتجويد ٢ ـ الحديث ـ مباحث عامة أ ـ العنوان

ديوي ٢٢٨ ١٨/٣٨٦٥

رقم الإيداع : ١٨/٣٨٦٥

ردمك ٣ ـ ٣٦٤ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

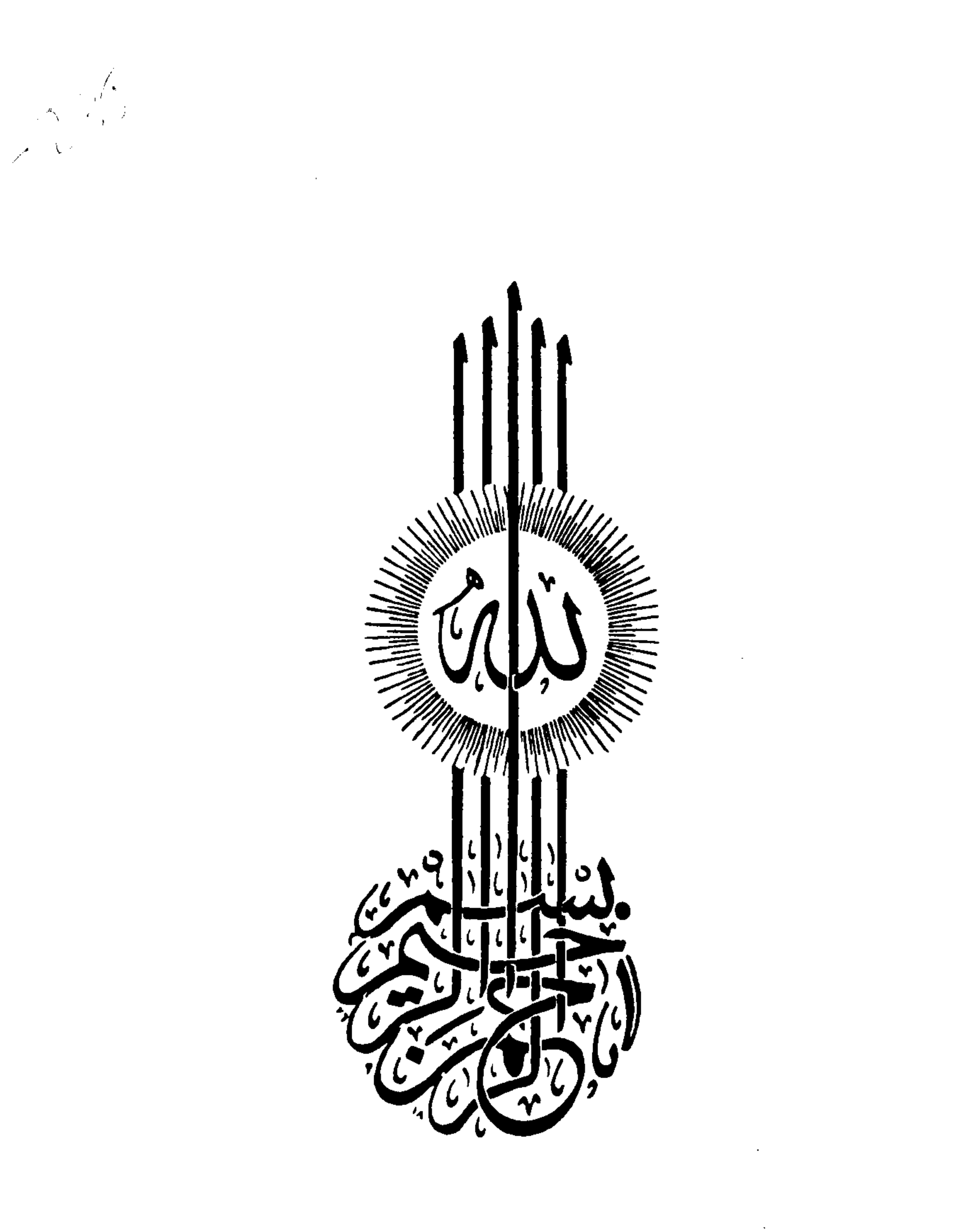
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة تمهيدية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبى العربى الأمين ، سيدنا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن هَدَى هَدْيَه إلى يوم الدين .

وبعـــــد

فقد أُنزل القرآن الكريم على سبعة أحرف كلها كاف شاف ، توسعةً من الله على عباده ، ورحمةً بهم ، وتخفيفاً عليهم .

وإنما كـان ذلك حين سـأل النبى ﷺ ربه التـخـفـيف عـن أمـتـه ؛ لعلمه بماهم عليه من اختلاف اللغات ، وصعوبة مفارقة العادات ، واعتزاز العربى بلغة قـومـه ، وتمسكه الشـديد بلهـجتـه ، فكان أن يسـر الله عليـهم ، وأقـرهم على ماألفته ألسنتهم ، واستقرت عليه طبائعهم وعاداتهم فى الكلام ، فأتى جبريل النبىَّ ﷺ فقال : « إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك على سبعة أحرف ، فمن قرأ منها حرفا فهو كما قرأ » (١) .

والنبى ﷺ من أوسط العرب نسبا ، وأفضلهم حسبا ، وأفصحهم لسانا ، وأعربهم بيانا ، وأعذبهم منطقا ، وقد أنزل القرآن عليه ﴿ بِلِسانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٍ ﴾ (٢) ﴿ كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) جامع البيان ٣٩/١ والمصنف ٥٦٥/١٠ والأحرف السبعة للقرآن ، للدانى ١٤ وفضائل القرآن لابن كثير ٤٩ .

(٢) سورة الشعراء آية ١٩٥ .

(٣) سورة فصلت آية ٣ .

فقرأ النبي ﷺ وأقرأ الصحابة على السبعة الأحرف ، وأمرهم أن يقرئوا الناس عليها .

ولما تنازع بعض الصحابة مع رجل أقرأه رسولّ الله ﷺ على حرف منها ، وأحضره أمام النبي ﷺ فقال : « إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، بأي ذلك قرأتم أصبتم ، فلاتَمارَوا في القرآن ، فإن مِراءً فيه كفرٌ » (١) .

وقد روي عن النبي ﷺ حديث لو أنه صح لتغيرت كثير من المفاهيم نحو مصطلح « القراءات الشاذة » وهو : ماروي عن حذيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها » أي : على مذاهبها وطباعها في الكلام ، كما فسره أبو عمرو الداني (٢) .

وهذا الحديث ذكره أبو عبيد ، والطبرانى ، والبيهقى ، والتبريزى (٣) ، غير أن بعضهم أنكره ؛ لضعف بعض رجاله . وليس من موضوع بحثنا الخوضُ فى هذا الأمر ؛ فقد أشبع درسا وبحثا ، وإنما ذكرته ؛ لما رأيت في قراءات النبى ﷺ على لغات القبائل مايحتمل معه صحته ، وقد استشهد الدانى (٤) على ورود التوقيف عن النبى ﷺ بأنواع الظواهر المختلفة فى الأحراف السبعة بهذا الحديث ، ورواه من طريقين .

---

(١) فضائل القرآن لأبى عبيد (٧١٩) وفتح البارى ٢٦/٩ والمسند ٢٠٤/٤ ، ٢٠٥ والأحرف السبعة للدانى ١٧ .

(٢) الأحرف السبعة للقرآن ٤٤ .

(٣) انظر فضائل القرآن لأبى عبيد ح (٢٣٢) وميزان الاعتدال ٥٥٣/١ والعلل المتناهية لابن الجوزى ١١١/١ ومشكاة المصابيح ٦٧٥/١ ومجمع الزوائد ١٦٩/٧ .

(٤) الأحرف السبعة للقرآن ٣٢ .

وقد مثلت قراءات النبى ﷺ ـ فى القدر الذى وقفنا عليه ـ أهم مظاهر الاختلاف بين لهجات القبائل العربية ، كظاهرة التماثل بأنواعها : بين الصوائت وأنصاف الصوائت ، فى نحو قراءته ﷺ « فَمَنْ تَبِعَ هُدَىَّ » ، « ومَحْيَىَّ » و « بُشْرَىَّ » .....إلخ ، وسيأتى بيانه مفصلا .

وقد عبرت هذه القراءة عن لغة هذيل ، وطيىء ، وبعض قريش ، وحمير ، وغيرها .

وكذلك مثلت أحدَ المعالم اللهجية التى اشتهرت بها القبائل النجدية ، وهى : الإمالة ، وفى خبر قراءته ﷺ على هذه الظاهرة مايدل على أنه كان يعمد إلى ذلك عمدا ، فقد روى أنه ﷺ قرأ : « يَايَحْيِى خُذِ الْكِتَابَ بُقُوَّةٍ » (١) بالإمالة ، فقيل له : أتُميل ، وليس هى لغة قريش ؟ فقال : « هى لغة الأخوال » يعنى بنى سعد (٢) .

وماقرأ ﷺ على هذا إلا وهو يعلم أن الصحابة سيقرأون بقراءته ، وقد قرأ أهلُ بيته رضوان الله عليهم بقراءته ، فقرأ عَلِىّ « رَأِى كَوكَبِا » بالإمالة (٣) وذكر ابن عباس أن فاطمة رضى الله عنها كانت تقول لجاريتها فضة : « اسقنى مِا » فرققت وأمالت ولينت فتركت الهمز .

---

(١) سورة مريم آية ١٢ .

(٢) الكامل فى القراءات الخمسين للهذلى لوحة ٨٢ .

(٣) السابق

وكانت هذه القراءة صدى لتلك الظاهرة فى قبائل تميم ، وقيس ، وأسد ، وهوازن ، وبكر بن وائل ، وسعد بن بكر ، وأكثر أهل اليمن ، وبعض أهل الحجاز ، كما سنفصله بعد .

وكذلك بدت فى قراءاته ظاهرة المماثلة بين الصوامت « الإبدال » وذلك فى قراءته : « والنخلَ باصقاتٍ » (١) و « فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ » (٢) وهى مظهر فى لهجات تميم ، وبلعنبر ، وأهل العالية ، وهوازن ، وقريش ، وبنى سُليم ، وهذيل ، وهم خليط من القبائل البدوية ، والقبائل الحضرية ، مما يدل على عدم قطعية قوانين بعض المحدثين في ميل القبائل البدوية إلى التفخيم ، وميل القبائل الحضرية إلى الترقيق.

وأيضا فقد عبرت قراءاته ﷺ عن ظاهرة التبادل بين الحركات القصيرة فى اللهجات المختلفة ، كالتناوب بين الفتح والكسر فى فاء الاسم ، نحو « السَلم » و « السِّلم » فى قوله تعالى ﴿ ادْخُلوا فِي السِّلْمِ كافَّةً ﴾ (٣) فقد قرأ ﷺ : « فى السِّلم » بالفتح ، وفى قوله تعالى ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ (٤) قرأ « لَلسِّلْمِ » بالفتح والكسر .

وكذلك فى التناوب بين الفتح والكسر فى عين الفعل ، فى قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُهم الْجاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ (٥) قرأه ﷺ « يَحْسِبُهم » بكسر السين ..... الخ .

---

(١) سورة ق آية ١٠ .

(٢) سورة القمر آية ١٥ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٠٨ .

(٤) سورة الأنفال آية ٦١ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٧٣ .

وأيضـا بين الفتح والكسر فى حرف الجواب « نعم » والظرف « قبل » وقد قرأ ﷺ « قالوا نَعِمْ » (١) بكسر العين ، « وجاءَ فِرعونُ ومَنْ قِبَلَهُ » (٢) .

ودلت الدراسة على أن التفسيرات الصوتية لمثل هذه التناوبات أكثر عملية وواقعية من التفسيرات المبنية على أساس الظواهر اللهجية ، وأن أكثر القراءات القرآنية غير معبر عن المظاهر اللغوية فى البيئات الأصلية للقراء .

وكذلك فى التناوب بين الحركات القصيرة فى فاء الكلمة ، بين الفتح والضم فى « الضَّعف » و « الضُّعف » و « الشُّرب » و « الشَّربِ » وقد قرأ ﷺ « مِن ضُعْفٍ » (٣) بالضم فى الثلاثة ، وعلى العكس من ذلك قرأ « شَرْبَ الهِيمِ » (٤) بالفتح ، ونحو هذه القراءات ، مما يحول دون اطراد المقاييس التى تعلق بها بعض المحدثين فى تفسير الظواهر اللغوية على أساس الفصل بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، أو البدوية ، والحضرية .

كما تمثلت فى قراءات النبى ﷺ ظاهرة زيادة الحركة وحذفها ، وذلك فى العلاقة بين « عُذُر » و « عُذْر » و « نُذُر » و « نُذْر » و « خُضُر » و « خُضْر » بإثبات الحركة وحذفها ، وقد قرأ ﷺ « عُذْراً أَوْ نُذْراً » (٥) وقرأ أيضا « عَلَى رَفْرَفٍ خُضُرٍ » (٦) .

---

(١) سورة الأعراف آية ٤٤ .

(٢) سورة الحاقة آية ٩ .

(٣) سورة الروم آية ٥٤ .

(٤) سورة الواقعة آية ٥٥ .

(٥) سورة المرسلات آية ٦ .

(٦) سورة الرحمن آية ٧٦ .

وقد دلت دراسة هذه الظاهرة على جنوح أهل الحجاز إلى المقاطع المتتابعة الحركات ، أو المفتوحة ، وحرصهم على تمكين الصامت بتحقيق حركته وإشباعها، على العكس من أهل نجد الذين يجنحون الى المقاطع المغلقة ، أو حذف الحركة تخفيفا .

وأيضا فقد عبرت عن ظاهرة التشديد والتخفيف فى نحو « فَرَّقوا » و « فارَقوا » و « تَخِذَ » و « واتَّخذ » و « كَرِه » و « كَرَّه » و « قَدَر » و « قَدَّر » و « وفَى » « وَفَّي » و « الخُنْس » و « الكُنْس » و « الخُنَّس » و « الكُنَّس » ..... إلخ .

وقد ربطت الدراسة بين هذه القراءات وبين مصادرها اللهجية على نحو مفصل يأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وفى ظاهرة الهمز والتسهيل وردت قراءات للنبى ﷺ على الوجهين ، فقرأ « جِبْرِيلَ وَمِيكالَ » و « جَبْرائِلَ ومِيكائِلَ » وقرأ « هَيْتَ لَكَ » و « فى عَيْنٍ حَمِيَةٍ » و « كَوكَبٌ دُرِّيٌّ » بضم الدال وفتحها ، وتشديد الراء ، وتخفيف الهمزة .

وقد تناولَت الدراسةُ العلاقة بين الهمزة وبين الألف والواو والياء باعتبارها **صوائت وأنصاف صوائت**، من الناحية الصوتية ، والتاريخية ، ووازنت بين معالجة القدماء والمحدثين لها ، كما بينت العلاقة بين الهمزة ، والهمز والنبر ، وأصالة أو فرعية كل من الهمز والتسهيل ، والمصدر اللهجي لهما ، ثم تناولت القراءات المذكوره بالتفصيل والتحليل في إطار تلك الظاهرة .

وإنى لأرجو أن تكون هذه الدراسة المتواضعة مشاركة لغوية فعالة فى مجال الدراسات القرآنية ، وبخاصة فى علم القراءات الذى مايزال يفتقر إلى كثير من عناية المحدثين ، وأتوسل بها إلى الله تعالى أن يشفينى بشفائه ، ويداوينى بدوائه ويعافينى من بلائه ، وأن ينفع بها فى الدنيا والآخرة ، إنه على مايشاء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

فى التماثل بين الصوائت وأنصاف الصوائت

قراءات للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الظاهرة

وردت قـراءات عن النبى ﷺ تمثل فيها تحقق الانسجام الصوتى بين الصوائت وأشباهها ، ومنها : ماروى من أن النبى ﷺ قرأ :

١ - قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ (١) : « فَمَنْ تَبِعَ هُدَىٌ » (٢)

٢ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ ﴾ (٣) : « ومَحْيَىٌ » (٤)

٣ - قوله تعالى : ﴿ يَا بُشْرَى هَـذَا غُلاَمٌ ﴾ (٥) : « يابُشْرَيَّ » (٤)

٤ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ (٦) : « مَثْوَىٌ » (٤)

---

(١) سورة البقرة آية ٨٣ .

(٢) ذكره الدورى فى قراءة النبى ﷺ ٦٤ وابن جنى فى المحتسب ٧٦/١ وابن خالويه فى مختصر شواذ القراءة ٥ ، والكرمانى فى شواذ القراءة ٢٣ ، ٢٤ وابن الجزرى فى غاية النهاية ١٧٧/١ وهى قراءة أبى الطفيل ، وابن أبى إسحاق ، وعاصم الجحدرى ، وعيسى بن عمر الثقفى . انظر المراجع السابقة والبحر المحيط ١٦٩/١ ، وإعراب النحاس ١٦٥/١ وتفسير القرطبى ٣٢٨/١ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٦٢ .

(٤) نسبها الكرمانى إلى النبى ﷺ. شواذ القراءة ٢٣ ، ٢٤ ، ١٥٥ وذكر أنها قراءة ابن أبى إسحاق ، والمجدرى ومحمد بن وهب الثقفى ، وورش وانظر البحر المحيط ٢٦٢/٤ ، ٢٨٧/٥ ، ٢٩٤ ، ٣١٢ ، ٢٣٤/٦ .

(٥) سورة يوسف آية ١٩ .

(٦) سورة يوسف آية ٢٣ .

٥ - قوله تعالى : ﴿ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ ﴾ (١) : « فِي رُؤْيَىَّ » (٢)

٦ - قوله تعالى : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾ (٣) : « هِيَ عَصَىَّ » (٢)

تفسير الظاهرة صوتيا (٤) :

المقصود بمصطلح الصوائت « أو المصوتات » :

الحركات الطويلة ، وهي في العربية : الألف ، والواو والياء الممدودتان .

الحركات القصيرة ، وهي في العربية : الفتحة ، والكسرة ، والضمة .

وتتميز هذه الأصوات بصفة الاستمرارية فى انطلاق الهواء معها ، دون حدوث عوائق تمنعه أو تسبب فيه احتكاكا مسموعا ، مما يتيح لها درجات متفاوتة من الطول والقصر ، ويكسبها درجة عالية من الإسماع ، بالإضافة إلى ما يصاحبها من صفة الجهر الناتج عن تذبذب الأوتار الصوتية أثناء مرور الهواء بها .

---

(١) سورة يوسف آية ٤٣ .

(٢) انظر تعليق (٤) الصفحة السابقة .

(٣) سورة طه آية ١٨ .

(٤) انظر فى هذا المبحث دروس فى علم أصوات العربية ـ كانتينو ١٣٧ ـ ١٥٥ أسس علم اللغة ـ ماريوباى ٧٧ ـ ٨٧ التطور النحوى ٤٦ ـ ٥٦ التفكير الصوتى عند العرب ٦٥ (مجلة المجمع ١٩٦٨) علم اللغة العام د / كمال بشر ١٣٣ ـ ١٥٤ ، دراسات فى علم اللغة . له أيضاً ٤٣ - ١٣٠ الأصوات اللغوية د / أنيس ٢٩ - ٤٣ ط سادسة ، أصوات اللغة د / أيوب ١٥٦-١٦٦٠ مناهج البحث في اللغة د / تمام حسان ١٣٦ - ١٥٣ دراسة الصوت اللغوي ١١٣-١١٨ التشكيل الصوتفي في اللغة العربية - العاني ٣٨ - ٤٣ ، في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية د / غالب المطلبي .

وهـذه الكيفيـة الخاليـة مـن الاحتـكاك هى الأصـل الذى يميـزها عن الصـوامت التي يصاحبها قدر كبير من التوتر والاحتكاك ، وأحياناً غلق تام لمجرى الهواء .

كما يميزها عن أنصاف الصوائت أو أنصاف الصوامت على اختلاف التسمية بين المحدثين ، إذ يُلمس فيها قدر من الحفيف ناتج عن تضييق نسبي في المجرى .

إن طبيعة الصوائت الفسيولوجية ذات أثر فعال وظيفيا ؛ فهى تمكن أعضاء النطق من التنقل بين مواضع الصوامت ، وتقوم على الربط بين تتابعها ، وتحقيق الانسجام بينها ، وتحدد معالم التجمع الصوتى ، إذ تمثل قمم المقاطع بمالها من قوة إسماع عالية ، وتضفى من هذه القوة على الصوامت حولها فترفع من نسبة وضوحها السمعى . ولا يخفى ماللمقاطع الصوتية من دور كبير فى تأليف البنية وتشكيلها .

والصوائت هى التى تعطى قيمة البنية صيغة ودلالة ؛ فإن تجمع الصوامت بمعزل عنها لا يعدو كونه رمزا لوحدات هذا التجمع ، وصور تجميع الأصوات « م ل ك »: « مَلِك ـ مالِك ـ مَلِيك ـ مَلْك ـ مَلأك » تبين وظيفة الصوائت طويلها وقصيرها وأهميتها فى ظاهرة التحول الداخلى فى البنية

أما أنصاف الصوائت فالمقصود بها الواو والياء اللذان ينطقان بلفظيهما بلفظهيما فى نحو : « الوَتْر » ، « الوُثْقى » ، « وجْهَة » ، « المورود » ، «الحوْل» ، « اليَوْم » .

ونحو : « يَحْيَى » ، « يُحاط » ـ عيِيَ ـ التعايِى « حْيث » عَيُوا لغة فى عَيُّوا.

ويمكن التعبير عنهما بالمتحركتين بإحدى الحركات الثلاث ، طويلها وقصيرها سواء فى أصول الكلمة « ف ع ل » أو فى ملحقاتها ، وذلك :

ما وجدت فى نحو التركيب الآتى :

ص ح : وَ - وُ - وِ - ىَ - ىُ - ىِ

ص ح ح : وَا - وُو - وى - يَا - يُو - يى

والساكنتين ، أيضاً فى نحو التركيب : ح ص فى « حَوْل » و « حَيْث » وبالتحديد من الحركة التى بعد الحاء، والصامت الساكن « الواو والياء » .

ويلاحظ أن الواو والياء هنا أصلان ، إذ هما عين الكلمة .

ولكنهما يقعان أيضا فى الملحقات أثناء التغييرات الصرفية ، فى نحو صيغة التصغير فُعَيْل كرُجَيْل ، وكُنَيْف ، وفى مثل حالات تحقيق الانسجام الصوتى فى مثل « رَأَوْا » بدلا من « رَأَيُو » و « المصطفَوْن » ..... إلخ .

وقد لوحظ أن استمرار الهواء مع هذه الأصوات يشوبه قليل من الاحتكاك بسبب ارتفاع مقدم اللسان ، أو مؤخره إلى أعلى نقطة ممكنة فى الحنك الأعلى دون حدوث إغلاق تام يمنع هذا الاستمرار ، وأن هذا القدر من التضييق والحفيف المترتب عليه قلل من درجة وضوحها السمعى ، وقصر زمن إطلاقها ، فقربها من الصوامت ، وحولها إلى عرامل مساعدة Marginal Factors فى بنية المقطع .

ومن ثم أطلق بعض المحدثين عليها « أنصاف صوامت » وهو وجه ؛ لأنها تقع أصلا من أصول الكلمة « إذ تقوم الصوامت بتكوين الأصل ، وعلى المصوتات استخدام هذا الأصل ، وعلى هذا ، فإن الواو والياء مثل الصوامت الأخرى ، تتدخل كصامت أول أو ثان أو ثالث فى الأصل الثلاثي »[1] .

---

(١) انظر بحث د / هنرى فليش ، في كتاب القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث د/ عبدالصبور شاهين ٤٣ .

وهى أيضا تشبه الصوائت ، من حيث استمرار الهواء في الانطلاق بها ، وتذبذب الأوتار الصوتية أثناء ذلك ، وتبادلها مع أصوات المد فى التغييرات الصرفية من نحو مِيراث ، ومِيقات ، ومِيعاد ، ومُوسر ، ومُوقن ، من وَرِث ، ووَعَد ، ويَسَرَ ، ويَقَن ..... إلخ .

ولهذا رأى جونز أنها أصوات مد صامته ، وذهب فندريس إلى أنها أصوات مد مشوبة بعناصر صامتية أكثر منها صوامت مزودة بالجهر وأن عنصر الاحتكاك فيها هو الذي سوغ استعمالها كالصوامت(١) .

ومما يؤكد هذه العلاقة أنها تتبدال التأثر مع الصوائت الخالصة ، ويتحقق بينهما انسجام صوتي .

وذلك فى قراءة النبى ﷺ « هُدَىً » و « مَحْيَىً » و « بُشْرَىً » و « مَثْوَىً » و « رُؤْيَىً » و « عَصَىً » .

الأصل في ذلك ﴿ هُدَايَ ﴾ و ﴿ بُشْرَى ﴾ و﴿ مَثْوَايَ ﴾ و ﴿ رُؤْيَايَ ﴾ و ﴿ عَصَايَ ﴾ على المشهور فى قراءة حفص عن عاصم ، وهو أيضا قراءة الجمهور(٢) .

وقد اجتمع فى تركيب « محياي » ونحوه : نصف صائت + حركة طويلة + نصف صائت .

ويلاحظ أن نصف الصائت الأول يعامل هنا معاملة الصامت ، إذن فالتركيب = ص ح ح + ص ح ثم تحول إلى « مَحْيَىً » أى : صارت « يَايَ » إلى « يَىً » .

---

(١) اللغة ٥١ وانظر فى الأصوات اللغوية ٤٢ وعلم اللغة العام ٨٣ ، ودراسة الصوت اللغوى ٢٨٣ .

(٢) انظر التيسير ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٨ وحجة أبى زرعة ٩٥ ، ٢٧٩ ، ٣٥٧ والمبسوط ٢٠٦ ، ٢٤٥ والكشاف ١/٢٧٥ ، ٢/٣٠٨ ، ٣/٥٣٣ والبحر المحيط ١/١٦٨ ، ١٦٩ ، ٤/٢٦٢ ، ٥/٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣١٢ ، ٦/٢٣٤ .

وقد حدث تغييران للتقريب الصوتى ، أولهما : تغيير من الأصل « مَحْيَيِىَ » إلى « مَحْيَايَ » فرارا من ثقل تتابع ثلاثة من أنصاف الصوائت « ىَ ىِ ىَ » أى = ص ح ← ص ح ← ص ح الذى تحول إلى ص ح ح + ص ح ، وهذا تأثير تقدمى تحول فيه نصف الصائت الثاني « يِ » إلى حركة طويلة « ا » بتاثير الأول .

ولهذا نظائر كثيرة فى العربية ، نحو : قَوَلَ ← قال ، بَيَعَ ← باع ، يَقْوُل ← يَقُول ، يَبْيِع ← يَبِيع ، مما كان التحويل فيه لمجرد التقريب الصوتى

والتغيير الثانى : تحول الحركة الطويلة إلى نصف صائت ساكن ، أى : صارت « يا » إلى « يَىْ » ص ح ح ← ص ح ص وذلك تهيئة لإدغامه فى نصف الصائت الثانى « يَ » وهذا تأثر رجعي تأثر فيه الأول بالثاني ، فأصبح التركيب : ص ح ص+ ص ح ص + ص ح .

ونلاحظ أن التحول بين صوت المد ونصف المد قد أخذ مسارين متضادين :

الأول : من « ىَ ىِ » إلى « يا » وهذا مايعرف بالمزدوج الصاعد أو المتزايد Rising diphthong وفيه يقول ماريوباى (١) : « إذا كان صوت العلة الأكثر بروزا تاليا لنصف العلة : نتج صوت علة مزدوج صاعد ، وذلك كما فى w a الموجودة فى Was » .

---

(١) أسس علم ٨١ ، ١٥٠ وانظر دروس فى علم أصوات العربية ١٦٧ ـ ١٧٢ والأصوات اللغوية ١٦١ ، ١٦٢ وأصوات اللغة ١٧١ ، ١٧٦ ودراسة الصوت اللغوى ١١٦ ـ ١١٨ ودراسات فى علم اللغة د / بشر ٧٢ والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٤١ ، ٤٢ .

الثانى : من « يا » إلى « يَىْ » وهذا مايسمى بالمزدوج الهابط Falling Diphthong ويلاحظ فيه انحدار الحركة إلى نصف الحركة ، فهو عكس الأول .

كما يلاحظ أن المقطعين « ىَ يِ » فى النوع الأول قد اتحدا فى مقطع واحد هو « يا » والمد الطويل فيه هو قمة المقطع أو نواته ، وتعتبر نصفا الحركة قبله وبعده فى «يَايَ » من العناصر المساعدة (١)

وأن هذا المقطع تحول فى النوع الثانى إلى مقطع مغلق « يَىْ » أى أنه تحول من المد الطويل إلى نصف المد الساكن مكونا مقطعا هابطا من حركة قصيرة ونصف مد ساكن ، وهذا النوع سائغ فى العربية أيضا ، ويحدث لمجرد التماثل الصوتى ، نحو قولهم:يَوْجَل ، ويَاجَل ، ويَيْسَر ، ويَاسَر ، ويَيْئَس ، ويَاءَسُ (٢) ، ورَأَوْا بدلا من رَأَيُوا ..... إلخ .

والوصف الصوتى لهذا التتابع يؤكد أن « يَىْ » أو « وَىْ » صوت مزدوج مركب من حركة انتقال اللسان من موضع حركة نصف المد الأول ، وهي الفتحة ، إلى موضع الكسرة في « يَ يْ » فهي حركة مركبة لأن اللسان انتقل بها من موقع علة إلى موقع نطق علة أخرى (٣) .

---

(١) التشكيل الصوتى ٥٩ .

(٢) انظر سر الصناعة ١٤٨ ، ٦٦٩ ودراسات فى علم أصوات العربية د / داود عبده ٣٣ ـ ٤٨ .

(٣) أصوات اللغة ١٤٧ أسس علم اللغة ٨١ الأصوات اللغوية ١٦١ التشكيل الصوتى للعانى ٥٩ دراسة الصوت اللغوى ١١٧ .

غير أن العربية تعتبر هذا التتابع من الناحية الوظيفية وحدتين مستقلتين ، إحداهما : الفتحة القصيرة ، وثانيتهما : نصف المد الساكن « الياء الساكنة » .

ولكل وحدة منهما وظيفتها « فالوحدة الأولى ، وهى الفتحة ، تقوم بوظيفة الحركات ، والثانية ، وهى الياء تؤدى دور الأصوات الصامتة ، ويظهر ذلك بوضوح فى سلسلة التوزيع الصرفى للكلمات التى تشتمل عليها من نحو « أبيات » و « أحواض » حيث تتبع الياء أو الواو بحركة ، وهى الفتحة الطويلة فى هذه الحالة ، وهذه خاصة تستحيل على الحركات أو أجزائها » (١) .

وقد يبدو المزدوج وحدة مستقلة في بعض التركيبات النادرة ، من نحو « دُوَيْبَّة » ، و « خُوَيْصَّة » و « مُحَيْصَّة » أو فى نحو ﴿ يَسْعَوْن ﴾ و ﴿ دَعَوا ﴾ و ﴿ يَرَوْنَ ﴾ مما يظن فيه أنه وحدة واحدة ، وهو فى الحقيقة قائم مقام وحدتين مستقلتين ، هما : الحركة الطويلة « ا » وواو الجمع ، حينما يتتابعان ، فيثقل اجتماعهما .

ولكنه لا يعدو أن يكون تقريبا صوتيا بحتا بين حُركات وأنصاف حركات مشتركة نسبيا فى صفة المدية ، ومختلفة فى الصفة الصامتية ، ولكل منهما وظيفته فى اللغة ، ولذا يصرح كانتينو (٢) بأن « الحركات المزدوجة هى من الناحية الصوتية حركات طويلة يتحور جرسها أثناء النطق بها ، وبخلاف ذلك فإنه يبدو أنه ليس للحركات المزدوجة فى العربية أى وجود خاص من الناحية الوظيفية ، فيظهر أنهم يحللونها دائما هكذا : حركة + نصف حركة تقوم مقام حرف ..... » يعنى صامتا .

---

(١) دراسات فى علم اللغة د / بشر ٧١ ، ٧٢ .

(٢) دروس فى علم أصوات العربية ١٧١ ، ١٧٢ .

فصورة المزدوج ثابتة في اللغة من الناحية الصوتية ، ولكنها تُحل من الناحية الوظيفية إلى صوتين مستقلين ، وهذا مارجحه المحدثون (١) من العرب ، ومن غيرهم .

ونخلص من العرض السابق إلى أن قراءة « مَحْيَىَّ » و « مَمْوَىَّ » و « رُؤْيَىَّ » ونحوها من قبيل التماثل بين الحركات وأنصاف الحركات ، وأنها تمثل النوع الثانى من التتابع السائغ فى اللغة ، وهو مايسمى بالتتابع الصوتى الهابط Falling Diphthong ، وأن هذا التماثل بنوعيه من التقريب الصوتى المحض ، ولا دخل له بالناحية الوظيفية .

توجيه القدامى لهذه القراءة

ورد فى فصيح الكلام ، نظمه ونثره ، كثير من الشواهد التى جرت بهذا الاستعمال ، واستشهد بها علماؤنا القدامى على رسوخ هذه القراءة ، ومنها :

ماذكره الفراء (٢) من أن بعض بنى سُليم قال له : « آتيك بَمْولَىَّ ، فإنه أرْوَى منى » يريد : مولاى .

وما ورد فى حديث طلحة (٣) رضى الله عنه : « إنى أُخذت فأُدخلت فى الحَش ، وقربوا فوضعوا اللُّجَّ على قَفَىَّ ، فقالوا : لتبايعَن أو لنقتُلنَّك فبايعت وأنا مكره » أراد : على قَفَاىَ .

---

(١) د / بشر فى علم أصوات اللغة العام ٧١ ، ٧٢ ، د / أيوب فى أصوات اللغة ١٧٢ .

(٢) معانى القرآن ٢ / ٣٩ .

(٣) غريب الحديث لأبى عبيد ٤ / ١٠ والفائق ٣ / ٤٣١ والنهاية ٤ / ٩٤ .

وما أنشده المفضل (١) للمنخل اليشكرى :

يُطـوِّف بـى عِكَبٌّ فـى مَعَدّ ويـطـعُن بـالـصُّمُلّة فـى قَفَيّا

فـإن لـم تثـأرا لِى من عِكَبٍّ فـــلا أُرْوَيْتُمـــا أبدا صَدَيّا

وما أنشده أبو عبيدة (٢) لأبى دواد :

ألم تَرَ أننى جـاوزْت كَـعْـبًـا وكـان جـوارُ بعض الناس غَيّا

فَـــأبلُونـى بَلـيّتَكم لعـلى أصـالحكمْ وأسـتـدرجْ نَوَيّا

قال أبو عبيدة : « أراد « نَوَايَ » فذهب به إلى « قَفَىٌ » و « هَوَىٌ » .

وثمة شاهد مشهور فى مرثية أبى ذؤيب الهذلى : (٣)

سـبـقـوا هَوَىٌ وأعنقـوا لهـواهم فَتُخـرمـوا ولكل جنب مـصـرعُ

نظر القدامى فى تحليلهم لهذه الصيغة فى قراءة النبى ﷺ والشواهد المذكورة إلى الجوانب الآتية :

---

(١) معانى القرآن للفراء ٢ / ٣٩ وانظر المحتسب ١ / ٧٦ والخصائص ١ / ١٧٧ وسر الصناعة ٢ / ٧٠١ والصملة : عصا أو حربة تكون فى يد صاحب السجن ، وهو هنا عكب المذكور ، وقد دفع النعمان إليه المنخل ليعذبه ، وذلك لأنه اتهم بالمتجردة زوج النعمان .

(٢) نقائض جرير والفرزدق ١ / ٤٠٨ وانظر الخصائص ١ / ١٧٦ وسر الصناعة ٢ / ٧٠١ وأستدرج : أترككم وأذهب .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٢ وشرحة ١ /٧ والمحتسب ١ /٧٦ والحجة ١ / ٦٤ وسر الصناعة ٢ / ٧٠٠ وشرح المفصل ٣ /٣٣ وإعراب القرآن للنحاس ١ / ٢١٦ .

(١) العلاقة بين الحركة الطويلة « الألف » التى هى محل الإعراب فى الاسم المقصور ، وبين نصف العلة « الياء الساكنة » .

(٢) ياء الإضافة على اعتبارها حركة طويلة ، فيكسر ما قبلها ، ونصف حركة إذا كانت مفتوحة .

أما الجانب الأول فقد استندوا فيه إلى التناوب الذي وقع بين الألف والياء ، إذ قلبت الياء إليها في قولهم : طائى ، والأصل طَيْئىً ، وقولهم : حارِىٌ فى النسب إلى الحِيرة ، وقولهم : ياءَس فى يَيْئس[1] ..... إلخ .

كما قلبت الألف إليها فى قولهم : أفْعَىْ فى أفعى ، وهى لغة طيىء فى الوصل والوقف على سواء ، ولذا جاز أن تقلب الألف ياء فى « هُدَىً » و « عَصَىً » و « مَثْوَىً » ونحوها .

وهذا من التناسب المبنى على التبادل بين الحركات الطويلة ، وأنصاف المد الساكنة التى تتضح فيها الصفة المدية أكثر منها وهى متحركة .

وقد عولوا على قلبها ياء ؛ تمهيدا لوقوع تناسب آخر بين هذه الياء ، وبين ياء الإضافة بعدها ، وهو الجانب الثانى فى نظرتهم .

فمن المسلم أن ياء المتكلم تظل ثابتة على حالها ؛ لدلالتها على الإضافة ، وأن أى تغيير يلحقها يذهب بتلك الدلالة ، ولذا كانت ألف المقصور مظنة التغيير .

---

(١) انظر الحجة ١/٨٧ والمنصف ١/٢٠٤ ، ٢٠٥ وسر الصناعة ٦٦٧.

وقـد وردت هذه اليـاء فى كـلام العـرب حركـة طويلة ، أى : ممدودة ، كـمـا وردت مفتوحة ، وفي الحالة الأولى ينبغي أن يكون ماقبلها مكسورا، والأنف لاتتحمل الحركة فقلبوها ياء ؛ لانهـا أقرب إلى الكسرة ، وهذه عـمليـة تقريب فى حد ذاتها هيأت الصوت لإدغامه فى ياء الإضافة المتحركة بعده ، وهو الغاية من هذا التقريب .

ذكر الفراء (١) أن « من قال : « يابُشْرَىٌ » فأضاف ، وغير الألف إلى اليـاء ، فإنه طلب الكسرة التى تلزم ماقبل اليـاء من المتكلم فى كل حال ، ألا ترى أنك تقول : هذا غلامى فتخفض الميم فى كل جهات الإعراب ؟ ..... » .

وعلل الأخفش (٢) ذلك بأنه « لما كان قبلهـا حـرف سـاكن ، وكـان ألفـا قلبتـه إلى الـيـاء حتى تدغـمه فـى الحـرف الذى بعـده ، فـيـجرونهـا مـجرى واحـداً ، وهو أخف عليهم ..... » .

وقد أطبق القدماء على تلك العلة ، وتناقلوهاخلفا عن سلف (٣) .

---

(١) معانى القرآن ٢ / ٣٩ .

(٢) معانى القرآن ١ / ٦٩ .

(٣) وردت نصوص كثيرة فى هذا ، منها : قول ابن مجاهد : « كراهية أن يعمل اللسان فى حرف واحد مرتين فيثقل عليه » السبعة ١٢٥ وقول المبرد : « ليرفع اللسان رفعة واحدة ، إذ كان ذلك أخف عليهم » المقتضب ١ /١٩٧ وقول ابن جنى : « إنهم قد علموا أن إدغام الحرف فى الحرف أخف عليهم من إظهار الحرفين ، ألا ترى أن اللسـان ينبـو عنهـما نبـوة واحدة » الخصائص ٢ / ٢٢٧ وانظر سر الصناعة ١ / ١٨٩ وانظر الحجة ١ / ٦٣ والمسائل البصريات ٢ / ٨٤٩ والمحتسب ١ / ٧٦ ، ٧٧ وشرح المفصل ٣ / ٣١ ـ ٣٤ وإعراب النحاس ١ / ٢١٦ .

مصدرها اللهجى

اشتهرت هذه الصيغة فى هذيل ، على الرغم من أنها نسبت إلى قبائل أخر ، منها : طيئ ، وقريش ، وحمير ، وأهل السراة ، فممن نسبها إلى هذيل : أبو زيد ، والفراء ، وابن حبيب ومن تبعهم من اللغويين والنحاة ، والمعنيين بالقراءات ، وأشعار العرب .

فقد نقل النحاس (١) قول أبى زيد : « هذه لغة هذيل ، يقولون : « هُدَىٌ » و « عَصَىٌ » وذكر الفراء فى المعانى (٢) أن هذيلا تقول : « يابُشْرَىٌ » وأن القاسم بن معن أنشده :

تركوا هَوَىٌ وتعنقوا لهواهم ففقدتهم ولكل جَنب مصرعُ

وسبقت حكاية الفراء أن بعض بنى سُليم قال له : « آتيك بمَوْلَىٌ فإنه أروى منى » .

وعن ابن حبيب (٣) : « هَوَىٌ » لغة هذيل ، وكذلك تقول : « قَفَىٌ » و « عَصَىٌ » غير أن أبا عبيد (٤) عزاها إلى طيئ ، وعبارته صريحة فى هذه النسبة ، وهى فى حديث طلحة بن عبيد الله « فوضعوا اللِّجَّ على قَفَىٌ » قال : « قَفَىٌ » هى لغة طائية ، وكانت عند طلحة امرأة طائية ، ويقال : إن طيًّا لا تأخذ من لغة أحد ، ويؤخذ من لغاتها .

---

(١) إعراب القرآن ١ / ٢١٦ .

(٢) ٢ / ٣٩ .

(٣) اللسان « هوى » .

(٤) فى غريب الحديث ٤ / ١١ .

وتبعه على هذا أصحاب غريب الحديث كالزمخشرى ، وابن الأثير ، ومن نقل عنه كابن منظور ، وغيره .

ونقل عن الواحدى فى البسيط أنه عزاها أيضا إلى طيئ (١) .

وممن نسبها إلى قريش : عيسى بن عمر الثقفى ، كما ذكر الأشمونى (٢) . وقراءة النبى ﷺ ، وحديث طلحة يؤكدان هذه النسبة .

وممن نسبها إلى حمير ، وأهل السراة : الخفاجى (٣) .

وهذا يدل على أن استعمال هذه الصيغة كان منتشرا فى مساحة واسعة من الجزيرة العربية ، وفى قبائل مختلفة المنازل ، حضرية وبدوية . ونَصُّ ابن جنى (٤) يفيد أنها ليست مقصورة على هذيل ، وهو قوله : « هذه لغة فاشية فى هذيل وغيرهم أن يقلبوا الألف من آخر المقصور إذا أضيف إلى ياء المتكلم ياء » .

كما أن وروده فى شعر أبى دواد الإيادى ، وشعر المنخل اليشكرى مما يؤكد ذلك ، فهما من إياد ، ويشكر ، وهما من القبائل التى كانت تقطن شمالى الجزيرة العربية وشرقيها .

---

(١) انظر الفائق ٣ / ٤٣١ والنهاية ٤ / ٩٤ والتصريح على التوضيح ٢ / ٦١ واللهجات العربية فى التراث ٢ / ٥٤٠ .

(٢) ٢ / ٢٨٢ وانظر اللهجات العربية فى التراث ٢ / ٥٤٠ .

(٣) شفاء العليل ٢٤٤ وانظر فى القرآن والعربية من تراث لغوى مفقود ٨٦ .

(٤) المحتسب ١ / ٧٦ .

أما اعتقاد بعض المحدثين (١) بأن البيت للمتنخل الهذلى : ليستبعد كون الظاهرة فى يشكر بن بكر ، فيقف دونه إجماع الرواة (٢) على نسبته إلى المنخل اليشكرى ، ويؤكد هذه النسبة مايأتى :

ـ أن عكبا المذكور فى البيت هو صاحب سجن النعمان بن المنذر اللخمى ، وهذا آخر ملوك الحيرة التى ملكها هو وآباؤه خمسمائة عام (٣) .

ـ وأن المنخل كان يتهم بالمتجردة زوج النعمان ، إذ كان جميلا ، وكان للنعمان منها ولدان ، فكان الناس يقولون : إنهما من المنخل ، فدفعه النعمان إلى عكب ؛ ليعذبه فى السجن (٤) .

ـ وكان المنخل يشبب بهند أخت عمرو بن هند ، وكان يتهم بامرأته أيضا ، فقتله عمرو .

ـ وهو أيضا الذى أوقع بالنابغة الذبيانى عند النعمان بن المنذر ، حين وصف المتجردة ، فقال المنخل للنعمان : لا يعرف هذا إلا من جرب (٥) .

---

(١) الدكتور علم الدين الجندى فى اللهجات العربية فى التراث ٥٣٩ ، ٥٤٠ .

(٢) الخصائص ١ / ١٧٧ والمحتسب ١ / ٧٦ والصحاح (عكب) واللسان (عكب ـ حرر) وشرح المفصل ٣ / ٣٣ .

(٣) نسب معد واليمن الكبير ٢٠٩ ، ٢١٠ والاشتقاق ٣٧٧ وجمهرة أنساب العرب ٤٢٣ .

(٤) الشعر والشعراء ٢٥٥ .

(٥) السابق .

فالشاهد له لا محالة ، وهذا يدل على أن تلك الظاهرة كانت منتشرة فى منطقة الحيرة ، وما حولها من منازل بكر بن وائل ، وتغلب فى الشمال (١) .

ونذهب معه إلى أن السبب فى اشتهار هذه الظاهرة فى هذيل إنما مرجعه إلى انتشار أشعار الهذليين ، واشتهار مرثية أبى ذؤيب الهذلى ، والتى تعد من عيون الشعر العربى .

135401

(١) انظر قلائد الجمان ١٣٠ ـ ١٣٢ ومعجم البلدان ٢ / ٣٢٨ ـ ٣٣١ .

فى الإمالة

روى أن النبى ﷺ قرأ :

(٧) قوله تعالى : ﴿ يَايَحْيَى خُذِ الْكِتابَ بُقُوَّةٍ ﴾ (١) : « يَايَحْيِى » (٢) .

(٨) قوله تعالي : ﴿ طَهَ مَاأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى ﴾ « طِهِ » (٣) .

وبالأولى قرأ حمزة ، والكسائى ، وخلف ، وأبو عمرو ، وابن مجاهد (٤) .

وبالثانية قرأ حمزة ، والكسائى ، وابن مجاهد (٥) .

وهذا النحو من القراءة ضرب من التماثل يتم بين الحركات طولاً وقصيرها بقصد تحقيق نوع من الانسجام الصوتى فى الأداء ، وهو ماسماه القدامى بالإمالة ، فهى عندهم من باب التقريب بين حركات المد واللين .

---

(١) سورة مريم آيه ١٢ .

(٢) ذكر الهذلى فى الكامل لوحة ٨٢ : عن صفوان بن عسال المرادى أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ « يَايَحْيِى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ » فقيل لرسول الله ﷺ : أتميل ، وليس هى لغة قريش ؟ فقال : هى لغة الأخوال بنى سعد . وذكره السخاوى فى جمال القراء والسيوطى فى الإتقان ٩٣/١ والقسطلانى فى لطائف الإشارات ١ / ٨١ .

(٣) ذكر الفراء ، وغيره أن زِرّ بن حبيش قال : قرأ رجل على ابن مسعود (طَهَ) وفتح فقال عبد الله : « طِهِ » وكسر ، ثم قال : والله ماعلمنيها رسول الله ﷺ إلا « طِهِ » ولا نزل بها جبريل عليه السلام إلا كذلك » معانى القرآن ٢ / ١٧٤ والنشر ٢ / ٣١ وحجة القراءات لأبى زرعة ٤٥٠ وتهذيب اللغة ٥ / ٣٥٢ .

(٤) المبسوط ١١٣ ، ١١٤ والإقناع ١ / ٢٩٤ ـ ٣٠٠ .

(٥) المبسوط ٢٩٣ والكشف ١ / ١٨٧ وحجة القراءات لأبى زرعة ٤٥٠ وإرشاد المبتدى ٤٣٢ .

فالألف ـ عند سيبويه ـ تمال إذا كان بعدها حرف مكسور ، بقصد تقريبها منها ، ليعمل اللسان فى وجه واحد « فكما يريد فى الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد ، كذلك يقرّب الحرفَ إلى الحرف على قدر ذلك » .

وعلى هذا إجماع العلماء من اللغويين ، والنحاة ، وأصحاب القراءات ، وإن كانت وجهاتهم مختلفة من حيث الفصل بين الحركات والحروف ، وكيفية التأثير بينهما ، فإن أبا على الفارسى ، وتلميذه ابن جنى يذهبان إلى أن الحركة تمال أولا ،ثم يأتى الحرف تبعا لها ، على عكسٍ ماذهب إليه سيبويه ، ويظهر هذا فى توجيه الفارسى للإمالة فى قراءة « رَأى أَيْدِيَهُمْ » « فأمال الفتحة التى على الهمزة من « رأى » لتميل الألف بإمالة الفتحة نحو الياء » (١) .

ويبدو أثره واضحا فى تعريف تلميذه للإمالة بأنها: انتحاء بالفتحة نحو الكسرة ، فتميل الألف التى بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت (٢) .

وقد تابعهما على ذلك أكثر أهل العلم من 'لنحاة وأصحاب القراء ات .

ونرى أن ماذهب إليه سيبويه أدق مماذهب إليه الشُيخان ، ومن تابعهما ، وأكثر موافقة للتفسير الصوتى الحديث لهذه الظاهره .

إنه يؤكد أن الفتحه من الألف ، وأن الكسرة من الياء ، ومن ثم فإن شبه الفتحة من الكسرة كشبه الألف بالياء و بناء عليه يقرر « أن الألف إذا دخلتها الإمالة دخل الإمالة ماقبلها ... » (٣) .

---

(١) سورة هود آيه ٧٠ وانظر الحجة ١ / ٢٨٩ .

(٢) سر الصناعة ١ / ٥٢ .

(٣) الكتاب ٤ / ١٤٢ وانظر شرح السيرافى ١ / ٣٢١ والنكت ٢ / ١٠٨٨ .

فلم يفرق بين الحركات والحروف ؛ إذ هى أجزاؤها ، وإذا لحق الحروفَ تغييرٌ كانت الحركات تابعة لها فى هذا التغيير ، وهذا ماأكدته الدراسات الصوتية الحديثة ، واعترف به ابن جنى فى قوله : « فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو » (١) .

هذا إذا كان فى الكلمة حركة طويلة ممالة ، فإن لم يكن غير حركة قصيرة ، نحو « رَحْمِهْ» (٢) ، « الكِبرَ » و « يُكَذبونِك » (٣) أو كان بين الحركة الطويلة والقصيرة فاصل ، نحو « المِحرِاب » (٤) فإن التمييز يصبح حتما .

إذن فإن كل تعريف للإمالة لا يلاحظ هذا يعد غير دقيق ، وذلك نحو قول مكى (٥) : « واعلم أن معنى الإمالة : هو تقريب الألف نحو الياء ، والفتحة التى قبلها نحو الكسرة » وقول ابن الباذش (٦) : « أن تنتحى بالفتحة نحو الكسرة انتحاء خفيفا ، كأنه واسطة بين الفتحة والكسرة ، فتميل الألف من أجل ذلك نحو الياء ..... » .

---

(١) سر الصناعة ١ / ١٧ .

(٢) سورة البقرة آية ١٥٧ ، ..... .

(٣) سورةالأنعام آية ٣٣ .

(٤) سورةآل عمران آية ٣٧ ، ٣٩ ، سورة مريم آية ١١ .

(٥) الكشف ١ / ١٦٨ .

(٦) الإقناع ١ / ٢٦٨ .

الوصف الصوتى للحركات الأصلية والفرعية

الحركات الأصلية :

الحركات الأساسية فى العربية تتمثل فى :

الحركات الطويلة : الألف (aa) والياء (ii) والواو (uu)

الحركات القصيرة : الفتحة (a) والكسرة (i) والضمة (u)

ومدة إطلاق الحركات القصيرة على النصف من مدة الحركات الطويلة ، فقياس الأولى = (٣٠٠ ميليثوانى) والثانية = (٦٠٠ ميليثوانى) على قياس العانى (١) ويمكن تصوير القسمين في الشكل الآتى :

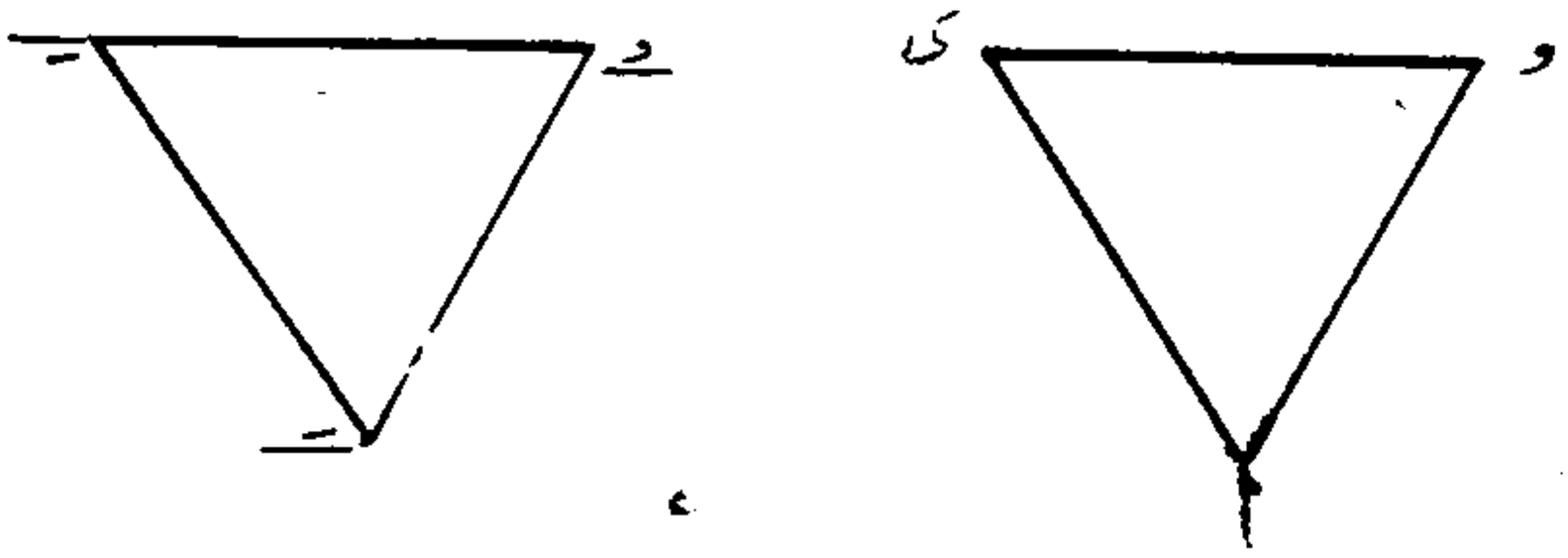

وقد بينت قياسات المطابقة بينهما ، من حيث وضع مقدم اللسان ومؤخره ووسطه معهما تقاربا بين موقعى الكسرة والياء ، وبين موقعى الضمة والواو ، ولكنه أظهر بعض التباعد بين موقعى الفتحة والألف ، ويبينه الشكل الآتى : (٢) .

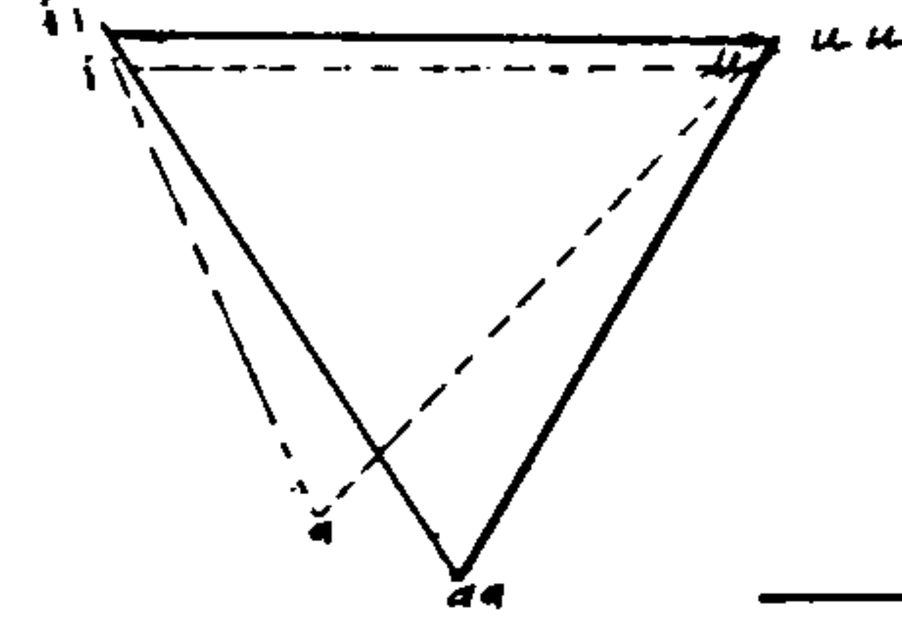

(١) التشكيل الصوتى فى اللغة العربية ٣٩ ـ ٤٣ وانظر دروس فى علم أصوات العربية ج زكانتينو ١٤٧،١٤٨

(٢) عن قياسات العانى فى التشكيل الصوتى ٤٣ .

فقد لوحظ أن وضع مقدم اللسان مع الفتحة الطويلة أكثر هبوطا وانسحابا إلى الخلف مما هو عليه مع الفتحة القصيرة .

وبمقارنة هذه الحركات بمعيارية جونز (١) نجد أن الحركة الرئيسية : الكسرة « قصيرة وطويلة » حركة أمامية ضيقة ، وهى أقرب ماتكون إلى الحركة المعيارية (رقم ١ « i ») غير أن درجة ارتفاع مقدم اللسان معها يكون أقل قليلا ، مع بعض التراجع إلى الخلف ، عما هو عليه فى المعيارية .

والحركة الرئيسية : الضمة « طويلة وقصيرة » حركة خلفية ضيقة ، وتقرب من المعيارية (رقم ٨ u) غير أن نقطة ارتفاع مؤخر اللسان معها أقل ، وأكثر تقدما إلى الأمام مما هو عليه فى المعيارية .

والحركة الرئيسية : الفتحة « طويلة وقصيرة » حركة متسعة ، ويكون اللسان معها مستويا فى قاع الفم مع ارتفاع قليل فى وسطه ، وتحتل فى المعيارية مابين (رقمى ٤ ، ٥) وهى فى حالة تفخيمها خلفية ، وفى حالة ترقيقها أمامية ، وفى حالة التوسط تكون بينهما .

والأشكال الآتية تبين الحركات المعيارية العالمية ورموزها ، ومواقع الحركات العربية الأساسية منها .

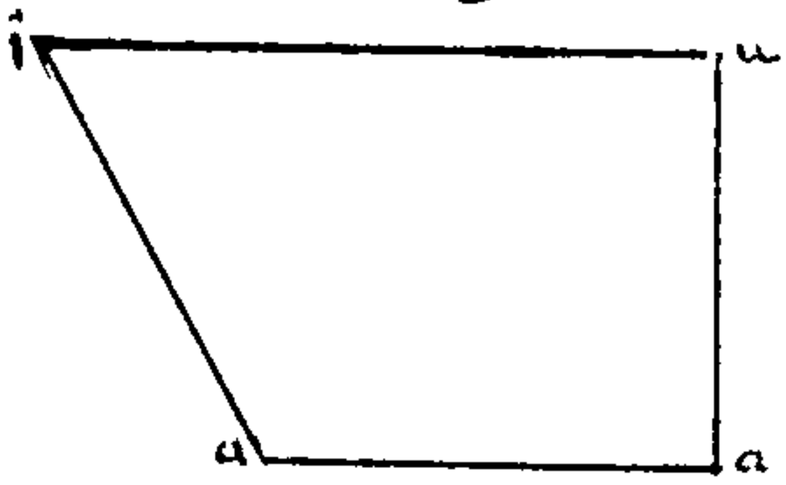

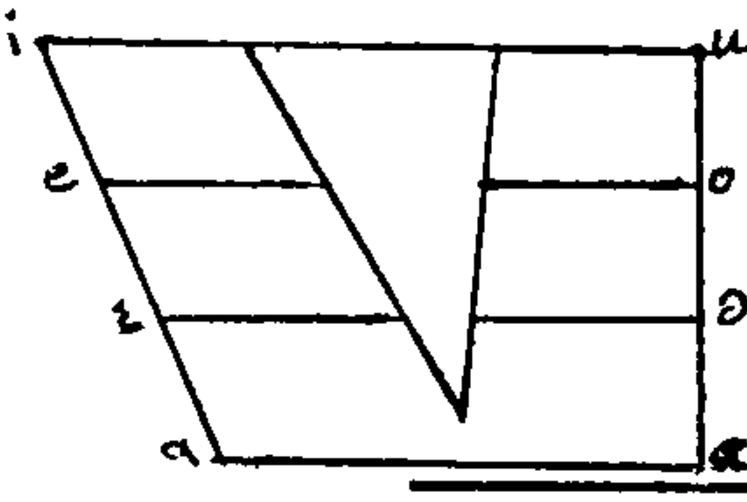

(١) انظر علم اللغة العام د/كمال بشر وبحثه الكبير فى الحركات ١٣٧ـ ١٥٤ ودراسات فى علم اللغة له أيضا ١٢٠ـ ١٢٩ وأصوات اللغة د/أيوب ١٥٦ـ ١٧٦ ودراسة الصوت اللغوى ١١٣ـ ١٣٢ وأصوات اللغة العربية د/عبد الغفار هلال ١٣١ ـ ١٤٤ والأصوات اللغوية د/أنيس ٢٩ ـ ٤٣ ط سادسة .

وتتنوع هذه الحركات باكتسابها صفات صوتية من تآلفها مع الصوامت المكونة للكلمة ، كالتفخيم ، والترقيق ، والتوسط بين الصفتين (١) .

وقد يتبادل طويلها وقصيرها فى نحو « مُنتزَح ـ منتزاح » ، « صيارِف ـ صياريف » ، « أنظُر ـ أنظور (٢) » ، والعكس فى نحو ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ (٤) وإنما نشأت هذه التنويعات والتبادلات لعوامل صوتية بحته تمثل العلاقة القوية بينها ، ولكنها من الناحية الوظيفية تختلف ، من حيث إن كلا من القصيرة والطويلة تمثل فونيماخاصا مؤثرا فى تغيير المعنى ، نحو « عَلِمَ » ، « عالم » ، « عَليم » وهى أيضا فى هذا تتناوب فيما بينها نحو « جال جَوَلانا ـ جارِيَة ـ جوارى ـ غاشيَة ـ غواشِى » .

مما يؤكد نظرة العربية إلي هذه الأصوات على أنها مجموعة فونولوجية متماسكة دون اعتبار للفروق الكمية والكيفية بينها .

الحركات الفرعية

بين الحركات الأصلية حركات فرعية عرفتها العربية ، وهى التى تنحصر فيها الإمالة ، وتتمثل فى الأصوات نصف الضيقة ، ونصف الواسعة الأمامية ، والخلفية ، على اختلاف صفاتها من حيث التفخيم ، والترقيق ، والتوسط بينهما ، ويمكننا حصرها فيما يلى :

---

(١) لطائف الإرشارات ١/ ٢٢١ وعلم اللغة العام د/بشر ١٤٨ ـ ١٥٠ .

(٢) سر الصناعة ١/٢٧ ، ٣٠ والخصائص ٢/١٢١ ، ٣١٧ .

(٣) سورة القمر آية ٦ .

(٤) سورة الفجر آية ٤ .

١ ـ حركة قصيرة قريبة من الفتحة الخالصة ـ حركة طويلة قريبة من الألف الخالصة .

٢ ـ حركة قصيرة قريبة من الكسرة الخالصة ـ حركة طويلة قريبة من الياء الخالصة .

٣ ـ حركة قصيرة بين الفتحة والكسرة ـ حركة طويلة بين الألف والياء .

٤ ـ حركة قصيرة بين الفتحة والضمة ـ حركة طويلة بين الألف والواو .

٥ ـ حركة قصيرة بين الكسرة والضمة ـ حركة طويلة بين الياء والواو .

٦ ـ حركة قصيرة بين الضمة والكسرة ـ حركة طويلة بين الواو والياء .

إن هذه الحركات تعدل عن صفات المد الخالصة ، وتجنح إلى ما بينها ، ولكنها لا تحدث تغييرا فى المعنى ، إذن فهى لا تعدو أن تكون تنويعات صوتية ناتجة عن تعديلات مختلفة فى أعضاء النطق ، وتتبين فيما يأتى :

(١) الجنوح بالفتحة الطويلة « الألف » نحو الضمة الطويلة « الواو » وذلك فى ﴿ الصَّلَوة ﴾، ﴿ الزَّكوة ﴾، ﴿ الحَيَوة ﴾ وهو تفخيم أهل الحجاز[١] ، وقد استحسنه سيبويه ، ومن تبعه[٢] ، وجعله ابن جنى[٣] من إمالة الألف نحو الواو ، وقال الدانى : أو هو « على لغة أهل الحجاز الذين يفرطون فى تفخيم الألف وما قبلها فى ذلك »[٤] .

---

(١) المحكم فى نقط المصاحف ١٨٩ والكتاب ٤/٤٣٢ والبحر المحيط ٦/١٧٢ وشرح الشافية ٣/٢٥٥ وشرح المفصل ٩/٥٤ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٢ والنكت ٢/١٢٤٣ .

(٣) سر الصناعة ١/٥٠ .

(٤) فى المحكم ١٨٨ ، ١٨٩ .

ومع التفخيم يرتفع مؤخر اللسان قليلا تجاه الحنك اللين بدرجة تزيد على درجة ارتفاعه مع الفتحة المفخمة ، وتقل عن ارتفاعه مع الضمة ، وتستدير الشفتان على نحو أقل من استدارتها مع الضمة[١] .

وهذا العدول إنما هو ميل بالحركة الطويلة المفتوحة إلى حركة خلفية نصف ضيقة، ويؤكد بعض المحدثين أن « انتقال جميع الفتحات الطويلة القديمة إلى فتحات طويلة ذات جرس خلفى أمر نادر الوقوع »[٢] ثم حمل بعض على حالات مقيدة ، كالتى يخضع التماثل فيها للصوامت المفخمة قبل الصوت وبعده .

غير أننا نجدها شائعة في لغة أهل الحجاز بعامة ، كما أن التفخيم في مثل « الزَكُوة » و « الحَيُوة » و « النَّجُوةِ »[٣] و « مَنُواةَ »[٤] و « كَمشكُوة »[٥] ليس مقيدا بصوت مفخم .

وقد ذكرت هذا النوع ؛ لأنه إمالة بالفتحة الطويلة نحو الضم ، وإن كان العلماء يطلقون مصطلح التفخيم على الضد من مصطلح الإمالة ، ولعلهم يقصدون به المد المحض في الفتحة الطويلة ، لا هذا النحو منْ التغيير ، وقد عرفوا الإمالة بأنها « عدول بالألف عن استوائه ، وجنوح به إلى الياء ، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة ، وبين مخرج الياء ، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة ، وبحسب بعده تكون خفتها »[٦] .

---

(١) دراسات فى علم اللغة د/ بشر ١٢٦ ـ ١٢٩ ودروس فى علم أصوات العربية ١٦٣ واللغة العربية معناها ومبناها ٥٣ .

(٢) جان كانتينو في دروس فى علم أصوات العربية ١٦٣ .

(٣) سورة غافر آية ٤١ .

(٤) سورة النجم آية ٢٠ .

(٥) سورة النور آية ٣٥ .

(٦) شرح المفصل ٩/ ٥٤ .

فهو على إطلاق الإمالة : مَال عن وجهه ، وعلى التقييد فى الاصطلاح خارج عنه .

(٢) الانتحاء قليلا بالفتحة الطويلة ناحية الكسر ، ومنها : قراءة حمزة[١] « ياسين » وقراءة نافع[٢] : « دَارَ البَوارِ »[٣] .

وقد وصفها ابن مجاهد بأنها بين الفتح والكسر ، وهى إلى الفتح أقرب ، وفسره أبو على الفارسى بأنه « لا يميل الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة ، فتميل الألف نحو الياء كثيرا ، ولكن لا يشبع إمالة الفتحة نحو الكسرة ، فيخف لذلك إجناح الألف وإضجاعها »[٤] .

وهذه أول درجات الإمالة الاصطلاحية ، يرتفع معها الجزء الإمامى من اللسان قليلا تجاه الحنك الصلب بحيث يقرب من نقطة المعيارية (ع) فيكون دونها فى الموضع ، وأدخل قليلا فى الفم ، وهى حركة أمامية نصف واسعة .

ونعتقد أن هذا الوصف ينطبق على « الفتح اللطيف » فى قراءة أبى عمرو كل ما كان على « فعلى » بتثليث الفاء ، من نحو « الدُّنْيا » و « القُصْوى »[٥] و « مُوسِى » و « عِيسِى » و « يَحْيِى »[٦] .

وعلى إشمام الفتح شيئا من الكسر فى قراءة ابن ذكوان[٧] « مُزْجاةٍ »[٨] .

---

(١) الكشف ١/١٨٦ .

(٢) الحجة ١/٣٠٢ .

(٣) سورة إبراهيم آية ٢٨ .

(٤) الحجة ١/٣٠٢ .

(٥) سورة الأنفال آية ٤٢ .

(٦) المبسوط ١١٧ .

(٧) النشر ٢/٤٢ .

(٨) سورة يوسف آية ٨٨ .

(٣) إمالة الفتحة الطويلة نحو الكسر ميلا متوسطا ، وهو ما يسمى « بين بين » و « بين اللفظين » وقد عرفه مكى بأنه « الذي بين الفتح ، والإمالة ، لا هو المفتوح محض ، ولا ممال محض »[١] .

ونحو : قراءة نافع وحمزة[٢] « التَّورَاةَ »[٣] وقراءة أبى عمرو[٤] « ياأسَفِى » و « بُشْرِى »[٥] ، واشتهرت هذه القراءة « بين اللفظين » عن ورش فى مواطن كثيرة .

وفيها يتخذ مقدم اللسان نقطة ارتفاع متوسطة بين المعياريتين (٤) و (e) ويكون أدخل قليلا في الفم ، فهى حركة أمامية متوسطة بين النصف واسعة والنصف ضيقة .

(٤) الجنوح بالفتحة الطويلة نحو الكسر ميلا شديدا ، وهو أقصى درجات الإمالة ، وقد اشتهر به قراء الكوفة ، ومنه : قراءة حمزة ، والكسائى[٦] « نموت ونَحْيِى »[٧] ، « أمات وأحْيِى »[٨] ، « ويَحْيِى مَنْ حى »[٩] وقد علله الفارسى ، فقال : « يشبه أن يكون بالغ في إجناح الألف ليقربها من الياء ؛ إذ كانوا قد أبدلوا من الألف الياء فى نحو « أفْعَىْ » فى الوقف ، فبالغ فى الإجناح ؛ ليقربها من الياء التى أبدلوها من الألف في الوقف »[١٠] .

---

(١) الكشف ١/١٨٣ .

(٢) السابق .

(٣) سورة آل عمران آية ٣ .

(٤) الكشف ١/ ١٨٥ والنشر ٢/ ٤٠ .

(٥) سورة يوسف آية ٨٤ وآية ١٩ .

(٦) التيسير ٤٦ والحجة ١/٣٠٧ .

(٧) سورة المؤمنون آية ٣٧ وسورة الجاثية آية ٢٤ .

(٨) سورة النجم آية ٤٤ .

(٩) سورة الأنفال آية ١٤ .

(١٠) الحجة ١/٣٠٧ .

ولم تكن هذه الإمالة الشديدة أو المشبعة مستحسنة ، فقد ذكر عن الفراء أن « الممال كثير فى كلام العرب ، فمنه مايكون فى كثرة الاستعمال تفخيمه وإمالته سواء ، ومنه مايكون أحد الأمرين فيه أكثر وأحسن ، وكان عاصم يفرط فى الفتح ، وحمزة يفرط فى الكسر ، وأحسن ذلك : ماكان بين الكسر المفرط ، والفتح المفرط » (١) .

ومقدم اللسان يرتفع إلى مايقارب نقطة المعيارية (e) وهو العلة التالية للكسر المحض (i) غير أن نقطة ارتفاعه تكون دونها ، وأكثر انسحابا إلى الخلف ، وتنفرج الشفتان ولكن دون قدر انفراجها مع المعيارية المذكورة .

(٥) وثمه حركات مشوبة ، تعد من قبيل الإمالة فى الحركات القصيرة ، ومنها : إشمام الكسرة حركة الضمة ، ومنه : قراءة الكسائى ، وهشام ، رويس (٢) « قُيلَ » ، « وغُيض» (٣) و « جُيىءَ » (٤) و « سَيق » (٥) قال الدانى : أما الحركة المشمة فى نحو « سيىء » ..... فحقيقتها : أن ينحى بكسرة أوائل هذه الأفعال نحو الضمة يسيرا ؛ ليدل بذلك على أن الضم الخالص أصلها ، كما ينحى بالفتحة الممالة نحو الكسرة قليلا ؛ ليدل بذلك أيضا على انقلاب الألف عن الياء ، وليقرب بذلك من كسرة قبلها وبعدها » (٦) .

---

(١) شرح المفصل ٥٤/٩ .

(٢) النشر ٢٠٨/٢ والكشف ٥٤/٢ .

(٣) سورة هود آية ٤٤ .

(٤) سورة الزمر آية ٦٩ وسورة الفجر آية ٢٣ .

(٥) سورة الزمر آية ٧١ ، ٧٣ .

(٦) المحكم ٤٨ وانظر سر صناعة الإعراب ٥٨/١ .

ويذكرنا هذا بصوت المد المركب Diphthong الذى يتخذ فيه اللسان موضع حركة ثم ينتقل إلى موضع حركة أخرى ، إذ يبدأ اللسان من موضع نطق الكسرة ، وينتهى بموضع الضمة وتصاحبه حركة الشفتين فى حالة انفراجهما مع الكسرة ، ثم استدارتهما لنطق الضمة (١) .

وينبغى ملاحظة أن الإشمام فى المتحرك يكون مسموعا ، أما فى الساكن فيكون منظورا (٢) .

(٦) إشمام الضمة حركة الكسرة : كان الأخفش يميلها (٣) ، ويخلص الواو ساكنة فى نحو « ابن مَذْعِورٍ وابن بِوْرٍ » وكان سيبويه (٤) يروم الحركة فى الواو ، ولا يميلها حتى لا تمال الضمة قبلها ، وجعلها ابن جنى من الضمة المشوبة بالكسرة ، والواو المشوبة بالياء .

وهذا أيضا كالصوت المركب السابق مع اختلاف حركة اللسان والشفتين .

قراءة النبى ﷺ بين معايير الإمالة

بَيَّنَ العرض السابق أن للإمالة درجات متفاوتة ، وأنها تتراوح بين الشديدة المفرطة فى جنوحها نحو الياء ، وبين الخفيفة التى يُشم فيها حسبُ رائحة الكسر .

---

(١) انظر الأصوات اللغوية ١٦١ ط سادسة ، وأسس علم اللغة ـ ماريوباى ١٥٠ ودراسة الصوت اللغوى ١٠٤ ، ١١٦ ، ١١٨ وأصوات اللغة د/أيوب ١٧١ ـ ١٧٤ ، دروس فى علم أصوات العربية ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٢) الكشف ٢/٥٤ .

(٣) شرح السيرافى على سيبوية ٣٥٢ وسر الصناعة ١/٥٣ والنكت ٢/١٠٨٨ .

(٤) المراجع السابقة ، والكتاب ٤/ ١٤٣ .

كما بَيَّن أن هذه الدرجات تكون فى الحركات الطويلة والقصيرة ، ونود أن نبين نسبة الإمالة فى قراءة النبى ﷺ « يَحْيِى » و « طِهِ » بين تلك المعايير .

و « يَحْيَى » هو ابن زكريا عليهما السلام ، وقد اختُلف (١) فى وزنه ، فقيل : هو « فَعْلَى » وقيل : هو « يَفْعَل » والأول مذهب الكسائى ، والثانى مذهب سيبويه .

وعلى الأول وردت درجات مختلفة من الإمالة :

- فقد روى عن حمزة ، والكسائى ، وخلف أنهم كانوا يُميلون كل اسم يأتى على « فَعْلَى » ومنه « يحيى » .

- وروى عن أبى عمرو أنه كان يميله بين اللفظين ، وكذا عن ورش .

- وروى عنه ـــ أيضا أنه كان يميل ذلك إمالة لطيفة .

- وروى عنه ـــ أيضا الفتح ، ذكره مكى (٢) ، وابن الجزرى (٣) .

وقال ـــ الأصبهانى (٤) فيما كان على « فعلى » بتثليث الفاء : « قرأنا فى رواية محمد بن إسحاق البخارى جميع ذلك بالفتح اللطيف ، وكان يقول : لا ندرى « بين الفتح والكسر » ماهو ، إنما أمرونا ألا نفتح فتحا شديدا ، وبه قرأنا ، وهو الصواب » .

---

(١) انظر التيسير ٤٧ والكشف ١/١٨٥ والمبسوط ١١٣ ، ١١٧ والنشر ٢/٣٦ والإقناع ١/٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٢) الكشف ١/١٨٥ والمراجع السابقة .

(٣) النشر ٢/٣٦ .

(٤) المبسوط ١/١١٧ .

وهـذه الروايـات واضحـة التفريق بين مصطلحـات « الإمالـة » و « بين اللفظين » و « الإمالة اللطيفة » وإطلاق الإمالة يعنى أنها المحضة ، وفى هذه تزيد درجة ميل الفتح إلى ناحيـة الكسـر ، أى أنهـا تجـاوز درجة « بين بين » وهى المتـوسطة ، إلى درجة نصف الضيقة ، فهى تأخذ اتجاها متخالفا مع قراءة « بين بين » و « الإمالة اللطيفة » .

والقراءة التى ارتضاهـا الأئمـة : هى التى « تجعل الحـرف بين بين » يقول الدانى : « وأختار الإمالة الوسطى التى هى بين بين ؛ لأن الغرض من الإمالة حاصل بها ، وهو الإعـلام بـأن أصل الألف اليـاء »[1] والمتـوسطة عند ابن الجـزرى[2] : بين الفـتح المـوسط ، وبين الإمالة الشديدة ، وهى التى ينبغى أن تكون عليه الألف فى الإمالة ، كما ذكر أبو على الفارسى[3] .

وقـد وصـف الفـراء إمـالة حمزة بالإفـراط ، ووصف الفارسى إمالتـه فى بعض المواطن بالشدة ، فقال الفراء : « وكان عاصم يفرط فى الفـتح ، وحمـزة يفرط فى الكسـر ، وأحـسن ذلك مـا كـان بين الكسـر المفـرط والفـتـح المفـرط »[4] وقال الفارسى : « وكان حمزة يميل هذه الحروف أشد من إمالة أبى عمرو ونافع »[5] .

ومن ثم نرجح أن تكون قـراءة النبى ﷺ مـن هذا النـوع المستحسن ، ويمكن حينئذ تصنيفها في النوع الثالث الذى وصفه مكى[6] بأنه « لا هو مفتوح محض ، ولا ممال

---

(١) النشر ٢/ ٣٠.

(٢) السابق .

(٣) الحجة ١/ ١٨٣ .

(٤) المبسوط ٢٩٣ وشرح المفصل ٩/ ٥٤ .

(٥) الحجة ١/ ٣٠٧ .

(٦) الكشف ١/ ١٨٣ .

محض » وهو « بين بين » والذى يتخذ فيه مقدم اللسان نقطة ارتفاع متوسطة بين المعياريتين (٤) و (e) مع انسحاب قليل إلى الخلف ، وتكون الإمالة ها هنا : حركة أمامية متوسطة بين النصف واسعة ، والنصف ضيقة .

أما قراءة النبى ﷺ « طِهِ » بإمالة الهاء والطاء .

فإن « طهَ » مركب من حرفى هجاء ، صوت كل منهما : طا = ص ح ح ، ها = ص ح ح .

فثم حركتان طويلتان ، وقد اختلف القراء فى درجة فتح وإمالة الجزءين ، على النحو الآتى :

في الجزء الأول : « طا »[1] .

فتح شديد : عاصم ، وابن كثير ، وابن عامر ، يعقوب ، حفص .

فتح : أبو عمرو ، ابن مجاهد ، ورش ، الأصبهانى ، قالون .

إمالة متوسطة : نافع ، أبو معشر الطبرى .

إمالة محضة : حمزة ، الكسائى ، خلف .

---

(١) انظر النشر ٢/ ٧١ ، ٧٢ والتيسير ١٥٠ والكشف ١/ ١٨٧ والاقناع ١/ ٣٢١ ، والمبسوط ٢٩٢.

الجزء الثانى : « ها » (١) .

فتح شديد : عاصم ، ابن كثير ، حفص .

فتح : أبو جعفر ، نافع ، يعقوب ، ابن عامر ، ابن مهران ، ابن مجاهد .

إمالة متوسطة : أبو عمرو ، ورش ، قالون ، أبو إسحاق الطبرى ، ورواية عن نافع ، وأبى جعفر .

إمالة شديدة : حمزة ، الكسائى ، خلف ، الأزرق .

وهكذا نرى اختلاف مراتب الإمالة فى الجزء بين بين الفتح الشديد ، وبين الإمالة المحضة .

واختيار الأئمة منصرف إلى التوسط بينهما ، فقد نص الأ صبهانى (٢) على أن القراءة المأخوذة « لفظا بالفتح ، إلاأنه ليس بالفتح الشديد ، وكذلك قال محمد ابن إسحاق وغيره ، لاندرى بين الفتح والكسر ما هو ؛ إنما مرونا ألا نفتح فتحا شديدا ، وقرأ أبو عمرو «طَهِ » بفتح الطاء وكسرُ الهاء كسرا لطيفامن غير إفراط ، وكذلك جميع مايكسره من الحروف لايكسره إلا لطيفا مستحسنا غير مستشنع » .

وقد أعجب به الفراء ، واستكره تفخيم عاصم ، وإفراط حمزه فى الإمالة ، فقد روى عنه خلف بن هشام : « أفرط حمزة فى الكسر ، وأفرط عاصم فى الفتح ، وأحب إلى أن تكون القراءة بين ذلك كقراءة أبى عمرو » (٣) .

---

(١) انظر النشر ٢ / ٦٨ والتيسير ١٥٠ والكشف ١ / ١٨٦ ، ١٨٧ والإقناع ١ / ٣٢١ والمبسوط ٢٩٢.

(٢) المبسوط ٢٩٣ .

(٣) السابق وانظر شرح المفصل ٩ / ٥٤ .

ومن ثم فإننا نرجح أن تكون إمالة النبى ﷺ على هذا النحو المتوسط المستحسن ، كما هو الشأن فى القراة السالفة .

مصدرهااللهجى

ذكر الهذلى فى كامله (١) خبرا مفاده أن الإمالة لم تكن من لغة قريش خاصة ، ونصه : « حدث أبو الرماح ، صفوان بن عسال أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ « يايَحْيِى خذ الكتاب بقوة » فقيل لرسول الله ﷺ أتميل وليس هى لغة قريش ؟ قال : « هى لغة الأخوال » « يعنى بنى سعد » .

وأن الصحابة لما انتقلوا من المدينة ومكة إلى العراق ، وأخذوا بلغة أهل الأنبار ، حتى إن رجلا سمع سعد بن أبى وقاص بعد قدومه إلى القادسية يقرأ « موسى » و « عيسى » و « يحيى » بالإمالة ، فقال : إن أبا إسحاق جاور أهل الأنبار (٢) .

وأن هارون الرشيد حين قدم مكة ، وقَدَّمَ الكسائى ليصلى بهم ، فقرأ سورة « والنجم » فأ مال ، فتفرقوا من خلفه وشغبوا عليه (٣) .

وقد أطبقت الرواية على نسبة الفتح أو التفخيم ـ فى مقابلة الإمالة ـ إلى عموم أهل

---

(١) الكامل فى القراءات الخمسين لوحة ٨٢ .

(٢) السابق لوحة ٨٠ .

(٣) نفسه لوحة ٨١ .

الحجاز ، وكأن الرواة يتناقلون هذه النسبة خلفا عن سلف ، حتى فى هذا القدر الذى يميله بعضهم (١) .

بيد أنهم يتجاوزون هذا التعميم فيما يخص الإمالة ، إذ نسبها بعضهم إلى عامة أهل نجد ، ثم عينوا منهم تميما ، وقيسا ، وأسدا ، وزاد بعضهم هوازن ، وبكر بن وائل ، وسعد بن بكر ، وأضاف بعضهم أهل اليمن ، فقد نقل السيوطى (٢) عن أبى بكر ابن مقسم « أن أكثر أهل اليمن يميلون ألف « حتى » لأن الإمالة غالبة على ألسنتهم فى أكثر الكلام » .

وثمة مايدل على أن الإمالة كانت فى بعض أهل الحجاز أيضا ، فقد نص سيبويه (٣) على أنه « مما يميلون ألفه : كل شيىء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين ، إذا كان أول « فَعَلْت » مكسورا، نَحَوْا نحوالكسر ، كما نَحَوْا نحو الياء فيما كانت ألفه فى موضع الياء ، وهى لغة لبعض أهل الحجاز ، فأما العامة فلا يميلون » وذكر هذا أيضا ابن السراج ، والسيرافى (٤) ، وأبو حيان ، وغيرهم .

---

(١) انظر الكتاب ١١٨/٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ والسيرافى النحوى ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ والأصول ٣/ ١٦١ ، ١٦٢ وشرح المفصل ٥٤/٩ وشرح الشافية ٤/٣ ، ٢٥٥ والبحر المحيط ٥٩/١ ، ٧١ ، ١٧٢/٦ والنشر ٣٠/٢ ، وإبراز المعانى ١٢٥ والمحكم للدانى ١٨٩ ومقدمتان فى علوم القرآن ٢٢٧ و اللهجات العربية فى التراث ٢٧٥ ـ ٢٩٢ والإمالة فى القراءات واللهجات العربية ٦٩ ـ ٩٦ فى اللهجات العربية ٦٠ ـ ٦٩ اللهجات العربية نشأة وتطورا ١٩٤ ـ ٢٠٩ .

(٢) الهمع ٢٠٤/٣ .

(٣) الكتاب ١٢٠/٤ .

(٤) الأصول ١٦٢/٣ والسيرافى النحوى ٣١٢ .

وذُكر أيضا (١) عن ابن أبى إسحاق أنه سمع كثير عزة يقول : صارَ بمكان كذا وكذا .

وكثير عزة خزاعي ، وخزاعة من الأزد وقيل عدنانية ، وكانت منازلهم بأنحاء مكة في مر الظهران ومايليه ، فإن صحت عدنانيتهم ثبتت الإمالة فى الحجاز ، وقيل هم قحطانيه وخزاعة هو كعب بن عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف (٢) ، فإن صح هذا فإنه يؤكد نسبة الإمالة إلى أهل اليمن ، وأنها حلت معهم أينما حلوا سواء أكان ذلك فى الشام أم فى الحجاز ، بعد أن فارقوا اليمن فى سيل العرم ، ونزل بعضهم مكة .

وقد ذكر ابن الأنبارى (٣) أيضا أن « الإمالة تختص بلغة أهل الحجاز ومن جاورهم من بنى تميم وغيرهم » وهذا وإن كان ظاهرا فى دلالته على قصد أهل البداوة من الحجازيين ، فإنه استثناء فى إطلاق العلماء .

وأيضا ، فقد أثبتت المقارنات بين حركات المد فى فروع السامية أنها تشترك فى الحركات الثلاث الأصلية ، وفى الحركة الرابعة « e » وهى المعروفة فى الإمالة ، وقد صارت إلى « a » فى العربية الفصيحة (٤) ، يقول كانتينو (٥) : « كانت الإمالة ظاهرة قديمة ؛ إذ هى تظهر فى نقل أسماء الأعلام العربية بأحرف اللغة اليونانية » .

---

(١) الكتاب ٤ / ١٢١ .

(٢) انظر نسب معد واليمن الكبير ٤٩٣ وجمهرة أنساب العرب ٢٣٥ والإنباه على قبائل الرواة ٩٦ والإشتقاق ٤٦٨ والعقد الفريد ٣ / ٣٨١ .

(٣) اسرار العربية ٤٠٦ .

(٤) التطور النحوى ٦٠ .

(٥) دروس فى علم أصوات العربية ١٥٩ .

ويقول برجشتراسر « فنرى من رسم القرآن أن الفتحة الممدودة كانت ممالة عند الحجازيين في أواخر كثير من الكلمات نحو « إلى » و « إحدى » و « رمى » .....

والفتحة الممدودة فى مثل « رَمَى » نشأت من اتحاد « aya » فى « رَمَىَ » فالأرجح أن الياء كانت أثرت فى نطق الفتحتين المجاورتين لها ، وأمالتهما إلى « e » فصارت الحركة المتحدة « e » لا « a » فيتضح أن لهجة الحجاز حافظت على كثير من الفتحات الممالة ، وأى « e » الموجودة فى اللغة السامية الأم ، ولم تبدلها بالفتحة الخالصة ، مع أكثر لهجات العرب ، ولم تحتفظ بها كلها » (١) .

الإمالة إذن ظاهرة متأصلة ، ولها جذورها الضاربة فى العراقة ، وهى من طبائع أهل الفصاحة كما ذكر الكسائى (٢) ، وقد اتسعت رقعة المتكلمين بها ، من أهل اليمن ، إلى الحجاز ، والشام ، ونجد ، ومن ثم يقول سيبويه :

« الإمالة أكثر فى كلامهم » (٣) ويقول الدانى : « الإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ..... » (٤) .

وإذا كان القرآن نزل بالتفخيم « الفتح » فإن الله تعالى أجاز لنبيه أن يقرأ على سبعة أحرف كلهن كاف شاف ، وقال ﷺ : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها » وفسر أبو عمرو : لحونها وأصواتها بمذاهبها وطباعها (٥) .

---

(١) التطور النحوى ٦٠ .

(٢) النشر ٢ / ٨٢ .

(٣) الكتاب ٤ / ١٢٧ .

(٤) عن النشر ٢ / ٣٠ .

(٥) الأحرف السبعة للدانى ٤٤ .

وقراءة النبى ﷺ بها تشريف ، واعتزاز بلغة الأخوال رضعائه من بنى سعد بن بكر ، وهم عليا هوازن أفصح العرب بعد قريش ، باتفاق الرواة .

وقد تمثل الإمالة آل بيت النبى ﷺ اقتداء به ، واستحسانا لقراءته ﷺ ، فقد روى الهذلى بسنده عن يزيد بن القعقاع : سمعت عبد الله بن العباس الهاشمى يقول : قالت فاطمة لفضة جاريتها : اسقنى ماِ ، فرققت وأمالت ولينت فتركت الهمز » (١) .

وروى عاصم : أقرأنى على بن أبى طالب رضى الله عنه « رَأىِ كَوكبِا » بالإمالة (٢)

وافتخر القراء بعلو إسناد قراءة الإمالة ، فقال حمزة : « قرأت على الأعمش ، وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب ، وقرأ يحيى على زر بن حبيش ، وقرأ زرعلى ابن مسعود ، وقرأ ابن مسعود على رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله تعالى ، هل للنحويين إسناد مثل هذا ؟ » (٣)

---

(١) الكامل لوحة ٨٢ .

(٢) السابق .

(٣) نفسه لوحة ٨١ .

فى المماثلة بين الصوامت

روى أن النبى ﷺ قرأ :

(٩) قوله تعالى : ﴿ والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ (١) : « والنَّخْلَ بَاصِقَاتٍ » (٢) .

(١٠) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ بالدال المهملة (٣) .

و ﴿ باسقات ﴾ بالسين قراءة النبى ﷺ أيضا (٤) ، وهى قراءة ابن عباس فى جميع القرآن (٥) ، ويقال : : إن رسمها فى مصحفه كذلك (٦) .

وقد نص العلماء على أن السين هى الأصل ، فعن الكسائى : « السين فى ﴿ الصِّراط ﴾ سين فى كلام العرب ، ولكنى أقرأ بالصاد اتباعا للكتاب » (٧) .

---

(١) سورة ق آية ١٠ .

(٢) نسبت هذه القراءة ـ بالصاد المهملة ـ إلى النبى ﷺ فى جزء الدورى ١٥١ والمحتسب ٢ / ٢٨٢ وشواذ القراءة للكرمانى لوحة ٢٢٨ والكشاف ٤ / ٥ والبحر المحيط ٨ / ١٢٢ وتفسير القرطبى ١٧ / ٧ ومقدمتان فى علوم القرآن ٢٢٣ .

(٣) سورة القمر آية ١٥ .

نسبت هذه القراءة إلى النبى ﷺ فى معانى القرآن للفراء ٣ / ١٠٧ وجزء الدورى ١٥٥ ، ١٥٦ وصحيح مسلم ٢ / ٢٠٦ باب مايتعلق بالقراءات ، وسنن أبى داود حديث رقم ٣٩٩٤ وانظر تفسير الطبرى ٢٧ /٩٦ .

(٤) ذكره الدورى ١٥١ وابن جنى فى المحتسب ٢ / ٢٨٢ .

(٥) حجة القراءات لأبى زرعة ٨٠ .

(٦) عن اللهجات العربية فى التراث ٤٤٣ عن تاريخ المصاحف لجفرى .

(٧) الإقناع فى القراءات السبع ١ / ٥١٥ .

وذكـر الأخفش اللغتين ، وقـال : « إلا أنـا نختار الصاد ؛ لأن كتابها على ذلك فى جميع القرآن » (١) .

ونقل الفارسى حجة ابن السراج فى ذلك ، وهى : أن « للقارىء بالسين أن يقول : هو أصل الكلمة ، ولو لزم لغة من يجعلها صادا مع الطاء لم يعلم ماأصلها » (٢) .

وكذلك لزم ابن كثير القراءة بالسين فى جميع القرآن محتجا بأنها الأصل ، وأنه لاينتقل عن الأصل إلى ماليس بأصل (٣) . وقال أبو حاتم : وقرأ يعقوب ، وقنبل ، ورويس ، بالسين فى كل موقع من القرآن الكريم (٤) .

العلاقة بين السين والصاد ، وأصوات التفخيم

تشترك السين والصاد فى المخرج ، والصفة ، غير أن الصاد مستعلية نظرا لارتفاع مؤخر اللسان معها إلى الحنك الأعلى ، وانسحابه قليلا إلى الخلف ، فهى مطبقة « مفخمة » أما السين فهى متسفلة مرققة .

ولكل من الصوتين فونيم مستقل فى العربية ، ويظهر أثره فى الفرق بين « صَبَرَ » و « سَبَرَ » و « صاحب » و « ساحب » ..... إلخ .

---

(١) معانى القرآن ١ / ١٦ .

(٢) الحجة فى علل القراءات السبع ١ / ٣٦ .

(٣) حجة القراءات لأبى زرعة ٨٠ والكشف ١ / ٣٤ .

(٤) المبسوط ٨٦ وإرشاد المبتدى ٢٠١ ، ٢٠٢ والإتحاف ١٢٣ .

وقد يتحدان فى فونيم واحد فى حالة الإبدال الحر ، نحو « الرَّسَح » و « الرَّصَحُ » (١) و « الحَرْبَسيس » و « الحَرْبَصيص » (٢) أو فى الإبدال المقيد ، نحو « بَسْطَةً » و « بَصْطَةً » و ﴿ باسِقاتٍ ﴾ و ﴿ باصِقَاتٍ » ..... إلخ .

فالصوت فى الإبدال الحر ، والإبدال المقيد يفقد قيمته الوظيفية ، ويظل مجرد ألفون Allephon والإبدال المقيد كثير فى اللغة ، ويكاد يكون مطردا ، وذلك إذا وقع بعد السين فى كلمة واحدة صوت من الأصوات الآتية :

القاف ـ الطاء ـ الغين ـ الخاء .

وهذه الأصوات مفخمة ، ويجب أن تحتفظ بهذه الصفة ؛ لارتباطها بقيمها الوظيفية .

والسين مرققة ، ولاتفقد قيمتها باعتبارها فونيما في الكلمة إذا غلب عليها التفخيم الثابت في الأصوات المجاورة لها .

فاللسان يعمل بصورة تلقائية على الملاءمة بين ألفونات الأصوات ، وبحيث لا يؤثر على قيمها الوظيفية ، فيضفى على السين من ظلال التفخيم المجاور ، فيبدو التماثل فى عمله على نحو واحد .

فعملية المماثلة إذن تقتضى النظر إلى العلاقة بين السين والصاد من ناحية ، وإلى العلاقة بين السين والأصوات المجاورة من ناحية أخرى (٣) .

---

(١) الرَّصَح : لغة فى الرَّسَح ، رجل أرْسَحُ وأرْصَحُ ، وامرأه رَسْحاءُ ورَصْحاءُ ، وهو الذى لا عجز له . جمهرة اللغة ٥١١ ، ٥١٥ تح بعلبكى .

(٢) يقال : مايملك حَرْبَصيصا ، وحَرْبَسيسا ، أى : مايملك شيئا ، جمهرة اللغة ١٢١٩ والإبدال لأبى الطيب اللغوى ١ / ٢٨١ ، ٢ / ١٩٣ .

(٣) انظر الكتاب ٤ / ٢٧٩ ، ٤٨٠ والمقتضب ١ / ٢٢٥ والخصائص ٢ /١٤٢ ، ١٤٣ ، ٢٢٧ وسر الصناعة ١ / ١٨٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ والمنصف ٢ /٣٢٤ ، ٣٢٥ وشرح المفصل ١٠/٥١ ، ٥٢ .

والسين فى « باسقات » سابقة على القاف ، ولا يفصلها عنها فى الكلمة سوى حركة السين « فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ؛ ليكون العمل من وجه واحد ، وهى الصاد ؛ لأن الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للإطباق » (١) .

وينبغى التنبه هنا إلى أن الفاصل بين السين وحروف الإطباق غير مؤثر على عملية التماثل ، فقد تمت مع وجوده فى نحو « الصِّراط » و « الصِّلقم » (٢) بدل « السراط » و « السلقم » .

والقيد فى هذه الظاهرة يدل على أن السين أصل فى الصاد ، وقد أثبتت المقارنات أن « الصراط » من اليونانية « ستراتَ » بمعنى طريق ، مأخوذة من الأصل اللاتينى Strata ثم انتقلت إلى العربية عن طريق الآرامية التى تبدل فيها التاء طاء (٣) .

وقد علل بعضهم أصالة السين بأنه « لو كانت الصاد هى الأصل ماجاز أن ترد إلى السين ؛ إذ لا علة توجب ذلك ، وإذ لا ينقل الحرف إلى أضعف منه ، والصاد أقوى بكثير ؛ لإطباقها واستعلائها ، فإذا لم يجز أن ترد الصاد إلى السين ، وجاز رد السين إلى الصاد علم أن السين هى الأصل ، والصاد داخلة عليها لعلة » (٤) .

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٨٠ .

(٢) بعير سلقم وصلقم : شديد الفك يكسر كل مامضغه ، وهى السلقمة والصلقمة . جمهرة اللغة ١١٥٦ والإبدال لإبى الطيب اللغوى ٢ / ١٩٣ .

(٣) انظر دراسات مقارنة فى المعجم العربى ١٢٤ والساميون ولغاتهم ١٣٤ .

(٤) مكى فى الكشف ١ / ٣٠٢ وانظر ١ / ٣٤ .

القراءة بالصاد

على الرغم من تأكيد أصالة السين ، فقد استحسنت القراءة بالصاد لأسباب ، منها :

- كتابتها فى المصحف الإمام بالصاد ، وقد كانت كتابته على لفظ ورسم لغة قريش (١) .

ولهذا السبب آثر الكسائى ، وعاصم قراءتها بالصاد (٢) ، وسبق لهذا اختيار الأخفش ، ونحوه أبو حاتم فى قوله : « وأختار فى ذلك أن يتبع خط المصحف » (٣) .

- الخفة الناشئة عن التماثل ، فقد علل ابن السراج (٤) اختياره الصاد بالخفة ، والحسن فى السمع ، وعدم الإلباس ، يعنى به أن تفخيم السين لايترتب عليه تغيير فى المعنى .

ويحتج أبو على الفارسى لذلك قائلا : « ويدلك على أن حسن إبدال الصاد من السين فى « سراط » لما ذكرت لك من كراهة التصعد بعد التسفل :

---

(١) المصاحف للسجستانى ٢٤ ومنجد المقرئين ٢٢ .

(٢) الإقناع ١ / ٥١٤ ، ٥١٥ .

(٣) الكشف ١ / ٣٠٣ .

(٤) انظر الحجة للفارسى ١ / ٣٧ والاتحاف ١٢٣ والبحر المحيط ١ / ٢٥ .

أن من يقول : « صويق » و « صقت » إذا قال : « قست » و « قسوت » لم يبدل الصاد منها ؛ لأنه الآن ينحدر بعد الإصعاد ، وهذا يستخف ، ولا يستثقل كما استثقل عكسة ..... فكذلك فى باب « صراط » و « صويق » و « صالخ » و « صالغ » لما أريد فيه ذلك ترك الأصل إلى تشاكل الصوتين وتجانسهما ..... » (١) .

ـ أنها اختيار جمهرة القراء ، فقد نعتها العلماء بالفصاحة ، إذ هى لغة قريش ، وأنها قراءة الجمهور (٢) ، وأن من قرأ منهم بالسين قرآ بالصاد أيضا ، وقد جمع مكى هذا فى قوله : « والصاد هو الاختيار للمطابقة فى اللفظ ، والمجانسة بين الحرفين ؛ ولأن عليه خط المصحف ؛ ولأن عليه أكثر القراء » (٣) .

مصدرها اللهجى

حملت القراءة بالصاد على ظاهرة التماثل ، وعزيت هذه الظاهرة إلى كل من تميم بعامة ، وعمرو بن تميم ، وبلعنبر منهم بخاصة ، وأهل العالية ، وهوازن ، وقريش ، وبنى سليم ، وهذيل .

---

(١) الحجة ١ / ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) البحر المحيط ١ / ٢٥ والحجة ١ / ٣٧ والمبسوط ٨٦ والإقناع ٢ / ٥٩٥ والعنوان فى القراءات السبع ٦٧ .

(٣) الكشف ١ / ٣٠٣ وانظر ١ / ٣٤ ، ٣٥ .

فقد عزاها أبو الطيب اللغوى (١) إلى مطلق تميم ، وحددها ابن أبى إسحاق فى عمرو ابن تميم ، إذ سأله يونس بن حبيب : هل يقول أحد : الصويق ؟ فقال : نعم ، تقولها عمرو بن تميم (٢) .

وحددها قطرب ، وابن دريد فى بلعنبر خاصة من بين عمرو بن تميم ، فعن قطرب أن « قوما من بنى تميم يقال لهم : بلعنبر يقلبون السين صادا عند أربعة أحرف » (٣) وقال ابن دريد : « السويق معروف ، وقد قيل بالصاد ، وأحسبها لغة لبنى تميم ، وهى لغة بلعنبر خاصة » (٤) .

وكان الفراء أكثر تحديدا حين عزاها إلى « نفر من بلعنبر » غير أنه أضاف أن ﴿ الصراط ﴾ بالصاد لغة قريش الأولين التى جاء بها الكتاب ، وأن عامة العرب تجعلها سينا » (٥) .

وعنه أيضا : أن « بنى سليم ، وهذيل ، وأهل العالية ، وهوازن يقولون : « هو أخوه صَوْغه » بالصاد ، وأكثر الكلام « سَوْغه » بالسين (٦) .

---

(١) الإبدال ٢ / ١٩٠ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ٧ وانظر اللهجات العربية فى التراث ٢ / ٤٤٦ ولغة تميم ١٥٣ .

(٣) الصحاح ، واللسان (صدغ) .

(٤) جمهرة اللغة ٨٥٣ .

(٥) عن تهذيب اللغة ١٢ / ٣٣٠ وانظر اللسان (سرط) وفى اللهجات العربية ١٢٩ ط رابعة واللهجات العربية فى التراث ٢ / ٤٤٤ ولغة تميم ١٥٣ .

(٦) اللسان (صوغ) .

ونلاحظ من خلال هذه النصوص :

- أن هذه الظاهرة لا تخضع لما قرره بعض المحدثين (١) من أن القبائل البدوية تميل إلى الأصوات المفخمة ، وأن القبائل الحضرية تميل إلى الأصوات المرققة ، فقد بينت الرواية أنها فى القبائل الحضرية أيضا ، مثل قريش ، وهذيل ، وسليم .

- وأنها محدودة رغم نسبتها إلى تلك القبائل ؛ فإن سؤال يونسُ بنُ حبيب ابنَ أبى إسحاق : « هل يقول أحد « الصويق » ؟ » وحصرها فى بلعنبر ، أو فى نفر منها مما يؤكد هذا .

- وأنها ظاهرة مقيدة ، من حيث الموقعية ، والأصوات ، فلا بد لكى تتم المماثلة أن تتقدم السين على الأصوات المستعلية المحددة فى القاف ، والخاء ، والغين ، والطاء ، وأن يكون ذلك فى كلمة واحدة ، سواء بفاصل أم بغير فاصل ، وقد اشتهرت على هذا النحو باطراد فى بلعنبر ، ومن ثم عدوها قياسا فى لغتهم .

- وأن السين هى الأصل كما تقرر قبل ، والصاد ناشئة عن عملية التماثل وتحقيق الانسجام بين الأصوات المتجاورة ، وهى ظاهرة مستحسنة ، فأخذت بها قريش ومن جاورها ، وقد اشتهر عنها تخيرها الصفات المستحسنة من لهجات القبائل .

- وأن الروايات التى تذهب إلى أن الصاد أصل فى لغة قريش ، كرواية الفراء ، وما نقله أبو حيان عن الطوسى (٢) من أنها بالصاد لغة قريش ، وأنها اللغة الجيدة ، إنما تعنى القراءة لا أصل اللغة ، فقد قرأ النبى ﷺ بالسين أيضا ، وكذلك قرأ ابن عباس بالسين فى جميع القرآن ، ورسمها فى مصحفه أيضا بالسين .

---

(١) دكتور إبراهيم أنيس فى اللهجات العربية ١٢٧ وما بعدها ط رابعة .

(٢) البحر المحيط ١ / ٢٥ .

وبالإضافة إلى كثرة من ذكر أن الأصل هو السين[1] ، فإن الفراء الذى روى عنه أن الصاد أصل في لغة قريش ، روى عنه أيضا أن « نفرا من بلعنبر يصيرون السين إذا كانت مقدمة ، ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء أو صاد »[2] .

وأبو حيان الذى نقل الرواية السابقة عن الطوسى ، يقول : « روى قطبة بن مالك عن النبى ﷺ أنه قرأ « باصقات » بالصاد ، وهى لغة لبنى العنبر ، يبدلون من السين صادا إذا وليتها ، أو فصل بحرف أو حرفين ، خاء ، أو غين ، أو قاف ، أو طاء »[3] .

وهذا كله يدل على أن السين هى الأصل في لغة قريش ، وأن الصاد ناشئة عن ظاهرة التجانس الصوتى ، وليس ثمة ما يمنع من احتفاظ قريش بالأصل في لغتها النموذجية ، إلى جانب اللغة الثانية التى تمثلها قراءة النبى ﷺ وقد ثبت أن ظاهرة التماثل كانت منتشرة في القبائل الحضرية أيضا كقريش ، وهذيل ، وسليم .

وأيضا فإن قراءة القرآن تتطلب تحقيقا فى الأداء أكثر مما يتطلبه غيرها من مرسل الكلام ، وهذا يقتضى القراءة بالسين على الأصل ، وقد أبيح للنبى ﷺ أن يقرأ القرآن على سبعة أحرف .

وتفخيم السين على قيد هذه الظاهرة صفة مستحسنة ، تكيفها أعضاء النطق تلقائيا ، وتجنح إليها بطبيعتها ، لما فيها من خفة على اللسان ، وليس كما زعم بعض المحدثين[4] من أن القبائل الحضرية تتخلص من أصوات الإطباق ، فإنه فى حالة الملاءمة بين الأصوات يعتبر ميلا إلى الأيسر والأخف على اللسان .

---

(١) انظر الحجة للفارسى ٣٦/١ والمحتسب ٣٤٦/٢، ٣٤٧ وإتحاف فضلاء البشر ١٢٣ والكشف ٣٤/١، ٣٠٣ .

(٢) تهذيب اللغة١٢/ ٣٣٠ .

(٣) البحر المحيط ١٢٢/٨.

(٤) د / أنيس فى اللهجات العربية ١٢٤ ط أربعة .

أما قراءته ﷺ ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ فهى قراءة الجمهور ، والقراءة المختارة فى المصحف الإمام .

وقد قرأ ابن مسعود ، وقتادة ، وعيسى بن عمر ، وأبو حيوة « مُذْكِرٍ » بالذال المعجمة المشددة (١) .

وابن مسعود ـ رغم قراءته بالذال المعجمة ـ هو الذى روى القراءة عن النبى ﷺ (٢) فقد حكى الفراء (٣) « حدثنى الكسائى ـ وكان والله ماعلمته إلا صدوقا ـ عن إسرائيل والقرزمى عن أبى إسحاق عن الأسود بن يزيد ، قال : قلنا لعبد الله : « فَهَلْ من مُّذْكِرٍ » أو ﴿ مُّدَّكِرٍ ﴾ ؟ فقال : أقرأنى رسول الله ﷺ ﴿ مُّدَّكِرٍ ﴾ بالدال » .

وفى رواية أخرى عنه أيضا : « سمعت النبى ﷺ يقرأها ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ فقال رجل « مُّذْكِرٍ » بالذال ، فقال النبى ﷺ : « لا ولكن مُّدَّكِرٍ » (٤) .

التفسير الصوتى لهذه القراءة

مُدَّكِر : مُفْتَعِل من الذكر ، والأصل : مذتكر .

---

(١) مختصر شواذ القراءة لابن خالويه ١٤٨ وشواذ القراءة للكرمانى ٢٣٣ ، ٢٣٤ والكامل فى القراءات الخمسين للهذلى لوحة ٢٤٠ وقد نص الكرمانى على أن قراءة قتاد بتشديد الذال والكاف . ونقل أبو حيان عن صاحب اللوامح أن قراءة قتادة « مُذَكِّر » فاعل من التذكير ، أى : من يذكر نفسه وغيره بما مضى . البحر المحيط ٨ / ١٧٨ .

(٢) ذكره الدورى فى جزئه ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) فى معانى القرآن ٣ / ١٠٧ .

(٤) ذكرها الدورى فى جزئه ١٥٦ .

وفى نحو هذا تقوم أعضاء النطق بعملية تقريب بين الصوامت فى الكلمة ، فتستبدل التاء المهموسة بصوت مجهور من نفس مخرجها ، يحمل بعض صفاتها الدالة عليها ، كالشدة ، ويكون مناسبا للصوت الذى قبلها فى أهم صفة من صفاته ، وهى : الجهر .

والصوت الذى تتحقق فيه تلك الصفات هو الدال ، فتصير الكلمة إلى مُذْدكر .

ويلاحظ هنا أن الدال مبدلة من حرف زائد ، وهو التاء ، وهذا يعنى أن عملية التقريب لا تفرق بين الأصول والزوائد ؛ لأنها عملية صوتية بحتة .

كما يلاحظ أن التتابع الصوتى « ذ + ت » معدوم فى نسج الكلمة العربية (١) ، ولهذا عملت أعضاء النطق على تحويله صوتا شديدا مجهورا .

ولكن التتابع « ذ + د » يكاد يكون معدوما أيضا فى تأليف الكلمة العربية ، وإحصاءات التتابع تؤكد ذلك (٢) .

وإن حكى أبو عمر الجرمى عنهم « اذْدكر » و « مُذْدكر » (٣) وأنشد بعضهم (٤) على تتابعهما فى الإظهار قول أبى حِكاك :

تَنْحى على الشوك جُرازا مِقْضبا والهَرْمَ تُذريه اذدراء عَجَبا

---

(١) انظر دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح ٣١ ولمعجم تاج العروسى ٥٠ ، ٥١ .

(٢) السابقان .

(٣) سر الصناعة ١ / ١٨٧ ، ١٨٨ والمنصف ٢ / ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٤) السابقان ، والممتع ١ / ٣٥٨ وشرح المفصل ١٠ / ٤٩ ، ١٥٠ .

فإن الإظهار هنا نادر ، وقد منع منه سيبويه ، واحتج بطريقة النحاة على وجوب إدغام الذال فى الدال وهما فى كلمة واحدة ؛ بأنهما يدغمان فى حالة الإنفصال ، قال : « وإنما منعهم أن يقولوا مُذْدكر ، كما قالوا : مُزْدان : أن كل واحد منهما يدغم فى صاحبه فى الانفصال ، فلم يجز فى الحرف الواحد إلا الإدغام ، والزاى لا تدغم فيها على حال ؛ فلم يشبهوها بها »[1] ،

والتفسير الصوتى يبين أن السر فى هذا الإدغام يكمن فى أن اللسان حالة النطق بالذال المعجمة يكون طرفه متقدما بين الثنايا ، وفى حالة نطق الدال المهملة ينسحب إلى الخلف ويعتمد على اللثة وأصول الثنايا العلى ، وفى نطق الدال بعد الذال سرعة انتقال من مخرج أمامى إلى مخرج خلفى ، وفى هذا صعوبة على اللسان ، فيلجأ إلى التخلص من الذال المعجمة فيدغمها فى الدال المجهورة مثلها ، ويرتفع بهما ارتفاعة واحدة . وحد الادغام فى نحو هذا : إدخال الصوت الأول فى الثانى[2] .

وهذا تماثل تام Complete assimilatin حدث بعد عمليتى تقريب أولاهما :

تأثر فيها الصوت الثاني بالأول وهذا ما يسمى بالتأثر التقدمي ، ثم تأثر الصوت الأول بالثاني ، وهذا ما يعرف بالتأثر الرجعي ، وهكذا تم تبادل تأثر وتأثير ، ولذا يسميه بعضهم تأثر تبادلى[3] .

---

(١) الكتاب ٤/٤٦٩ .

(٢) معانى القرآن للأخفش ١/٣٦٦ والكتاب ٤/١٠٤ والمقتضب ١/١٩٧ والجمل ٣٧٨ والخصائص ٢/١٣٩ ، ١٤٠ .

(٣) التطور النحوى ٢٩ ، ٣٠ .

وقد استجاد العلماء (١) هذا النوع من المماثلة ، وعدوه قياسا مطردا ، فقد ذكر ابن السراج أن هذا « ماعليه أكثر كلام العرب » (٢) وذكر الزجاج أنه الوجه (٣) ، وذكر المازنى وابن جنى أنه الأجود (٤) .

ونرى أن قوة هذه القراءة نابعة من دقة تطبيقها لأصل قانون الإدغام الذى يقتضى إدماج الصوت الأول فى الثانى ، وأنها تحقق القانون الصوتى الذى اعتد به اللغويون والقراء ، وهو : إدغام الأضعف فى الأقوى (٥) ، والدال أقوى من الذال ؛ لشدتها ، وجهرها ، فلذلك تغلبت عليها .

وهذا ماأكده المحدثون أيضا فيما يعرف بقانون القوة الذى أطلقة « Grammont » الفرنسى ، وهو يذهب إلى أنه « حينما يؤثر صوت فى آخر ، فإن الأضعف بموقعه فى المقطع ، أو بامتداده النطقى هو الذى يكون عرضة للتأثر بالآخر » (٦) .

وإن كان هذا القانون غير قطعى ، فإنه يفسر بعض الظواهر الصوتية من نحو المماثلة فى القراءة المذكورة .

---

(١) انظر الكتاب ٤ / ٤٦٩ والأصول ٣/ ٢٧١ ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٨٨ والبحر المحيط ٨/ ١٧٨ .

(٢) فى الأصول ٣ / ٢٧١ .

(٣) فى المعانى ٥ / ٨٨ .

(٤) المنصف ٢ / ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٥) انظر الكشف ١ / ٣٤ والنشر ١ / ٢٠٢ ولطائف الإشارات ١ / ٢٠٤ والخصائص ٢ / ١٥٢ ـ ١٦٨ والمنصف ٢ / ٣٢٨ وسر الصناعة ٢ / ٨١٤ ، ٨٢١ .

(٦) دراسة الصوت اللغوى ٣١٨ ، ٣١٩ وعلم الأصوات ـ مالبورج ٢٥٧ واللغة ـ فندريس ٩٥ ، ٩٦ .

أما القراءة الثانية « مُذكر » بالذال المعجمة المشددة ، فإن صوت الذال فيه تغلب على صوت الدال ، والذال أصل ؛ لأنها تمثل فاء الكلمة ، والدال مبدلة من زائد ، وهنا يقرر ابن السراج أن « من العرب من يكره أن يدغم الأصلى فيما هو بدل من الزائد ، فيقول « مُذكر » وهى قليلة » (١) .

غير أن التماثل تغيير صوتى بحت ، ولا يَعْتَدُّ بأصلى أو زائد ، كما سبق التنبيه إليه .

ثم إنه مخالف للقانون السابق ، وأصل حدِّ الإدغام ، فإن الذال أضعف من الدال ؛ لرخاوتها ، وسكونها ، وعلى الرغم من هذا فقد تغلبت عليها ، وهذا واقع لا محالة ، وقد سبق أنها قراءة ابن مسعود ، وقتادة ، وعيسى بن عمر ، وأبى حيوة .

وأيضا ، فقد نسبوها إلى بعض بنى أسد ، يقول الفراء : « وبعض بنى أسد يقولون : « مُذكر » فيغلبون الذال ، فتصير ذالا مشددة » (٢) .

ولهذا تضاربت أقوال العلماء فى توجيه هذه القراءة ، فذهب بعضهم (٣) إلى أن التاء قلبت ذالا من أول الأمر ، ثم أدخلت الذال الأولى فيها ، وهذا غير سديد ؛ لأنه يذهب بإحدى علاقتى المماثلة ، وهى : العلاقة الملحوظة بين المبدل والمبدل منه ، فقد اختيرت الدال لدلالتها على مخرج التاء ، وعلى صفة الشدة فيها ، ولما فيها من الجهر الذى فى الذال .

---

(١) الأصول ٣ / ٢٧١ .

(٢) معانى القرآن ٣ / ١٠٧ .

(٣) الأخفش فى معانى القرآن ١ / ٣٦٦ .

وذهب بعض العلماء إلى أن التاء أبدلت دالا ، ثم قدمت على الذال ، وأدغمت فيها ، وهذا فى نص ابن السراج : « فهذا لا تعد الذال فيه بدلا ؛ لأنه قلب ، وبدل ، وإدغام » (١) .

ونقل الكرمانى (٢) عن الزجاج أن « بعض العرب يقول « مذكر » بإدغام الدال فى الذال ، وهو من المقلوب ؛ لأن أصله « مُذْدكر » .

وقد اتفقوا جميعا على أن هذه اللغة ليست الوجه ؛ لأن الوجه عندهم : إدغام الأول فى الثانى (٣) .

ونرى أن هذا تكلف ظاهر فى التوجيه ، دعاهم إليه قانون الإدغام ، على أن الأمر يتعلق بالقانون نفسه ، وإنما يتعلق بالصوت الذى هو الذال ، وقد تغلب على الدال ، وهى الأقوى . وهذا أمر متوقف على مدى قطعية القوانين الصوتية ، وقد ثبت أنها كثيرا ما تتخلف ، فهى غير ملزمة (٤) ، وعدم اطرادها لايعنى أن نتعسف فى طرق التوجيه .

والقراءة رواية والحجة فيها السماع ، ولادخل لطرق القياس فيها .

---

(١)الأصول ٣ / ٢٧١ .

(٢) شواذ القراءة ٢٣٣ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٥ / ٨٨ .

(٤) انظر دراسة الصوت اللغوى ٣١٨ ، ٣١٩ واللغة لفندريس ٩٥ ، ٩٦ .

فى التبادل بين الحركات القصيرة

قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (١) : « السِّلْمِ » (٢) .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسِّلْمِ فاجْنَحْ لَها ﴾ (٣) : « لِلسِّلْمِ » (٢) .

قوله تعالى : ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السِّلْمِ ﴾ (٤) : « السِّلْم » (٢) .

قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ (٥) : «يَحْسِبُهُمُ» (٦)

قوله تعالى : ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾ (٧) : « تَحْسِبَنَّ » (٨) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٨ .

(٢) روى عن عبد الرحمن بن أبزى أن النبى ﷺ قرأ « السلم » فى البقرة ، والأنفال ، ومحمد بنصب السين وبخفضه . ذكره الدورى فى جزئه ٧٦ ومكى فى الكشف ٢٨٧/١ ولكنه قال : بالفتح فى الثلاثه وكذا ذكر فى الدر المنثور ٧ / ٥٠٥ .

(٣) سورة الأنفال آية ٦١ .

(٤) سورة محمد آية ٣٥ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٧٣ .

(٦) قال مكى فى الكشف ١ / ٣١٨ : « روى أن النبى ﷺ كان يقرأ بكسر السين ، وهى لغة حجازية ، وهو الاختيار » وقال السمين الحلبى فى الدر المصون ٢ / ٦١٩ : « والكسر لغة الحجاز ، وبها قرأ رسول الله ﷺ » .

(٧) سورة آل عمران آية ١٨٨ .

(٨) روى عن عاصم بن لقيط عن أبيه لقيط بن صبرة « كنت وافدَ بنى المنتفق إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث ، وقال : فقال النبى ﷺ « لاَتَحْسِبَنَّ » ولم يقل : ﴿ لاَتَحْسَبَنَّ ﴾ ذكره أبو داود فى السنن حديث ٣٥/١/١٤٢ وحديث ٣٢/٤/٣٩٧٣ . وذكره أيضا الدورى فى جزئه ٨١ وانظر المسند ٢١١/٤ والمستدرك ٢٣٣/٢ .

قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ (١) : « أَيَحْسِبُ » (٢) .

قوله تعالى : ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً ﴾ (٣) : « أَوْ عِدْلُ » (٤) .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَعَمْ ﴾ (٥) : « قَالُوا نَعِمْ » (٦) .

قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ ﴾ (٧) : « وَمَن قِبَلَهُ » (٨) .

---

(١) سورة البلد آيه ٥ .

(٢) روى عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن رجل من بنى عامر ، قال : صليت مع النبى ﷺ صلاة العشاء ، فقرأ ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ : « أَيَحْسِبُ » مكسورة السين . ذكره الدورى فى جزئه ١٧٤ وكذا نسبه مكى ، والسمين الحلبى إلى النبى ﷺ انظر الكشف ٣١٨/١ والدر المصون ٦١٩/٢ .

(٣) سورة المائدة آية ٩٥ .

(٤) ذكره ابن خالويه فى مختصر شواذ القرآن ٣٥ .

(٥) سورة الأعراف آية ٤٤ .

(٦) ذكر الدورى فى الحديث عن قتادة عن رجل من خثعم ، قال : دَفَعْتُ إلى النبى ﷺ وهو يومئذ بمنى ، فقلت : أنت الذى تزعم أنك نبى الله ؟ قال : « نَعِمْ » مكسورة .

وقال أبو موسى المدينى فى المغيث ٣١٩/٣ : وهى قراءة النبى ﷺ وانظر النهاية ٨٤/٥ وحجة القراءات لأبى زرعة ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٧) سورة الحاقة آية ٩ .

(٨) ذكره الدورى فى جزئه ١٦٤ ، ١٦٥ .

بين الفتح والكسر فى فاء الاسم « السلم »

﴿ السَّلم ﴾ فى سورة البقرة قرأه بالكسر : مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن أبى إسحاق ، وأبو عمرو ، وابن وثاب ، والأعمش ، والجحدرى ، وابن عامر ، وحمزة ، وعاصم فى رواية أبى بكر (١) .

وقرأه بالفتح : نافع ، وابن كثير ، والكسائى ، وأبو جعفر ، والأعرج ، وشيبة ، وشبل (٢) .

و ﴿ لِلسَّلْمِ ﴾ فى سورة الأنفال قرأه بالكسر عاصم ، وابن مجاهد عنه (٣) .

وبالفتح قرأه الباقون .

و ﴿ إِلى السَّلْمِ ﴾ فى سورة محمد قرأه بالكسر : عاصم ، وحمزة ، وخلف ، وابن مجاهد (٤) .

وبالفتح قرأه الباقون .

قرأ ابن عباس ، وطلحة بن مصرف ، والجحدرى بالكسر .

---

(١) الحجة للفارسى ٢/٢٩٢ تح قهوجى ـ حويجاتى ، والسبعة ١٨٠ والمبسوط ١٤٥ ، ٤٠٩ والكشف ١/٢٨٧ ، والتسير ٨٠ والإقناع ٢/ ٦٠٨ ، ٦٥٥ والبحر المحيط ٢/ ١٢٠ والدر المصون ٢/٣٥٨ ، ٥/٦٣١ .

(٢) المراجع السابقة ، وحجة أبى زرعة ٦٧٠ .

(٣) السبعة ٣٠٨ والدر المصون ٥/٦٣١ والمبسوط ١٤٥ والإقناع ٢/٦٥٥ والنشر ٢/٢٢٧ .

(٤) الحجة للفارسى ٢/٢٩٢ تح قهوجى ـ حويجاتى ، والمبسوط ٤٠٩ والإقناع ٢/٧٦٨ والدر المصون ٢/٣٥٨ .

وقرأ الجمهور بالفتح (١) .

بين الفتح والكسر فى عين الفعل « يحسب »

الفتح : قراءة أبى جعفر ، وابن عامر ، وحمزة ، وعاصم ، فى جميع القرآن .

والكسر : قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو ، والكسائى ، ويعقوب ، وخلف ، والأعشى فى رواية ، وأبى بكر ، وهبيرة عن حفص عن عاصم ، فى جميع القرآن (٢) .

بين الفتح والكسر فى حرف الجواب « نعم »

الكسر : قراءة الكسائى ، وابن وثاب ، والأعمش ، فى كل القرآن ، وهو لغة كنانة ، وهذيل .

والفتح : قراءة عامة أهل المدينة ، والكوفة ، والبصرة ، وعليه جمهور القراء (٣) .

---

(١) البحر المحيط ٤ / ٢١ والدر المصون ٤ / ٤٢٦ .

(٢) التيسير ٨٤ والسبعة ١٩١ ، ١٩٢ والحجة للفارسى ٢ / ٤٠٢ تح قهوجى ـ حويجاتى ، وحجة القراءات لأبى زرعة ١٤٨ والعنوان فى القراءات السبع ٧٦ والمبسوط ١٥٤ والكشف ١/ ٣١٧ والإقناع ٢/ ٦١٥ ، والبحر المحيط ٢/ ٣٢٨ والدر المصون ٢ / ٦١٩ والنشر ٢ / ٢٣٦ .

(٣) السبعة ٢٨١ وتفسير الطبرى ٨ / ١٨٧ وحجة الفارسى ٤/ ١٩ ـ ٢١ تح قهوجى ، حويجاتى ، وحجة ابن خالوية ١٥٤ ، ١٥٥ وحجة أبى زرعة ٢٨٢ ، ٢٨٣ والكشف ١ / ٤٦٣ ، ٤٦٤ والعنوان ٩٥ وإتحاف فضلاء البشر ٢٢٤ والنشر ٢ / ٢٦٩ والتيسير ١١٠ والإقناع ٢ / ٦٤٧ والمبسوط ٢٠٩ والبحر المحيط ٤ / ٣٠٠ والدر المصون ٥ / ٣٢٦ .

بين الفتح والكسر فى الظرف

الكسر : قراءة أبى عمرو ، والكسائى ، ويعقوب ، وطلحة بن مصرف ، والحسن، وأبى رجاء ، والجحدرى ، ويؤيدها قراءة أُبىّ « وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ مَعَهُ » وقراءة أبى موسى « وَمَنْ تِلْقَاءَهُ » وكذلك قرأ عاصم فى رواية أبان (١) .

والفتح : قراءة أبى جعفر ، وعاصم فى رواية ، والأعمش ، وشيبة ، والسلمى (٢) .

التفسير الصوتى للتناوب بين الحركات القصيرة

نلاحظ أن تفاوت القراءات هنا بين الفتح والكسر لايؤدى إلى تغيير فى المعنى ، فيما عدا ﴿ وَمَنْ قَبْلَهُ ﴾ ؛ إذ يتراوح أثر التغيير فيها بين معنى الزمانية والمكانية .

وهذا يعنى أن كلا من الفتحة والكسرة لا يعبر هنا إلا عن صورة فونيمية ، فى كونه فتحة أو كسرة ، وأنه لا يعطى قيمة وظيفية .

وأن هذا التفاوت لا يمثل صورا ناشئة عن ظاهرة الانسجام الصوتى بين الحركات

ونحو هذا التبادل كثير فى العربية ، وقد تعددت تفسيرات اللغويين القدماء لها ، فحملها بعضهم على اختلاف اللغات ، وتباين اللهجات ، وحمله بعضهم على مايلمح من فروق دقيقة فى الدلالة .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٤١٣ والطبرى ٢٩ / ٥٢ ، ٥٣ والكشاف ٤ / ١٥٠ والقرطبى ١٨ / ٢٦٢ والبحر المحيط ٨ / ٣٢١ وزاد المسير ٨ / ٣٤٧ ، ومعانى القرآن للفراء ٣ / ١٨٠ والكشف ٢ / ٣٣٣ والمبسوط ٤٤٤ وحجة أبى زرعة ٧١٨ وحجة ابن خالويه ٣٥١ والتيسير ٢١٣ والنشر ٢ / ٣٨٩ والإقناع ٢ / ٧٩١ .

(٢) مختصر شواذ القرآن ١٦١ ومعانى القرآن للفراء ٣ / ١٨٠ والكشف ٢/٣٣٣ والكشاف ٤ / ١٥٠ .

وقد تكفل علم الأصوات الأكوستيكي بتقديم تفسيرات لهذه التبادلات ، إذ يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفزيائية للأصوات أثناء انتقالها فى الهواء بين المتكلم والسامع [١] ، فهو يفسر « بعض التطورات التى تلحقها ، فالتعرف على الطبيعة الفزيائية لهذه الأصوات ، كالوقوف على مكونات الحركات وعلى الحزم الصوتية للصوامت ، وعلى ظاهرة انتقال الصوت فى الهواء ، وعلى طريقة رد فعل الأذن لهذه المثيرات ، هذا التعرف من شأنه أن يساعدنا على تفسير السبب فى أن بعض الأصوات أو مجموعات منها أكثر قدرة من غيرها على البقاء والاستقرار دون تغير ، أو أن بعضا آخر أكثر ميلا من غيره إلى التغير وعدم الاستقرار »[٢] .

والحركات قصيرة وطويلة تلازم الصوامت ، فهى كثيرة التردد فى الكلام ، وطبيعتها الصُوتية تجعلها ذات وضوح سمعى متميز ، وذلك لأن طاقتها الأكوستيكية أكبر من طاقة الصوامت ، والخصائص المكونة لها أكثر ظهورا وثباتا [٣] .

وانطلاق الهواء بها دون توقف أو اعتراض فى مناطق محددة ، وتماثلها تقريبا فى نسبة تردد الذبذبات ، إذ تبلغ (٣٠٠ م ث) [٤] كل هذا قوى من درجة تشابهها فى السمع ، وأتاح لها من فرص التبادل والتغاير الكثير .

---

(١) انظر علم اللغة العام د / كمال بشر ص ١٥ ـ ١٩ و أسس علم اللغة / ماريوباى ٤٧ ودراسة الصوت اللغوى ٣ ، ٤ وفى الأصوات اللغوية د / غالب مطلبى ٥٣ / ٥٤ .

(٢) علم اللغة العام ١٩ ، ٢٠ .

(٣) التشكيل الصوتى ٥٠ .

(٤) السابق ٣٨ ، ٣٩ وانظر دراسة الصوت اللغوى ٢١ ، ٢٢ والأصوات اللغوية ٢٦ ، ٢٧ .

والتبادل بين الحركات ظاهرة منتشرة فى اللغات الإنسانية بعامة ، وأكثر مايكون بين الأصوات المتقاربة فى طبيعتها ، « ففى اللغة العربية حدث تناوب واسع النطاق بين أصوات اللين القصيرة التى يرمز إليها بالفتحة ، والكسرة ، والضمة » (١) .

وقد بدت آثار هذه الظاهرة على نطاق واسع فى اللهجات المحلية لمختلف البلدان العربية (٢) .

ومما يساعد على كثرة التغاير بين هذه الأصوات ـ فيما أضافه بعض المحدثين (٣) ـ :

ـ اختلاف مرونة أعضاء النطق باختلاف البيئات والأزمنة ، بخاصة وأن لهذه الأعضاء أهمية قصوى فى تنوع أصوات المد .

ـ اختلاف نظام النبر بين البيئات اللغوية المختلفة ، فقد لوحظ أن تغير النبر له تأثير كبير في الجانب الصوتي ، فقد يزيد في طول الصوت المنبور ، وقد يقصره

ـ ميل بعض اللهجات إلى الإكثار من استخدام حركة بعينها ، فبعضها يؤثر الفتح ، والآخر يؤثر الكسر ، وغيرهما يؤثر الضم .

---

(١) علم اللغة د/ وافى ٣٠٨ ، ٣٠٩ وانظر دروس فى علم أصوات العربية ١٧٢ ـ ١٨١ .

(٢) السابقان .

(٣) د/ غالب مطلبى فى الأصوات اللغوية ٥٤ ، ٥٥ .

وتبدو التفسيرات الصوتيه أكثر علمية وواقعية من التفسيرات اللهجية التى يقيمها المحدثون على أساس تقسيم الجزيرة العربية إلى كتلتين ، شرقية وغربية ، أو تميمية وحجازية ، أو بدوية وحضرية .

فإنه من الصعوبة بمكان رسم حدود واضحة المعالم للبيئات اللغوية فى الجزيرة ؛ نظرا لما تتسم به طبيعتها الجغرافية والمناخية من وعورة وقسوة ، أدت إلى فقدان أهم العوامل المؤثرة فى ذلك ، وهو : الاستقرار الاجتماعى .

لقد عاشت الجماعات القبلية فى تنقل مستمر تتبع مساقط الغيث ومواقع الكلأ فى مساحات شاسعة لاترتبط فيها بزمان ولا بمكان ، إذ كان الرعى مهنتهم ومصدر معيشتهم الوحيد .

وقد تواترت الأخبار على أن القبائل العربية لم تكن تعرف حدودا فاصلة بين منازلها ، فكثيرا ماتجتمع القبائل ، على اختلافها ، يرتبعون الدهناء إذا ماأخصبت (١) ، وفى هذه الحالة تتداخل المنازل ، وتختلط اللهجات ، وتضمحل الفوارق .

وتضم منطقةٌ واحدةٌ محدودة بمسيرة يوم قبائلَ شتى ، كالرُّمَّة التى كانت تنزل أعاليها بنو كلاب ، وتحل وسطها عبس وغطفان ، تتبعهم فى منحدراتها بنو أسد (٢) .

---

(١) تهذيب اللغة ٢٠٩/٦ وانظر معجم البلدان ٤٣٩/٢ .

(٢) معجم البلدان ٧٢/٣ وانظر اللهجات العربية فى التراث ٣٧/١ .

كما ساعدت الهجرات المشهورة من اليمن إلى سائر مناطق الجزيرة على تداخل القبائل ، فقد تفرق اليمنيون فى خيبر ، وتيماء ، ووادى القرى ، ويثرب ، والحرم ، وعمان ، والشحر ، والشام (١) . وغادرت الأزد تهامة إلى السروات ، ومكة ، والعراق (٢) .

وقد عقب بعض المحدثين (٣) بعد تفصيلٍ فى هذا الموضوع قائلا : « أرأيت تداخل الحدود والتحام السكنى ؟ ثم هذا التحديد المبهم من أن الوادى شقه لقبيلة كذا ، وشقه الآخر لقبيلة كذا ! إن هذه الحدود على الرغم من تحديدها باهتة لاتشفى غلة الباحث اللغوى الذى يدرس لهجات هذه القبائل دراسة منهجية » .

ومع ذلك فقد ظلت فكرة الفصل بين معالم الكتلتين التميمية والحجازية سائدة بين القدماء ، وكثير من المحدثين ، إلى حد أن وضع بعض المحدثين قوانين عامة ومقاييس للظواهر اللغوية بناء على هذا الفصل ، فذكر فى بعضها أنه « يمكن بصفة عامة أن ننسب الفتح إلى جميع القبائل التى كانت مساكنها غربى الجزيرة بما فى ذلك قبائل الحجاز أمثال قريش ، والأنصار ، وثقيف ، وهوازن ، وسعد بن بكر ، وكنانة » (٤) .

والمعروف أن القراءات القرآنية من أهم المعتمدات فى مصادر اللهجات العربية ، وخير ممثل لظواهرها المختلفة ، ومع هذا نجد فيها ماينقض تلك المقاييس ، ودليل ذلك مايلى :

---

(١) صفة جزيرة العرب ٢٠٩ وانظر اللهجات العربية فى التراث ٣٨/١ .

(٢) اللهجات العربية فى التراث ٣٦/١ .

(٣) الدكتور علم الدين الجندى فى اللهجات العربية فى التراث ٣٦/١ ـ ٦٠ .

(٤) د/أنيس فى اللهجات العربية ٦٠ ط ٤ .

ـ فيما روى من القراءات بين الفتح والكسر نلاحظ :

× أن النبى ﷺ قرشى ، وكان يقرأ بالكسر إلى جانب الفتح

وقد علق الطبرى (١) على قراءة ﴿ السِّلْمِ ﴾ فى البقرة ، بأن عامة قراء أهل الحجاز بفتح السين ، وعامة الكوفيين بكسر السين .

× وأن ابن عباس القرشى قرأ : ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً ﴾ بكسر العين .

× وأن مجاهدا وعكرمة المكيين قرآ ﴿ السِّلْمِ ﴾ فى البقرة بكسر السين .

× وأن ابن كثير المكى ، ونافعا المدنى قرآ « يحسب » فى جميع القرآن بكسر السين .

× وقد ذكر كل من مكى (٢) ، وأبى حيان (٣) ، والسمين الحلبى (٤) أن الكسر لغة الحجاز ، وان الفتح لغة تميم .

وعلى العكس من ذلك نجد :

× أن الكسائى إمام القراءة بالكوفة يقرأ ﴿ السِّلْمَ ﴾ بالفتح فى البقرة ، والأنفال ، ومحمد ﷺ .

---

(١) فى التفسير ٣٢٣/٢ .

(٢) الكشف ٣١٧/١ .

(٣) البحر المحيط ٣٢٨/٢ .

(٤) الدر المصون ٦١٩/٢ .

× وأن حمزة ، وعاصما الكوفيين يقرآن « يحسَب » بالفتح حيث وقع فى القرآن

× أن عامة الكوفيين ـ ماعدا عاصما ـ يقرأون ﴿ للِسّلمِ ﴾ فى الأنفال بالفتح .

× وكذلك يقرأ عامة الكوفيين ـ ماعدا طلحة بن مصرف ـ ﴿ أو عَدْل ﴾ بفتح العين .

× وأن أبا عمرو البصرى قرأ « السَّلم » فى الأنفال ، ومحمد ﷺ بالفتح .

× وأن عامة البصريين ـ ماعدا الجحدرى ـ يقرأون ﴿ أو عَدْل ﴾ بفتح العين .

× وأيضا قرأ عامة البصريين ﴿ قالوا نَعَمْ ﴾ بفتح العين .

وقد ذكر السمين الحلبى (١) أنها بالكسر لغة كنانة ، وقال صاحب الإتحاف (٢) : إنها بالكسر لغة صحيحة لكنانة وهذيل ، وبالفتح لغة باقى العرب . وقال ابن دريد(٣) : هى لغة فصيحة ، وأحسبها لغة هذيل وأنشد الطبرى (٤) عن بعضهم شاهدا على الكسر لبعض بنى كلب ، وهو :

نَعِمْ إذا قالها منه محققة ولاتجيىء عسى منه ولا قَمَنُ

وهكذا نرى مقياس الفتح والكسر يتزعزع أمام قوة القراءات المذكورة ، ويضطرب أمام عزو مكى ، وأبى حيان ، والسمين ، الفتح لتميم ، والكسر للحجاز ، وعزو صاحب الإتحاف الكسر لكنانة وهذيل ، وهما من القبائل الحضرية .

---

(١) الدر المصون ٣٢٦/٥ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ٢٢٤ .

(٣) جمهرة اللغة ٩٥٣ تح بعلبكى .

(٤) فى التفسير ١٨٧/٨ .

أكثر القراءات غير معبر عن البيئات اللغوية للقراء

يمكننا القول بأن القراءات القرآنية لم تكن فى أكثرها صدى للمظاهر اللغوية فى بيئة القارىء ؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغة منتقاة من بين لغات العرب ، وقد أبيح للنبى ﷺ أن يقرأ القرآن على سبعة أحرف تيسيرا ، فأمر القراء من الصحابة رضوان الله عليهم بذلك ، ومن الطبيعى أن يحرص هؤلاء على حفظ القراءات المختلفة وتلاوتها ، وكان رسول الله ﷺ قدوة فى ذلك ؛ إذ كان يقرأ بما يستحسن من اللغات .

وقد اشتغل الناس بالقرآن ، واهتموا به اهتماما عظيما ، وكثرت الدراسات حوله ، فظهرت الروايات الكثيرة بالقراءات المختلفة ، فاشتد حرص العلماء على تحصيلها ، واتخذت الرواية بعد ذلك طريق التعلم فى مدارس البلدان المختلفة ، كمكة ، والمدينة ، والبصرة ، والكوفة ، وتسابق العلماء فى الأخذ عن كبار القراء فى تلك المدارس ، بصرف النظر عن اختلاف البيئات ، ثم أخذ العلماء فى تخير قراءات خاصة بهم ، كل حسب اجتهاده ، فيروى أن أبا عمرو بن العلاء التميمى البصرى (١) تلقى القراءة فى البصرة ، والكوفة ، ثم هرب من الحجاج إلى مكة ، وهنالك أخذ القراءة على الأعرج ، وابن كثير ، وعكرمة وعطاء ومجاهد ، ثم رحل إلى المدينة ، فأخذ عن شيبة ، وأبى جعفر ، ونافع ، ثم عاد إلى البصرة فأخذ عن الحسن ، ونصر بن عاصم ، ويحيى البصرى ، ثم رحل إلى الكوفة فقرأ على عاصم . وكان أساتذته من الكثرة

---

(١) انظر ترجمته فى غاية النهاية فى طبقات القراء ١/٢٨٨ ـ ٢٩٢ ومراتب النحويين ١٣ ـ ٢٠ وطبقات الزبيدى ٣٥ ـ ٤٠ وإنباه الرواة ٤/١٢٥ وبغية الوعاة ٢/٢٣١ والبلغة ١٠١ .

بحيث لم يعلم أحد أكثر شيوخا منه . وتخير لنفسه قراءة اشتهر بها ، وكانت خلاصة ماحصله عن شيوخه فى المدارس المختلفة ، فهى لذلك لاتعد معبرة عن البيئة التميمية فى البصرة .

وأيضا فإن مشاهير القراء كانو ا يقرئون الناس بالروايات المختلفة ، فقد روى حفص ، قال : « قال لى عاصم : ماكان من القراءة التى أقرأتك بها فهى القراءة التى قرأت بها على أبى عبد الرحمن السلمى عن على رضى الله عنه ، وماكان من القراءة التى أقرأتها أبا بكر بن عياش فهى القراءة التى كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود (١) .

وروى أيضا عن نافع أنه كان يقرىء الناس بجميع القراءات ، فسئل عن ذلك ، فقال : « سبحان الله ! أحرم ثواب القرآن ؟ أنا أقرىء الناس بجميع القراءات ، حتى إذا كان من يطلب حرفى أقرأته به » (٢) .

والأمر فى القراءات الشواذ أبعد أثرا منه فى القراءات الصحيحة المشهورة ، فإن تعدد وجوه القراءة فى الكلمة الواحدة قد يصل أحيانا إلى ثلاثين وجها (٣) ، وإن عدداً منها لقارىء واحد ليبين أنه من الصعب الاعتماد عليها إلا فى تفسير بعض الجزئيات اللغوية .

---

(١) غاية النهاية ٣٤٨/١ .

(٢) غاية النهاية ٣٠٤/٢ وفى الدراسات اللغوية د/شلبى ١٢٩ .

(٣) انظر القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٣٧ .

فقد قرىء فى قوله تعالى ﴿ وحَرامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أهْلَكْنَاهَا أنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾[1] تسعة أوجه[2] : اشترك ابن عباس منها فى سبعة ، هى « حَرُمَ » ، « وحَرِمَ » ، « وحَرَمَ » ، « وحَرْمَ » ، « وحَرْمٌ » ، « وحِرْمٌ » ، « وحَرَّمَ » .

واشترك معه قتادة البصرى فى أربعة منها ، هى : « وحَرِمَ » ، « وحَرَمَ » ، « حَرْمَ » ، « وحَرْمٌ » .

واشترك معه أبو عمرو البصرى فى واحدة ، هى : « حَرْمَ » .

واشترك معه ابن مسعود ، وعلى رضى الله عنهما في واحدة ، هى : « وحِرْمٌ » .

وإذ ثبت الأمر على هذا النحو ، وبخاصة في القراءات الشواذ ، فإنه ينبغى أن نتحرز فى حالة الاعتماد عليها فى توجيه الظواهر اللغوية ، وبخاصة اللهجيه منها ، وعلينا أن نتثبت من صحة أسانيدها ، ونفرق بين المنقول منها رواية عن النبى ﷺ وبين المقيس على لغته الخاصة في الحديث الشريف ، وهذا يعد اجتهادا ذاتيا من القراء ، وقد ثبت منه الكثير ، فمثلا احتج الكسائى في قراءته « قالوا نَعِمْ » بما روى فى الحديث أن رجلا لقى النبى ﷺ بمنى ، فقال : أنت الذى يزعم أنه نبى ؟ فقال ﷺ : « نَعِمْ » بكسر العين[3] .

توجيه العلماء للقراءات المذكورة

« السَّلم » بالفتح ، والكسر : لغتان فى السِّلم الذي هو الإسلام ، وفى السَّلم الذى هو الصلح ، والمشهور فى الأول الكسر ، وفى الثانى الفتح[4] .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٥

(٢) انظر احصاء الدكتور عبدالصبور شاهين ومصادره فى القراءات القرآنية ٢٤٢.

(٣) حجة أبى زرعة ٢٨٢، ٢٨٣ وانظر الدر المصون ٣٢٦/٥ ، ٣٢٧.

(٤) انظر الصحاح واللسان (سلم) .

وقد تشكك بعضهم فى كون « السِّلم » لغة فى « السَّلم » بمعنى الإسلام ، وحمل الفتح على معنى الصلح ؛ وهذا بدوره يؤدى إلى الدخول فى الإسلام ، وقال : « فهذا المسلك فيه أوجه من أن يكون الفتح فى « السِّلم » لغة فى « السَّلم » الذى يراد به الإسلام ؛ لأن أبا عبيدة ، وأبا الحسن لم يحكيا هذه اللغة ، ولم أعلمها أيضا عن غيرهما ، فإن ثبتت به رواية عن ثقة فذاك » (١) .

وأجاز بعضهم أن يكون « السِّلم » بالفتح اسما بمعنى المصدر كالعَطَاءِ والنَّبَاتِ بمعنى الإعطاء والإنبات ، ثم ذكر الأوجه المحتملة ، وقال : « وكلا القراءتين حسن » (٢) .

وأنشد أبو حيان شاهدا على الفتح ، وهو :

شرائع السِّلم قد بانت معالمها فما يرى الكفر إلا من به خبل

قال : ويطلق بالفتح والكسر على الإسلام ، قاله الكسائى ، وجماعة من أهل اللغة (٣).

« يحسب » القياس فى مستقبل « حسِب » المكسور « يحسَب » كفرح ، وعلم ، وحمد . . . إلخ .

ولكن حكى أبو زيد ، وسيبويه عن العرب فتح السين وكسرها فى المستقبل (٤) ، وسمعت ألفاظ من هذا القبيل ، منها : نَعِم ينعِم ، ويَئس يبئِس ، ويَئِس ييئِس ، ويَبِس يبْئِس ، وعمِد يعمِد (٥) .

---

(١) الحجة للفارسى ٢/٢٩٣ وانظر مجاز القرآن ١/٧١، ٣٥٩ ومعانى الأخفش ١/١٦٧ ، ٢/٣٢٥ .

(٢) مكى فى الكشف ١/٢٨٧ .

(٣) البحر المحيط ٢/١٠٩ والدر المصون ٢/٣٥٩ .

(٤) الحجة للفارسى ٢/٤٠٢ .

(٥) انظر بغية الآمال ٧٧ وليس فى كلام العرب ٤ والحجة لابن خالوية ١٠٣ .

وأيضا فإن العلماء نسبوا الفتح لتميم ، والكسر للحجاز ، فقال صاحب الكشف (١) فى قراءة النبى ﷺ بكسر السين : « وهى لغة حجازية ، وهو الاختيار » وذكر أبو حيان (٢) أن الفتح لغة تميم والكسر لغة الحجاز ، وكذلك ذكر السمين الحلبى (٣) ، ثم قال : واللغتان فصيحتان فى الاستعمال ، والقارىء بلغة الكسر اثنان من كبار النحاة ، أبو عمرو ، وكفى به ، والكسائى ، وقارئا الحرمين ، نافع ، وابن كثير » والأفعال المذكورة محمولة على باب ماحسن فى السماع وشذ عن قياس النحاة (٤) ، وقد ذكر ابن خالويه فى الحجة لهذه القراءة أن العرب استعملت الكسر والفتح فى مضارع أربعة أفعال ، يحسب ، وينعم ، ويئس ، ويبس ، حتى صار الكسر فيهن أفصح (٥) .

« عَدْل » العَدْل : ماعادل الشيئ من غير جنسه ، والعِدْل : ماعادله من جنسه .

وقيل : العَدل والعِدل بالفتح والكسر : المثل ، من جنس الشيىء أو من غير جنسه .

والأول مذهب البَصريين ، والثانى مذهب البصريين ، قال الفراء (٦) : « تقول : عندى عِدْل غلامك ، وعِدْل شاتك : إذا كان غلاما يعدل غلاما ، أو شاة تعدل شاة ، فإذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العين ، وربما قال بعض العرب : عِدْله ، وكأنه

---

(١) ٣١٧/١ .

(٢) البحر المحيط ٣٢٨/٢ .

(٣) الدر المصون ٦١٩/٢ .

(٤) انظرالحجة للفارسى ٤٠٣/٢ والخصائص ٩٦/١ ـ ٩٩ ، والمحتسب ٣٢/١ ، ٣٣ .

(٥) الحجة فى القراءات السبع ١٠٣ .

(٦) فى المعانى ٣٢٠/١ وانظر مجاز القرآن ٥٥/١ ، ١٧٦ .

منهم غلط ؛ لتقارب معنى العَدل من العِدل » ولكن نقل ثعلب عن ابن الأعرابى ـ وهما كوفيان ـ أن عَدل الشيىء وعِدله : سواء ، أى : مثله (١) . وذكر الأخفش ، والزجاج أيضا أن العَدل ، والعِدل المثل ، واستحسن الأخفش الكسر فيه ، وجعله الوجه ، قال : « وقال بعضهم : « أو عِدلُ ذَلك صِيَاما » فكسر ، وهو الوجه ؛ لأن العِدل المِثل » (٢) .

ورد الزجاج مقالة الفراء ، وخطأه ؛ لأن : « العَدل والعِدل فى معنى المثل ، والمعنى واحد ، كان المثل من الجنس أو من غير الجنس ، كما أن المِثل ماكان من جنس الشيىء ومن غير جنسه : مِثلٌ ، وليس إذا أخطأ مخطىء يوجب أن يقول : إن بعض العرب غلط (٣) .

وقراءة النبى ﷺ وابن عباس ، والجحدرى ، وطلحة بن مصرف « أو عِدلُ ذلك صياما » بالكسر ليس من جنس الإطعام (٤) ، وهذا يؤكد مذهب البصريين .

« نَعِمْ » القراءة بالكسر هنا محمولة على وجهين ، أولهما :

أمْن اللبس ؛ إذ إن اللفظ يشكل فى حالة الفتح بلفظ « نعم » التى هى من الإبل والبقر ، وقد روى أن عمر رضى الله عنه سأل رجلا شيئا ، فقال : نَعَمْ ، فقال له : قل نَعِمْ ، إنما النعم الإبل .وقال بعض الأعراب : كان أبى إذا سمع رجلا يقول « نَعَمْ » يقول : « نعم » إبل وشاء ، إنما هى « نَعِمْ » (٥) .

---

(١) تهذيب اللغة ٢٠٩/٢ واللسان (عدل) .

(٢)معانى القرآن ٢٦٥/١ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٢٠٨/٢ .

٤) انظر تفسير الطبرى ٥٧/٧ ، ٢٦٩/١ والبحر المحيط ٢١/٤ ، ١٩١/١ والدر المصون ٤٢٦/٤ ، ٤٢٧ ، ٣٣٨/١ ، ٣٣٩ .

(٥) حجة أبى زرعة ٢٨٣ والمجموع المغيث ٣/ ٣٢٠ والكشف ٤٦٣/١ والدر المصون ٣٢٦/٥ .

وثانيهما : أنها لغة فى هذيل ، وكنانة ، وكلب ، يقولون فى نَعَمْ : نَعِمْ ، وقد أنشد عليه الكسائى لبعض بنى كلب (١) :

نَعِمْ إذا قالها منه محققة .....

وقد نسبها ابن هشام ، والدمياطى ، والسمين لكنانة (٢) ، ونسبها ابن دريد ، والدمياطى ايضا لهذيل (٣) . وهى لغة فصيحة كما ذكر العلماء ، وقد روى عن بعض ولد الزبير بن العوام قوله : « ماكنت أسمع أشياخ قريش يقولون إلا « نَعِمْ » بكسر العين (٤) .

وأما « ومَنْ قِبَلَه » فى قراءة النبى ﷺ بكسر القاف وفتح الباء ، وعليها قراءة عامة أهل البصرة ، والكسائى ، أيضا ، فهى على قصد المعنى ، وذلك أن المعنى فى ﴿ ومَنْ قَبْلَه﴾ بفتح القاف : من تقدمه من الأمم الكافرة . والمعنى فى « ومَنْ قِبَلَهُ » من معه من الأتباع والأصحاب (٥) .

ويقوى هذه القراءة : ماروى أن قراءة أبى « ومن معه » وقراءة أبى موسى « ومن تلقاءه » (٦) قال الفراء : « وهما شاهدان لمن كسر القاف " لأنهما كقولك : جاء فرعون وأصحابه » (٧) .

وقد استحسن العلماء القراءتين ، ونصوا على أنهما صحيحتا المعنى معروفتان .

---

(١) تفسير الطبرى ١٨٧/٨ .

(٢) المغنى ٤٥١ تح مازن المبارك وحميد الله وإتحاف فضلاء البشر ٢٢٤ والدر المصون ٣٢٦/٥ .

(٣) جمهرة اللغة ٩٥٣ تح بعلبكى وإتحاف فضلاء البشر ٢٢٤ .

(٤) المجموع المغيث ٣/ ٣٢٠ والنهاية ٨٤/٥ واللسان (نعم) .

(٥) الكشف ٣٣٣/٢ والمبسوط ٤٤٤ وحجة أبى زرعة ٧٨١ والتيسير ٢١٣ والاقناع ٧٩١/٢ والكشاف ٤/ ١٥٠ وتفسير ابن كثير ٤١٣/٤ .

(٦) معانى الفراء ٣/ ١٨٠ وتفسير الطبرى ٥٢/٢٩ ، ٥٣ ومختصر فى شواذ القرآن ١٦١ .

(٧) المعانى ٣/ ١٨٠ .

التناوب بين الحركات القصيرة فى فاء الكلمة
« بين الفتح والضم »

روى أن النبى ﷺ قرأ :

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ (١) :« مِن ضُعْفٍ » (٢)

قوله تعالى : ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً : « ضُعْفٍ »

قوله تعالى : ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْد قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً ﴾ : « ضُعْفاً »

---

(١) سورة الروم آية ٥٤ .

(٢) روى عطية العوفى ، قال : « قرأت على ابن عمر (اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً) فقال ابن عمر : « الله الذى خلقكم من ضُعْفٍ ثم جعل من بعد ضُعْف قوة ثم جعل من بعد قوة ضُعْفاً وشيبة » ثم قال ابن عمر : قرأتُ على رسول الله ﷺ كما قرأتَ على ، فأخذ على كما أخذت عليك » ذكره الدورى فى جزئه ١٣٧ ، ١٣٨ وأبو داود فى السنن ح ٣٩٨٧ ، ٣٩٧٩ والإمام أحمد فى المسند ٥٨/٢ والترمذى فى السنن ح ٢٩٣٦ والحاكم فى المستدرك ٢٤٧/٢ ، والدانى فى التيسير ١٧٦ ومكى فى الكشف ١٨٦/٢ وأبو بكر الأصبهانى فى المبسوط ٢٢٣ والزجاج فى معانى القرآن وإعرابه ١٩١/٤ ورُوى عن حفص : « ماخالفت عاصما فى شيء من القرآن إلا فى هذا الحرف ؛ لما روى عن عطية العوفى أنه قال : قرأت على ابن عمر ..... الحديث . ذكره ابن مجاهد فى السبعة ٣٠٨ ، ٣٠٩ وكذلك ذكر فى المراجع السابقة ، ذكر ابن دريد أن الضُعف لغة النبى ﷺ وأن ابن عمر قرأ « ضَعف » فقال النبى ﷺ : « ضُعف » جمهرة اللغة ٩٠٣ ، وذكر الأزهرى عن المنذرى عن عثمان بن سعيد عن سلام المدائنى عن أبى عمرو ابن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قرأ : « من ضُعْفٍ » تهذيب اللغة ٤٨٢/١ وانظر اللسان (ضعف) والحجة للفارسى ١٦١/٤ .

وقوله تعالى : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ ﴾ (١) : « شَرْبَ الهِيمِ » (٢)

وقوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ (٣) : « فَرُوحٌ » (٤)

وبضم الضاد فى « الضُّعف » قرأ ابن كثير ، ونافع وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائى والحسن ، والأعرج ، وابن القعقاع ، وقتادة ، وابن أبى إسحاق (٥) .

وأكثر أصحاب القراءات ينسبون هذه القراءة للجمهور ، ويستثنون منهم فى الأنفال ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُم ضَعْفاً ﴾ (٦) عاصما ، وحمزة ، وخلفا ، وفى « الروم » عاصما ، وحمزة ، وأبا بكر ؛ فإنهم قرأوا بالفتح (٧) .

---

(١) سورة الواقعة آية ٥٥ .

(٢) ذكر الفراء : « حدثنى الكسائى عن رجل من بنى أمية يقال له يحيى بن سعيد الأموى ، قال : سمعت ابن جريج يقرأ : « فَشَارِبونَ شَرْبَ الهِيمِ » بالفتح ، قال فذكرت ذلك لجعفر بن محمد ، فقال : أو لبست كذلك ؟ أما بلغك أن رسول الله ﷺ بعث بديل بن ورقاء الخزاعى الى أهل منى ، فقال : إنها أيام أكل وشَرْب وبعال ؟ معانى القرآن ٣/١٢٧ ، ١٢٨ . وذكره الدورى فى جزئه ١٥٩ عن الكسائى عن يحيى بن سعيد ، وانظر حجة أبى زرعة ٦٩٦ وقال مكى : روى عن ابن عمر أن النبى ﷺ كان يقرأ « شَرْبَ » بالفتح . الكشف ٢/٣٠٥ .

(٣) سورة الواقعة آية ٨٩ .

(٤) ذكر الفراء عن حماد بن سلمة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة عن النبى ﷺ أنه قال « فَرُحٌ وَرَيْحانُ » وقراءة الحسن كذلك ..... معانى القرآن ٣/١٣١ وكذا ذكر أبو داود فى السنن ح ٣٩٩١ والزمخشرى فى الكشاف ٤/٦٠ وأبو حيان فى البحر المحيط ٨/٢١٥ وكذلك نسبه ابن خالويه فى مختصر الشواذ ١٥٢ والدمياطى فى الاتحاف ٤٠٩.

٥) الحجة للفارسى ٤/١٦١ والبحر المحيط ٤/ ٥١٧ ، ٥١٨ وتفسيرالطبرى ١٠/٤١ .

(٦) آيه ٦٦ .

٧) انضر الكشف ١/٤٩٥ ، ٢/١٨٦ والتيسير ١١٧ ، ١٧٥ ، ١٧٦ والمبسوط ٢٢٢ ، ٣٥٠ وارشاد المبتدى ٣٤٨ ، ٤٩٤ والنشر ٢/٢٧٧ ، ٣٤٥ والدر المصون ٥/٦٣٦ ،٦٣٧ والكامل للهذلى لوحة ١٩٧ واتحاف فضلاء البشر ٣٤٩ .

وقـرأ « شَزْبَ » بفتح الشين الأعـرج ، وابن المسـيب ، وابن الحـبحاب ، ومـالك ابن دينار ، وابن جريج وأبو عمرو ، والكسائى (١) .

وأصحاب القراءات يستثنون من يقرأ بالضم ، وهم : نافع ، وأبو جعفر ، وعاصم ، وحمزة ، وينسبون الفتح للباقين (٢) .

وقرأ « فَرُوحٌ » بضم الراء : أبو بكر الصديق ، وعائشة ، وابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، ويعقوب ، ونوح القارىء والضحاك ، والأشهب ، وشعيب بن الحبحاب ، وسليمان التيمى ، والربيع بن خيثم ، ومحمد بن على ، وأبو عمران الجونى ، والكلبى ، وفياض ، وعبيد ، وعبد الوارث عن أبى عمرو ، ويعقوب بن صيان ، وزيد ، ورويس عنه (٣)

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢١٠ والكامل للهذلى لوحة ٢٤١ .

(٢) معانى القرآن للفراء ١٢٧/٣ والتيسير ١٨٣ والنشر ٣٨٣/٢ والعنوان ١٨٥ والإتحاف ٤٠٨ وزاد المسير ١٤٥/٨ وحجة أبى زرعة ٦٩٦ .

(٣) البحر المحيط ٢١٥/٨ وزاد المسير ١٥٦/٨ ، ١٥٧ وتفسير الطبرى ٢١١/٢٧ والمبسوط ٤٢٨ وشواذ القراءة للكرمانى ٢٣٨ وإتحاف فضلاء البشر ٤٠٩ .

العلاقة الصوتية بين الفتح والضم

سبق أن بينا مدى التشابه الصوتي بين الحركات القصيرة والذي يتلخص فى استمرار انطلاق الهواء بها دون حدوث عوائق فى المجرى ، من حبس ، أو انحراف ، أو تضييق يترتب عليه احتكاك ملموس ، وأنها تتميز بذبذبات منتظمة ، مما ساعد على وضوحها ، وتشابهها فى السمع ، وسوَّغ كثرة التبادل بينها ، وبخاصة فى الكلمات ذات الدلالات المتفقة ، كما هو الشأن فى المثلثات المتفقة المعانى فى العربية ، والكلمات التي يكون التغيير فيها صوتيا محضا ، ولا علاقة له بالناحية الوظيفية[١] .

والقراءات المذكورة مما تراوح التغيير فيه بين الفتح والضم فى فاء الكلمة ، دون مساس بالمعنى .

والفتحة والضمة تشتركان فى تلك الطبيعة الصوتية ، غير أن الفتحة أمامية متسعة ، والضمة خلفية ضيقة ، وتتميز كل منهما عن الأخرى نوعيا بتلك الترددات الذبذبية [٢] ، أو الحزم الصوتية ، ولكن مداهما الزمني فى الانطلاق واحد ، وقد بين التحليل [٣] « الاسبكترجرافى » للأصوات اللغوية Spectrographic Analysis Of Data العلاقة بينهما من حيث الأمداء النسبية ، والترددات الذبذبية على النحو الآتى :

---

(١) انظر علم اللغة د / كما بشر ١٥٠ ـ ١٥٤ والأصوات اللغوية ٣١ ـ ٣٦ وأصوات اللغة ١٣٦ ، ١٦٢ ـ ١٧٤ وأصوات اللغة العربية ١٣١ ـ ١٤٤ ودراسة الصوت اللغوى ١٢١ ـ ١٣٢ وفى الأصوات اللغوية ـ دراسة فى أصوات المد ٢٩٧ .

(٢) دراسة الصوت اللغوى ١٦ ـ ٢٣ وأصوات اللغة ١٠٢ ـ ١١٨ .

(٣) انظر التشكيل الصوتى فى اللغة للعانى ٣٨ ، ٣٩ .

الحركـــة	المدى	الحزمة الأولى	الحزمة الثانية	الحزمة الثالثة
الفتحـة :	٣٠٠ م /ث	٦٠٠ د/ث	١٥٠٠ د / ث	٢١٠٠ د/ ث
الضمـة :	٣٠٠ م /ث	٢٩٠ د/ث	٨٠٠ د/ ث	٢١٥٠ د/ ث

ويلاحظ أن المدى النسبى للحركة فى حالة النطق بها منفردة ـ كما هنا ـ يكون ضعف مداها فى حالة اتصال الكلام .

هذه العلاقة بين الحركتين أوجدت وفرة من الأمثلة ، يصعب حصر مالم ينسب منها إلى لهجة معينة ، وقد ثبت تفاوت ظاهر فيما نسب منها على قلته .

فبينما يعزى إلى أهل الحجاز ضم الفاء فى نحو « رُفْغ » و « عُقْر » و « ضُعْف » و « سُكارى » و « كُسالَى » (١) نجد الرواة ينسبون إليهم فتح الفاء فى نحو « غَرْفة » و « شَرْب » و « زَعْم » و « قَرْح » (٢) قد يعزى الضم لقريش خاصة ، والفتح للحجاز عامة فى نحو « الشُّقَّةُ » (٣) .

---

(١) انظر فى « الرفغ » : إصلاح المنطق ١٠٣ والمصباح (رفغ) . وفى « العُقْر » : المصباح (عقر) والغريب المصنف ٢٦١/١ تح العبيدى والأضداد لابن الأنبارى ٢٣ واللسان (عقر) . وفى « ضعف » : المصباح (ضعف) والبحر المحيط ٥١٨/٤ والدر المصون ٦٣٦/٥ ، ٦٣٧ . وفى « سُكارى » و « كُسالى » : إصلاح المنطق ١٣٢ .

(٢) انظر فى « غرفة » : المزهر ٢٧٧/٢ . وفى « شرب » : زاد المسير ١٤٥/٨ والمزهر ٢٧٧/٢ . وفى « زعم » : المصباح « زعم » والمزهر ٢٧٦/٢ . وفى « قرح » : المصباح « قرح » واللغات فى القرآن ٢١ .

(٣) انظر مجمع البيان ١٣٢/٣ .

وبينما يعزى الضم لتميم فى نحو « قُدوة » و « مُرية » و « رُضوان » و « رُفْقة » و « فُواق » (١) ينسب الفتح إليهم فى نحو « السَّم » و « الشَّهد » و « غَيارى » و ﴿ رَبْوَةٍ ﴾ (٢) .

الفتح والضم لغتان فصيحتان

« ضُعْف » بالضم فى قراءة النبى ﷺ أحد أربعة ألفاظ وردت فى القرآن الكريم ، ثلاثة منها مذكورة هنا ، ورابعها فى قوله تعالى : ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً ﴾ (٣) .

وأكثر اللغويين والنحاة وأصحاب القراءات ، والتفسير على أنهما لغتان بمعنى واحد ، فقد ذكر سيبويه (٤) أنهما لغتان مقولتان على سواء ، ومثّلهما الأخفش (٥) بالكَرْه والكُره ، والقَرْح والقُرح ، وعلق الزجاج (٦) بعد تمثيلهما بالمَكْث والمُكْث ، والفَقْر والفُقْر بأن باب « فَعْل » و « فُعْل » بمعنى واحد فى اللغة كثير » .

---

(١) انظر فى « قدوة » : المزهر ٢/٢٧٧ . وفى « مرية » : المزهر ٢/٢٧٦ والبحر المحيط ٥/٢١١ . وفى « رضوان » : المصباح (رضى) والبحر المحيط ٢/٣٩٨ . وفى « رفقة » : إصلاح المنطق ١٣٠ والمصباح ، واللسان (رفق) وفى « فواق » : إتحاف فضلاء البشر ٣٧٢ .

(٢) انظر فى « السم » : تهذيب اللغة ١٢/٣١٨ واللسان (سمم) . وفى « الشهد » المصباح (شهد) وتهذيب اللغة ١٢/٣١٨ . وفى « غيارى » : إصلاح المنطق ١٤٩ . وفى « ربوة » المصباح واللسان (ربو)

(٣) سورة الأنفال آية ٦٦ .

(٤)الكتاب ٣/٣٣ ، ٣٤ وانظر السيرافى النحوى ١١٣ .

(٥) معانى القرآن ١٧١ ، ٢١٥ ، ٢٩٢ .

(٦) معانى القرآن وإعرابه ٢/٤٢٤ ، ٤/١٩١ .

وذكر الأزهرى (١) أنهما « عند جماعة أهل البَصَر باللغة لغتان جيدتان مستعملتان فى ضعف البدن وضعف الرأى » وقد عقب بهذا على ماذكره الليث من أنه قيل : الضَّعْف فى العقل والرأى ، والضَّعف فى الجسد ويكونها لغتين أخذ الفارسى ، وابن جنى ، ومكى ، وصاحب الإتحاف وغيرهم (٢) .

فقد علق الفارسى على رأى سيبويه السابق قائلا : « فعلمنا بذلك أن كل واحد من الضَّعْف والضُّعف لغة ، كما كان الفَقْر والفُقْر كذلك » وقال الطبرى (٣) : « وهما لغتان مشهورتان فصيحتان بمعنى واحد » .

وكل من ذكر ذلك لم ينسب واحدا منهما إلى لهجة معينة ، مما يؤكد أن الطبيعة الصوتية للحركتين تجعلهما أكثر قابلية للتبادل فى اللغة الواحدة بله فى اللهجة الواحدة أيضا ، فقد نسب ضم الحاء وفتحها فى « الحوب » إلى الحجاز ، كما نسب كذلك إلى تميم (٤) ، والاختلاف فى نسبة « الوتر » بالفتح والكسر مشهور فى ذلك (٥) .

---

(١) تهذيب اللغة ٤٨٢/١ .

(٢) انظر الحجة للفارسى ١٦٢/٤ والمحتسب ٢٨٠/١ والكشف ٤٩٥/١ ، ١٨٦/٢ والإتحاف ٣٤٩ والحجة لأبى زرعة ٥٦٢ .

(٣) التفسير ٤١/١٠ .

(٤) انظر تهذيب اللغة ٢٧٠/٥ والبحر ١٦١/٣ والدر المصون ٥٥٧/٣ والمصباح واللسان (حوب) والإتحاف ١٨٦ .

(٥) انظر إصلاح المنطق ٣٥ وأمالى القالى ١٣/١ ، ٢٣٤ والمزهر ٢٧٧/٢ والبحر المحيط ٤٦٧/٨ والإتحاف ٤٣٨ والمصباح ، واللسان (وتر) واللهجات العربية فى التراث ٢٥٦/١ ـ ٢٦٠ .

مظهرها اللهجى

نسب أبو عمرو بن العلاء الضم لأهل الحجاز ، والفتح لتميم ، ذكره النحاس ، وأبو حيان ، والسمين الحلبى (١) ، وذكر الفيومى (٢) أن الفتح لغة تميم والضم لغة قريش وذكر ابن دريد (٣) أن الضم لغة النبى ﷺ .

وهــذه النسـبـة تبين أن اللهجة الحجازية أو القرشية خاصة قد مالت إلى الحركة الخلفية الضيقة ، مما يتناقض وماذكره بعض المحدثين (٤) من ميل « القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس اللين الخلفى المسمى بالضمة ؛ لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية ... » .

والحقيقة أن مثل هذا الإطلاق يفتقر إلى كثير من الدراسات الاستقصائية المتنوعة ، حتى يمكن تفسير بعض الظواهر اللهجية على ضوئه ، ويؤكده ماذكر فى القراءة السابقة ، ومايذكر فى القراءة التالية :

« شَرْبَ الهِيمِ »

فقد نقل الفراء (٥) أن العرب تقول : شَرِبتُه شُرْباً ، وأن أكثر أهل نجد يقولون : « شَرْباً » بالفتح ، وأن عامتهم ينشدون عليه :

تكفيــه حَزَّةُ فِلْذٍ إن أَلَمَّ بها ... من الشِّواءِ ويكفى شَرْبَه الغُمَرُ

---

(١) البحر المحيط ٥١٨/٤ والدر المصون ٦٣٦/٥ ، ٦٣٧ .

(٢) المصباح (ضعف) .

(٣) جمهرة اللغة ٩٠٣ تح بعلبكى .

(٤) د/أنيس فى اللهجات العربية ٩١ .

(٥) عن زاد المسير ١٤٥/٨ .

وفى مقابل هذه الرواية يذكر اليزيدى [١] أن « أهل الحجاز يقولون : شَرِبْت الماء شَرِبًا ، وأن تميما تقول : شربت الماء شُرْبا .

ويروى الكسائى أن قوما من بنى سعد بن تميم يقولون : « شِرْبَ الهِيم » بالكسر [٢] .

وهذا يعنى أن « الشرب » مثلث الفاء في معنى واحد ، وهو المصدر من شَرِبَ أو الاسم لما يُشْرب [٣] .

ويعنى أيضا أن ثمة تناقضا فى الروايات المذكورة ؛ فإنه إذا أطلق لفظ « تميم » يكون المقصود به القبائل النجدية من قيس وأسد وتميم ، وغيرها من القبائل المجاورة لها ، وكذلك الشأن فى إطلاق لفظ « نجد » فهما مترادفان في استعمال العلماء ، ويؤيد هذا كثير من النصوص المذكورة فى مصنفات اللغة ، والقراءات ، والتفسير ، والنحو [٤] ، وغيرها .

وعلى هذا تكون الروايات المذكورة على النحو الآتى :

- أكثر أهل نجد يفتحون الشين .
- أهل الحجاز يفتحون الشين .
- تميم تضم الشين .
- بنو سعد بن تميم تكسر الشين .

---

(١) عن المزهر ٢/٢٧٧ .

(٢) زاد المسير ٨/١٤٥ .

(٣) انظر إكمال الإعلام ١/ ٣٣٠ وتهذيب اللغة ١١/٣٥٢ ـ ٣٥٦ .

(٤) انظر المذكر والمؤنث للفراء ٨٧ ، ١٠١ ومعانى القرآن له ٢/٣٩٤ والأصول ٣/١٦١، ١٦٢ والبحر المحيط ٢/٣٢٨ وإبراز المعانى ١٢٥ والنشر ٢/ ٣٠ وشرح الشافية ٣/٤، ٢٥٥ وشرح المفصل ٩/٥٤، وجمهرة اللغة ٩/٢١٩ .... وغيرها ، وهو كثير .

وفى هذا من التناقض مالايخفى ، ولايمكن الطعن فى تلك الروايات ، كما أنه لايمكن التوفيق بينها ؛ لأن المحاولة ستكون ضربا من التعسف ، ومثله ظاهر فى قول بعض المحدثين : « ولانرى تناقضا بين القولين ، وإنما هذا يعنى أن معظم النجديين كانوا يشاركون الحجازيين فى نطقهم بالفتح ، وأن الضم كان لتميم ، وشذ بعضهم فكسر اللفظ بدلا من أن يضمه » (١) .

ومانرى هذا إلا محاولة منه لإثبات الضم لتميم ، والفتح لأهل الحجاز ، وقد استدل بقراءة نافع ، وعاصم ، وحمزة ، والحسن ، والأعمش بالضم على لغة تميم .

على أن القراء مختلفون أيضا فى قراءتها على النحو الآتى :

× قرأ « شَرْبَ الهِيم » بالفتح كقراءة النبى ﷺ : الكسائى الكوفى ، وأبو عمرو البصرى ، وابن عامر الدمشقى ، وابن كثير المكى ، وهؤلاء من السبعة ، ومن غيرهم : مالك بن دينار البصرى ، وابن جريج المكى ، والأعرج المدنى ، وابن الحجاب البغدادى .

× وقرأ « شُرْبَ الهِيم » بالضم : نافع المدنى ، وعاصم ، وحمزة الكوفيان ، ومن غيرهم : أبو جعفر المدنى ، والحسن البصرى ، والأعمش الكوفى (٢) .

× وقرأ « شِرْبَ الهِيم » بالكسر : طلحة بن مصرف الكوفى ، ومجاهد المكى (٣) .

---

(١) لغة تميم ٢١٨ ، ٢٣٩ .

(٢) انظر التيسير ٢٠٧ والنشر ٣٨٣/٢ والإتحاف ٤٠٨ والكامل للهذلى لوحة ٢٤١ والبحر المحيط ٢١٠/٨ .

(٣) انظر الكامل للهذلى لوحة ٢٤١ وشواذ القراءة ٢٣٧ والبحر المحيط ٢١٠/٨ .

وهكذا تتـداخل القـراءات بين المكيين ، والمدنيين ، والكوفـيين ، والبـصـريين ، والشاميين ، وإن كان لهذا التداخل مايبرره من كون القراءة تكتسب بطريق التعلم ، أو تختار من قبل القارىء ، على ماذكرناه سابقا .

إن قـراءة النبى ﷺ تـؤثر الفـتح هنا ، كـمـا تؤثر الضم هنالك فى « ضُعْف » وكلاهما إضـافة إلى القـراءتين الأوليين ـ ضـم الشـين فـى ﴿ شُرْبَ ﴾ وفتح الضاد فى ﴿ ضَعْفٍ ﴾ ـ المرويين عنه ﷺ أيضا ، كلتاهما من قبيل التوسعة فى حدود ماأتيح له ﷺ من إقراء الناس على سبعة أحرف .

فـمن شـاء نِسْبَةَ الضم إلى أهل الحـجـاز احتج بـ « شُرْب » و « ضُعْف » ومن أراد إثبات الفتح لهم احتج بـ « شَرْب » و « ضَعْف » .

ومـن يحتج إلى غلبة الضم فى تميم ، وشـيـوع الفتح فى الحجاز له فى ذلك أيضا فسحة ، فإذا ماعارضته رواية تكلف مالايطاق .

وقد أنصف بعض المحدثين فى قوله (١) : « وليس القـول بأن هذه القـبيلة تؤثر الضم مثلا ، وأن أخرى تؤثر الكسر بالأمر السهل ، بل لابد لذلك من قوانين صوتية غالبية تسير عليها كثيرا ، وتشذ عنها قليلا كما سنرى ، وكما رأينا ؛ لأنه كثيرا مايعترض بحثنا روايات مضطربة متنافرة فى كثير من الأحوال ، ويجد الإنسان صعوبات جمة فى استخلاص الحقيقة » .

---

(١) الدكتور علم الدين الجندى فى اللهجات العربية فى التراث ١/٢٥٦ .

توجيه القدماء لهذه القراءة .

حملها كل من الفراء ، والأخفش ، والزجاج (١) على المصدر من شَرِب ، ونبه الفراء على أن أكثر القراء على الضم ، خلافا لما نصت عليه كتب القراءات ، فقد استثنت نافعا ، وعاصما ، وحمزة ، وأبا جعفر ، وهم الذين قرأوا بالضم من جمهرة من قرأ بالفتح (٢) .

وكذلك احتج ابن خالويه ، ومكى (٣) لمن قرأ بالفتح بإرادة المصدر ، وأضاف ابن خالوية القولَ بأنهما لغتان ، وعلق الهذلى (٤) بأن الفتح هو الاختيار على المصدر .

وهو مصدر مقيس فى الثلاثى المتعدى كالأكل والضرب ، غير أن رواية اليزيدى بأن الضم لتميم ، ورواية الكسائى بأن الكسر لبنى سعد يؤكد أن الاختلاف فى حركة الفاء ناشىء عن الاختلاف بين المتكلمين فى اختيار الحركة ، وقد ذكر الفراء (٥) أن العرب قالت : آخرها أقلها شُربا ، وشِربا ، وشَربا .

فالتثليث ثابت فى فاء الكلمة التى تدل على معنى واحد ، والتثليث يعنى أن العرب نطقت هذه الكلمة بالحركات المختلفة ، وأن اختلاف الحركات لم يكن ذا قيمة وظيفية .

---

(١) معانى القرآن للفراء ١٢٧/٣ ، ١٢٨ وللأخفش ٤٩٢/٢ وللزجاج ١١٣/٥ .

(٢) التيسير ٢٠٧ والنشر ٣٨٣/٢ والكشف ٣٠٥/٢ والكامل للهذلى لوحة ٢٤١ والبحر المحيط ٢١٠/٨ والإتحاف ٤٠٨ .

(٣) الحجة فى القراءات السبع ٣٤١ والكشف ٣٠٥/٢ .

(٤) الكامل لوحة ٢٤١ .

(٥) فى المعانى ٢٨٢/٢ .

أما قراءة النبى ﷺ : « فَرُوحٌ وَرَيْحانٌ » فإن اختيار الضمة فيها ناشىء عن تقدير المعنى المراد ، أى أن الحركة هنا تمثل قيمة وظيفية إلى جانب قيمتها الصوتية بتمثيلها معنى معينا .

وذلك أن الرُّوحَ بضم الراء ذات دلالتين ، الأولى : الحياة ، والمعنى فى الآية : فحياة دائمة لاموت بعدها (١) والثانية : الرحمة ، والمعنى فى الآيه : فرحمة من الله تعالى ، وريحان يُتَلَقَّى به عند الموت ، ذكره قتادة (٢) .

والروح بالفتح ذات دلالات كثيرة ، منها : الفرح ، والراحة ، والمغفرة والرحمة ، والجنة ، والطيب والنسيم فى القبر ، والروح من الغم فى الدنيا (٣) .

---

(١) معانى القرآن للفراء ١٣١/٣ ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج ١١٧/٥ وتفسير الطبرى ٢١١/٢٧ ، ٢١٢ وزاد المسير ٨/ ١٥٦ ، ١٥٧ وتفسير القرطبى ١٥٧/١٧ والبحر المحيط ٢١٥/٨ ، ١١٦ .

(٢) تفسير الطبرى ٢٧ / ٢١٢ وزاد المسير ١٥٧/٨ .

(٣) المراجع السابقة ومعانى الأخفش ٤٩٣/٢ .

بين زيادة الحركة وحذفها
« التثقيل والتخفيف »

رُوِىَ أن النبى ﷺ قرأ :

قوله تعالى : ﴿ من لَّدُنِّى عُذْ راً ﴾ (١) : « عُذُرًا » (٢) .

قوله تعالى : ﴿ عُذْ راً أو نُذْرًا ﴾ (٣) : « عُذُرًا » (٢) .

قوله تعالى : ﴿ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾ (٤) : « خُضُرٍ » (٥) .

قوله تعالى : ﴿ والشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ (٦) : « وَالْوَتَرِ » (٧) .

---

(١) سورة الكهف آية ٧٦ .

(٢) ذكره الكرمانى فى شواذ القراءة ١٤٣ ونصه : « وعن النبى ﷺ وابن عباس ، وعلى بن الحسين ، وسلام ، والأعمش « عذرا » بضمتين » .

(٣) سورة المرسلات أية ٦ .

(٤) سورة الرحمن آية ٧٦ .

(٥) ذكره الكرمانى فى شواذ القراءة ٢٣٦ ونصه : « عن النبى ﷺ وعثمان بن عفان ، ونصر بن عاصم والجحدرى ، ومالك بن دينار ، وابن محيصن ، وزهير الفرقبى . . ضم الضاد من خضر . . » .

(٦) سورة الفجر آية ٣ .

(٧) ذكره الكرمانى فى شواذ القراءة ٢٦٤ ولم أجده لغيره .

وقراءة النبى ﷺ « عُذُرًا » قرأ بها زيد بن ثابت ، وطلحة ، وابن خارجة ، وأبو جعفر ، وأبو حيوة ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو ، وروح ، والحسن ، والأعشى ، وأبو بكر ، وعاصم ، والزعفرانى وابن مقسم ، وحمصى ، والبرجمى ، وابن عتبة ، والمنهال (١) .

وقراءته ﷺ « خُضُرٍ » قرأ بها : عثمان بن عفان ، ونصر بن عاصم ، والجحدرى ، ومالك بن دينار ، والأعرج ، وابن محيصن ، وزهير الفرقبى ، وابن هرمز (٢) .

أما قراءة « الوَتَرِ » بتحريك الواو والتاء ، فلم أقف عليها لأحد غير مانسبه الكرمانى للنبى ﷺ .

التوجيه الصوتى

تتشكل هاتان القراءتان صوتيا على النحو الآتى :

﴿ عُذْراً ﴾ ص ح ص + ص ح ص ـــــ « عُذُرًا » ص ح + ص ح +ص ح ص .

﴿ خُضْرٍ ﴾ ص ح ص + ص ح ص ـــــ « خُضُرٍ » ص ح + ص ح + ص ح ص .

﴿ وَالْوَتْرِ ﴾ ص ح ص + ص ح ـــــ « وَالْوَتَرِ » ص ح + ص ح + ص ح .

---

(١) انظر الكامل فى القراءات الخمسين للهذلى لوحة ٢٤٧ ومعانى القراء ٢٢٢/٣ ومعانى الأخفش ١٠٣/١ وتفسير الطبرى ٢٣٣/٢٩ والبحر المحيط ١٥١/٦ ، ٤٠٥/٨ والدر المصون ٥٣٢/٧ وإرشاد المبتدى ٦١٥ وإتحاف فضلاء البشر ١٤٣ ، ٤٣٠ وحجة أبى زرعة ٧٤٢ وشواذ الكرمانى ٢٥٦ والمبسوط ٤٥٦ .

(٢) انظر مختصر شواذ القرآن ١٥٠ والبحر المحيط ١٩٩/٨ وشواذ القراءة للكرمانى ٢٣٦ .

فالقراءة الأولى مكونة من مقطعين متوسطين مغلقين ، ماعدا الأخيرة ، فإنها مكونة من مقطع متوسط مغلق ، ومقطع قصير مفتوح .

والثانية مركبة من ثلاثة مقاطع الأول والثانى منها قصيران مفتوحان ، والثالث متوسط مغلق ماعدا الأخيرة ، فهى مركبة من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة .

وكلا التتابعين سائغ فى نسيج أبنية العربية ، ولكن التركيب يستمد تأليفه من طبيعة الناطقين ، فمن العرب من يؤثر التؤدة فى الأداء ، فيشبع الحروف ، ويبين المقاطع ، فتبدو معالم البنية كاملة .

ومن الطبيعى أن يكون تتابع ثلاثة مقاطع فى المثال المذكور ممثلا للغة هؤلاء .

ومنهم من يجنح إلى السرعة فى الأداء ، فيحذف بعض الحركات ، أو يماثل بينها ، أو يحذف بعض أصوات الكلمة ، لجوء ا إلى التخفيف ، وأكثر مايكون ذلك إذا اجتمع فى التركيب ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة ، أو ثالثها متوسط مغلق ، فإنها تلجأ إلى اختصارها فى مقطعين متوسطين مغلقين .

وقد وصف مثل هذه الحالة فى كلام العرب كثير من الرواة ، منهم عيسى بن عمر ، روى عنه الأخفش ، قال : « وزعم عيسى بن عمر أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم ، فمن العرب من يثقله ، ومنهم ، ومنهم من يخففه ، نحو : اليُسر ، والعُسر ، والرُّحم » قال الأخفش : وهذه اللغة التى ذكرها عيسى بن عمر يتحرك أيضا ثانيه بالضم .

أى الصيغتين أصل فى الأخرى ؟

من الصعوبة بمكان حسم الإجابة على هذا السؤال ؛ لأننا نفتقد حلقات كثيرة فى الأطوار التى مرت بها العربية ، وتبدو آثار هذه الصعوبة فى تباين آراء اللغويين الواضح بصدد هذه الظاهرة ، كما سنبينه فيما يلى .

شاع فى فروع السامية تحقيق حركات البنية وتخفيفها ، ويبدو أن التخفيف فيها هو الأصل ، فإن أكثر ماهو على « فُعْل » من الأسماء يكون أيضا على « فُعُل » نحو « أُذْن » و « أُذُن ».

وهى فى الأكدية Uznu وفى العبرية Ozen مكتملة الحركات ، والأصل : Uzn « فنرى من ذلك أن « أُذْن » بالذال الساكنة هى الأصل ، وأن « أُذُن » المتحركة مقلوبة منها » (١) وقد روى أن ﴿ عُذْرًا ﴾ الساكنة أصل فى « عُذُرًا » وأن الذال تحركت بالضم إتباعا للضمة التى قبلها ، قال صاحب الإتحاف (٢) : « وقيل الأصل السكون وأتبع » .

كما رُوِىَ أيضا أن التحريك هو الأصل ، وأن التسكين تفريع منه لأجل التخفيف ، قال مكى (٣) : « الضم الأصل ، والإسكان للتخفيف » .

وبعض من يعتبر التحريك أصلا يحتج بأنه جمع « عذير » (٤) فالضم على أصله فى الجمع ؛ لأن فعيلا يجمع على « فُعُل » كسرير وسُرُر ، وقضيب وقُضُب ، ونذير ونُذُر ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ (٥) .

وأنشدوا عليه قول حاتم الطائى :

أماوىَّ قد طال التجنبُ والهجر ... وقد عذرتنى فى طِلابكم العُذْرُ

---

(١) التطور النحوى ـ برجشتراسر ٦٩ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ١٤٣ .

(٣) الكشف ٢/٣٥٧ .

(٤) الحجة لابن خالويه ٣٦٠ والحجة لأبى زرعة ٧٤٢ والبحر المحيط ٨/٤٠٥ .

(٥) سورة القمر آية ٥ .

أصلها : « العُذُر » فخفف (١) .

وقد ذكرابن خالويه ، وأبو زرعة فى الاحتجاج لمن ضم أنه أراد جمع « عذير » ودليله : ﴿ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ .

وذهب بعضهم إلى أن « عُذْراً » مصدر بمعنى الإعذار ، وأن التحريك والإسكان فيه سواء ، ذكر ذلك الفراء (٢) ، والزجاج (٣) ، والطبرى (٤) ، وغيرهم (٥) .

مظهرها اللهجى

يكاد الإجماع ينعقد على أن « عُذْراً » مكتملة الحركات هى الأصل ، والحجة فى ذلك أنها لغة أهل الحجاز ، وهى الأصل ، كما ذكر سيبويه (٦) ، وقد بين السيرافى (٧) وابن سيدة (٨) سبب ذلك بأن العربية أصلها إسماعيل عليه السلام ، وكان مسكنه مكة .

---

(١) الصحاح واللسان (عذر) .

(٢) فى المعانى ٢٢٢/٣ .

(٣) فى معانى القرآن وإعرابه ٢٦٦/٥ .

(٤) فى التفسير ٢٣٣/٢٩ .

(٥) البحر المحيط ٤٠٥/٨ .

(٦) الكتاب ١١١/٤ .

(٧) السيرافى النحوى فى ضوء شرحه لكتاب سيبويه ٢٩٢ .

(٨) المخصص ٢١٧/١٤ .

وأكد الفراء هذه النسبة فى قوله : « أهل الحجاز ، والحسن يثقلون﴿ عُذْرًا أو نُذْرًا ﴾ وهو مصدر ، مخففا كان أو مثقلا » (١) و كذا ذكرفى الجُمُعَة » (٢) .

وأيضا ذكر ابن جنى أن التثقيل أفصح ؛ لأنه لغة الحجاز (٣) وكذلك ذكر أبو حيان (٤) ، وأصحاب القراءات (٥) .

وفى مقابل هذا ينسبون التخفيف إلى تميم ومن جاورهم من قيس ، وأسد ، وبكر ابن وائل ، فيذكر سيبويه أن بكر بن وائل ، وناسا كثيرا من تميم يخففون إذا تتابعت الضمتان (٦) .

وينقل أبو حيان عن الفراء نسبة التخفيف إلى تميم (٧) . وكذلك يذكر ابن جنى أن التخفيف فى نحو ذلك لتميم (٨) . وذكر صاحبا النشر والإتحاف أن إسكان الباب كله لغة تميم ، وأسد ، وعامة قيس (٩) .

---

(١) فى المعانى ٣ /٢٢٢ .

(٢) السابق ١٥٦/٣ .

(٣) المحتسب ٢٥٥/١ .

(٤) البحر المحيط ٢٤٧/٣ .

(٥) النشر ٤٠٦/٢ ، ٤٠٨ والاتحاف ١٤٣ .

(٦) الكتاب ١١٤/٤ .

(٧) البحر المحيط ٢٤٧/٣ .

(٨) المحتسب ٢٠٥/١ ، ٢٥٥ ، ٢٨٧/٢ .

(٩) النشر ٤٠٦/٢ ، ٤٠٨ والإتحاف ١٤٣ .

وعزو التثقيل لأهل الحجاز يتناسب وخصائص لهجتهم ، فهم يحققون الحروف ، ويحتفظون بالصيغ دون حذف أو تغيير .

وقد أجمع الرواة على أن أهل الحجاز يفخمون الكلام كله ، بمعنى أنهم لا يفرعون ولا يغيرون كتميم ومن جاورهم من القبائل النجدية ، فقد ذكر أبو عبيدة « أن أهل الحجاز يفخمون الكلام كله » وورد فى الخبر « نزل القرآن بالتفخيم » وفسر بعضهم التفخيم بأنه : تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر دون إسكانها [1].

وهذا كله يرج أن قراءة النبى ﷺ « عُذُراً » مكتملة الحركات مسايرة لطبيعة أهل الحجاز في التحقيق ، وأن هذه القراءة هى الأصل ؛ لأن الانتقال من حركة إلى حركة ، أو إيثار النطق بثلاثة مقاطع متتابعة ، أصعب من تسكين الحرف الثانى ، أو غلق المقطع ، واختصار المقطع الثالث ، وهذه طريقة من التخفيف تتسم بها لهجة أهل البداوة ، نتيجة لسرعة الأداء التى تلجئهم إلى حذف بعض الحركات ، والميل إلى المقاطع المغلقة ، وغير ذلك من التفريعات والتغييرات التي يقصد بها تحقيق الانسجام النطقى بين الحركات .

وأما قراءته ﷺ « خُضُرٍ » فيبدو أنها من قبيل المماثلة بين الحركات وهو ما يعرف بإتباع الحركة مثلها ، وهذه ظاهرة شائعة فى لهجة تميم وما حولها من أهل نجد ، وقد توجد في بعض أهل الحجاز .

والذى جعلنا نرجح ذلك أنها جمع « خضراء » مؤنث « أخضر » والقياس المطرد فى نحو هذا : إسكان العين ، كُحْمر ، وشُقْر ، وصُفْر ..... إلخ .

---

(١) انظر الإتقان ١/ ٩٥ واللهجات العربية فى التراث ١/ ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

ولا تحرك العين إلا فى ضرورة شعر كما ذكر النحاة (١) ، وأنشدوا عليه قول طرفه :

أيها الفتيان فى مجلسنا جردوا منها وِراداً وشُقر

فعلى هذا الاعتبار تكون القراءة شاهدا على جواز ضم عين « فُعْل » فى النثر أيضا .

كما أنها تدل على أن هذه الظاهرة كانت مستعملة فى القبائل الحجازية ، ولم تكن وقفا على القبائل النجدية ، وقد نص بعضهم على أن ضمة العين إتباع أو إشباع لضمة الفاء ، قال الهذلى (٢) فيما هو نحو ذلك : « وهو الاختيار ؛ لأنه أشبع » وقال صاحب الإتحاف (٣) : « وقيل : الأصل السكون وأتبع » .

والقراءة على أى اعتبار تبين حرص الحجازيين على تمكين الحركة وتحقيقها فى التلاوة .

وأما ماذكره الكرمانى من نسبة القراءة « والشفْعِ والوَتَرِ » بفتح الواو والتاء إلى النبى ﷺ فهو نادر ، وإن وردت قراءات على هذا النحو ، منها : قراءة ابن عباس ، والأعرج ، وطلحة ، وعيسى وسهل النهمى ، ويعقوب ، وحميد : « جَهَرَةً » (٤) و « زَهَرَةَ » (٥) بفتح الفاء والعين (٦) .

---

(١) انظر شرح الشافية ٢/ ١٧٠ وشرح الكافية ١٨٣٠ وشرح المفصل ٥/ ٦٢ والبحر المحيط ٨/ ١٩٩ .

(٢) الكامل فى القراءات الخمسين لوحة ٢٤٧ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر ١٤٣ .

(٤) فى قوله تعالى ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ سورة البقرة آية ٥٥ .

(٥) فى قوله تعالى ﴿ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ سورة طه آية ١٣١ .

(٦) انظر مختصر شواذ القرآن ٥ والبحر المحيط ١/ ٢١١ والدر المصون ١/ ٣٦٨ وشواذ القراءة ٢٥ ، ١٥٦.

وقراءة أبى السمال ، وابن السميفع « قَرَحٌ » (١) بفتح القاف والراء (٢) .

ويلاحظ فى الأولى والثانية وجود الهاء فى موقع العين ، وفى الثالثة وجود الحاء فى موقع اللام ، وأن الفاء مفتوحة قبلها فى الجميع .

وهى عند البصريين لغات مشروطة بالسماع ، سواء أكانت العين حرفا حلقيا أم غير حلقى ، نحو الشَّعْر والشعَر ، والصخْر و الصخَر ، والدهْر والدهَر ، والحَلْب والحَلَب ، والطرْد والطَّرَد ..... إلخ .

والكوفيون يجيزون الفتح إتباعا لحركة الفاء ، فى كل ماكانت عينه حرفا حلقيا ساكنا وقبله مفتوح ، سمع أو لم يسمع ، فهو عندهم قياس فى الحلقى العين ، سماع فيما عداه (٣) .

وقد مال إليه ابن جنى (٤) ؛ لأنه سمع عامة عقيل تقول ذلك ، ولكنه عاد فأجاز اعتبار الوجهين ، ثم رأى بعدُ أن الاختيار كون الفتح لغة .

وقراة النبى ﷺ « والوَتَرِ » ليست من الحلقىءالعين ، فهى إذن لغة فى « والوَتْرِ » عند البصريين والكوفيين ونُرَجح أن يكون التحريك لغة أهل الحجاز ؛ لأنه يتناسب مع ميلهم إلى تمكين الحروف بتحريكها .

. . . . .

---

(١) فى قوله تعالى : (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ) سورة آل عمران آية ١٤٠ .

(٢) انظر مختصر شواذ القرآن ٢٢ والبحر المحيط ٦٢/٣ والدر المصون ٤٠٢/٣ وشواذ القراءة ٥٣ .

(٣) انظر الخصائص ١٠/٢ والمحتسب ٨٤/١ ، ٨٥ والبحر المحيط ١٥٥/١ والدر المصون ٢٨١/١ ، ٣٦٨

(٤) المحتسب ٨٥/١ ، ١٦٧ والخصائص ١٠/٢ .

فى ظاهرة التخفيف والتشديد

روى أن النبى ﷺ قرأ

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكَانُوا شِيَعًا ﴾ (١) : « فَارَقُوا » (٢)

وقوله تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكَانُوا شِيَعًا ﴾ (٣) : « فَارَقُوا » (٢)

وقوله تعالى : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (٤) : « لَتَخِذْتَ » (٥)

وقوله تعالى : ﴿ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٦) : « فَكُرِّهْتُمُوهُ » (٧)

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٩ .

(٢) روى طاووس عن أبى هريرة ، قال : « سمعت النبى ﷺ يقرأ : « من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا » بالألف » ذكره الدورى فى جزئه ٩٦ ، ٩٧ وقال مكى : وقد روى أبو هريرة أن النبى ﷺ كان يقرأ « فارقوا » بألف . الكشف ٤٥٨/١ .

(٣) سورة الروم آية ٣٢ .

(٤) سورة الكهف آية ٧٧ .

(٥) ذكره الدورى فى جزئه ١٢٣ بإسناده إلى ابن عباس عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ قرأ « لَتَخِذْتَ » يعنى مخففة . ورواية مسلم فى الصحيح « لَتَخِذْتَ » ١٠٥/٧ « فضائل الخضر » . وانظر المستدرك ٢٤٣/٢ .

(٦) سررة الحجرات آية ١٢ .

(٧) ذكره ابن خالويه فى مختصره ١٤٣ والدورى فى جزئه ١٥٠ ، والكرمانى فى شواذه ٢٢٧ . وأبو حيان فى البحر ١١٥/٨ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ (١) : « وَفَى » (٢)

وقوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ (٣) : « قَدَرُوها » (٤)

---

(١) سورة النجم آية ٣٧ .

(٢) ذكره ابن جنى فى المحتسب ٢٩٤/٢ ، قال : ومن ذلك قراءة النبى ﷺ : « الذى وفى » خفيفة ، واختلف عنه وكذا ذكر الكرمانى فى شواذ القراءة ٢٣١ قال : وعن النبى ﷺ وأبى أمامة ، واليمانى « الذى وَفَى » بتخفيف الفاء . وقال ابن خالويه : « الذى وَفَى » بالتخفيف : سعيد بن جبير ، واليمانى ، وقال النبى ﷺ : أتعلمون ما « وَفَى » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنه عمل أربع ركعات كان يصليها من أول النهار مختصر شواذ القرآن ١٤٧ وذكر الدورى فى جزئه ١٥٤ بسنده عن أبى أمامة عن النبى ﷺ أنه قرأ : ﴿ وإِبْراهِيمَ الَّذِي وَفَى ﴾ مثقلة ، قال : تعلمون بما وفى ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : وفى أربع ركعات كان يصليهن فى أول النهار . ولعل قوله « مثقلة » سهو ؛ لإجماع الرواة على التخفيف بالنص عليه ، أو أنه رواية أخرى ؛ لما ألمح إليه ابن جنى فى قوله : « مختلف عنه » . وانظر تفسير الطبرى ٧٤/٢٧ والكشاف ٣٣/٤ والبحر المحيط ١٦٧/٨ وزاد المسير ٧٩/٨ .

(٣) سورة الإنسان آية ١٦ .

(٤) ذكره الكرمانى فى الشواذ ٢٥٥ قال : وعن النبى ﷺ وعلى ، وابن عباس ، وابن عمير ، والضحاك ، وقتادة ، ويعقوب ، وأبان عن عاصم ، وعبد الله بن عمير « قَدَّرُوهَا » بفتحتين وتخفيف الدال .

وهذا النص صريح فى نسبة القراءة إلى النبى ﷺ . أما نص ابن خالويه فمشكل ؛ لأنه نسب إلى النبى ص « قدروها تقديرا » وهذا يعنى أن « قدَّر » مشدد ، ونسب « قدروها » بالتخفيف إلى عبد الله بن عبيد ، فى حين أن ابن الجزرى نص فى ترجمة ابن عبيد أنه قرأ « قُدِّروها » بضم القاف . ونسب إليه الكرمانى فتحها وتخفيف الدال ، ولعلهما قراءتان للنبى ﷺ ولعبد الله بن عبيد . انظر مختصر الشواذ ١٦٦ وغاية النهاية ٤٣١/١ .

وقوله تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ (١) : « بِالْخُنْسِ . الْكُنْسِ » (٢)

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ (٣) : « فَعَدَّلَكَ » (٤)

وقوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (٥) : « وَدَعَكَ » (٦)

---

(١) سورة التكوير الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٢) ذكره الكرماني فى شواذ القراءة ٢٦٠ قال : وعن النبى ﷺ « بالْخُنْسِ الْجَوَارِ الْكُنْسِ » بسكون النون فيهما ، ولم أقف عليه لغيره .

(٣) سورة الانفطار آية ٧ .

(٤) ذكر مكى أن التشديد مروى عن النبى ﷺ الكشف ٢٤٤/٢ وروى الدورى فى جزئه ٧٠ ، ٧١ بسنده عن عبد الله بن حرملة عن سعيد بن المسيب : « كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال (أو نظر إلى الهلال) قال : الحمد لله الذى خلقك فسواك فَعَدَّلَكَ » مثقلة . وأخرجه الحاكم بسنده إلى سعيد ابن المسيب عن أبى هريرة ، وصححه انظر المستدرك ٢٥٢/٢ .

(٥) سورة الضحى آية ٣ .

(٦) ذكره ابن خالويه فى مختصر الشواذ ١٧٥ والكرمانى فى شواذ القراءة ٢٦٦ ونصا على التخفيف .

بين فَعِل وافتعل

قراءة النبى ﷺ « لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا »

قرأ بها ابن عباس ، وابن مسعود ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، واليزيدى ، ويعقوب ، والحسن ، وابن محيصن (١) .

التوجيه اللغوى للقراءة

المعنى فى « تَخِذْتُ » و « اتَّخَذْتُ » واحد ، يقال : اتَّخذ فلان مالا يتَّخذه اتِّخاذا ، وتَخِذَ يَتْخَذُ تَخَذًا : بمعناه ، وتَخِذْت مالا : كَسَبْتُه (٢) .

وأنشدوا عليه قول المزق العبدى (٣) :

وقد تَخِذَتْ رجلى إلى جنب غَرْزِها نسيفًا كأفحوص القطاة المُطَرَّق

وأنشد الفراء (٤) عن القنانى :

* تَخِذَها سُرِّيَّةً تُقَعْدُهْ *

---

(١) معانى القرآن للفراء ١٥٦/٢ والسبعة ٣٩٦ والتيسير ١٤٥ وحجة أبى زرعة ٤٢٥ والمبسوط ٢٨١ والكشف ٧٠/٢ والإقناع ٦٩١/٢ والنشر ٣١٤/٢ وإرشاد المبتدى ٤٢٠ وزاد المسير ١٧٧/٥ والبحر المحيط ١٥٢/٦ والدر المصون ٥٣٥/٧ والإتحاف ٢٩٤ وتهذيب اللغة ٥٣٠/٧ ومجالس العلماء ٢٥٥.

(٢) انظر العين ٢٩٨/٤ وتهذيب اللغة ٥٣٠/٧ والصحاح واللسان (أخذ) .

(٣) فعل وأفعل للأصمعى ٤٩٤ مجلة مركز البحث العلمى ، ومجالس العلماء ٢٥٥ ومجاز القرآن ٤١١/١ وجمهرة اللغة ٣٨٨ تح بعلبكى ، والخصائص ٢٨٧/٢ .

(٤) فى المعانى ١٥٦/٢ وانظر تهذيب اللغة ٥٣٠/٧ وماذكره الكوفيون من الإدغام ٧٣ .

وقد نعتَ العلماء هذه اللغه بالفصاحة ، فَيُروى أن أبا عمرو بن العلاء أجاب حين سئل عنها بأنها « لغة فصيحة » (١) وأكد ذلك ابن دريد حيث ذكر أن « اتَّخذ » ، و « تَخِذ » لغتان فصيحتان (٢) .

وأجمعوا أيضا على أنهما لغتان بمعنى واحد ، وقد رُوِيَ هذا عن أبى عمرو (٣) ، وغيره (٤) ، وقال أبو عبيدة : « لَتَخِذْتَ » الخاء مكسورة ، ومعناها معنى « أخذت» فكان مخرجها مخرج فَعِلْت تَفْعَل » (٥) وصوب الطبرى القراءة بهما ؛ لأنهما « لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد » (٦) .

إذن فنحن أمام صيغتين مختلفتين شكلا ، متحدتين معنى ، ونظائرهما كثير فى الكلام ، من نحو : تَبِع واتَّبع ، وتَجِه واتَّجه ، وتَقِيَ واتَّقى (٧) .

ومن الواضح أن الصيغة الأولى خفيفة ، والثانية ثقيلة بسبب الزيادة والتضعيف ، وقد جرى الاستعمال بكلتا اللغتين ، غير أن الثقيلة كانت أكثر وأشهر ، ولهذا كانت قراءة الجمهور .

---

(١) مجالس العلماء ٢٥٥ وانظر مجاز القرآن ٤١١/١ والأشباه والنظائر ١١٣/٣ .

(٢) جمهرة اللغة ٣٨٨ .

(٣) مجالس العلماء ٢٥٥ والأشباه والنظائر ١١٣/٣ .

(٤) فعل وأفعل للأصمعى ٤٩٤ مجلة مركز البحث العلمى ، ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٦/٣ .

(٥) مجاز القرآن ٤١١/١ .

(٦) فى التفسير ٢٩١/١٥ .

(٧) حكى أبو زيد قولهم : تَجِهَ يَتْجَهُ بمعنى اتَّجه . النوادر ١٥١ وانظر الخصائص ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧ .

وقد احتدم الخلاف حول أصل اللغتين ، والعلاقة الاشتقاقية بينهما ، خاصة وقد ثبت استعمال « تَخِذَ يَتْخَذ » ونحوه مما ذكرنا .

ـ فذهب فريق من العلماء إلى أن « تَخِذَ » أصل قائم بذاته ، التاء فيه فاء الكلمة ، غير زائدة ولا مبدلة ، وأن « اتَّخذ » افتعل منه . ومن هؤلاء : سيبويه (١) ، وأبو على الفارسى (٢) ، والزمخشرى (٣) ، وعبارة الأخير صريحة فى ذلك ؛ إذ يقول : « والتاء فى « تَخِذَ » أصل كما فى تبع ، و « اتَّخذ » افتعل منه كاتَّبع من تَبِع ، وليس من الأخذ فى شيىء » وقد وافقه أبو حيان (٤) ، وأخذ به أصحاب الاحتجاج للقراءات ، كابن خالويه ، وأبى زرعة ، ومكى (٥) بالإضافة إلى أبى على .

ـ وذهب فريق آخر إلى أن « تَخِذَ » و « اتَّخذ » مشتقان من الأخذ ، ومن هؤلاء : الخليل (٦) ، والفراء (٧) ، والزجاج (٨) .

---

(١) شرح الشافية ٢٩٣/٣ وانظر الكشف ٢/ ٧٠ والمخصص ٢٧٢/١٢ ، ٢٧٣ .

(٢) الحجة ٧١/٢ تح قهوجى ، وجويجاتى . والمخصص ٢٧٢/١٢ .

(٣) الكشاف ٤٩٥/٢ وانظر النهاية ١٨٣/١ واللسان « تخذ »

(٤) البحر المحيط ١٥٢/٦ .

(٥) انظر الحجة لابن خالويه ٢٢٨ ، ٢٢٩ والحجة لأبى زرعة ٤٢٥ ، ٤٢٦ والكشف ٢/ ٧٠ .

(٦) فى العين ٢٩٨/٤ : « ويقال الاتخاذ من تخِذ يتخَذ تَخَذاً ..... ألزمت التاء كأنها أصلية ، والأصل من الأخذ إن شاء الله تعالى .

(٧) نقل السيرافى فى ماذكره الكوفيون من الإدغام ٧٣ قول الفراء : « أصلها من الأخذ ، وكثر بها تاء الافتعال ، فصارت بمنزلة « اتقيت » حتى توهموا بالتاء أنها أصل ، ووجدوا الهمز مقاربا للواو ، فاحتملوا ذلك ، وقالوا فيه لما كثر : * تَخِذها سُرِّيَةٌ تُقَعْدُهْ * فكسر الخاء ، فصارت كأنها فَعِلتُ » وانظر معانى القرآن ١٥٦/٢ . ويلاحظ صلة مابين كلامه وكلام الخليل من توهم أصالة التاء ، وقد قال به الجوهرى ، فرده ابن الأثير فى النهاية ١٨٣/١ .

(٨) فى معانى القرآن واعرابه ٣٠٦/٣ ، ٣٠٧ .

وقد بين السيرافى الصلة بين « أخذ » و « تَخِذَ » بأن التاء « إما أن تكون منقلبة من فاء الفعل ، وإما من الهمزة ، وإما قلبت الهمزة واوا ، ثم قلبت الواو تاء ، وصرف منها « فَعِل يَفْعَل » (١) .

ولكن الفارسى رَدَّه بأن الهمزة لم تبدل من التاء ، ولا التاء أبدلت منها (٢) .

ولذا التمس ابن جنى (٣) ، مذهبا آخر فى توجيه « تَخِذ » بأن جعل الأصل فيها « ائتخذ » ثم حذفت الهمزة وبقيت تاء افتعل عوضا عنها ، وذهبت ألف الوصل مع ذهاب الهمزة الساكنة .

وهذا يعنى أن التاء فى « تَخِذَ » ليست أصلا ، وإنما هى بدل من الأصل الذى هو الهمزة ، وأن هذه الصيغة صورة مخففة من صيغة « افتعل » وهذا لم يسلم له ؛ لأنه افتراض عقلى خاص .

وثمة خلاف كثير فى أصل « تَخِذ » وهذا الخلاف يدل على أنها أصل قائم بذاته ، وأن « اتَّخذ » افتعل منه ، كما قرر الفارسى فى قوله : « اتَّخذ : افتعل ، وفَعِلت منه : تَخِذْت .....ومن زعم أن « تخذت » أصله من أخذت لم يكن هذا القول بمستقيم ولا قريب منه ، ولو قلب ذلك عليه لم يجد فصلا ... » (٤) .

مظهرها اللهجى

ثبت من العرض السابق أن « تَخِذ » و « اتَّخذ » لغتان بمعنى واحد ، وأن الأولى

---

(١) ماذكره الكوفيون من الإدغام ٧٥ .

(٢) الحجة ٢/ ٧١ والمخصص ٢٧٢/١٢ .

(٣) انظر الخصائص ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧ .

(٤) الحجة ٢/ ٧٠ ، ٧١ وانظر المخصص ٢٧٢/١٢ .

خفيفـة ، والثانيـة ثقيـلة ، وقد نشأ ثقلها من إدغام التاء الأصلية فيها فى تاء افتعل ، وإضافة ألف الوصل .

واستعمال الصيغة المخففة من نحو تخِذَ يَتْخَذ ، وتَقِى يَتَقى ، ظاهرة شائعة فى لهجة متميزة من لهجات العرب ، وهى لهجة هذيل (١) ، وقد وردت آثارها فى أشعارهم ، ومنها قول أبى جندب الهذلى (٢) :

تَخِذْتُ غَرازَ إِثْرهم دليـــلا وفروا فى الحجاز ليُعْجزونى

وقول ساعدة الهذلى (٣) :

يَتَقى به نَفَيَان كل عَشـــيَّة فالماء فوق مُتونه يتصبَّب

وقد خرَّج الطبرى قراءة « لَتَخِذْتَ » على هذه اللغة ، قال : « تَخِذَ فلان كذا يتْخَذه تَخَذاً ، وهى لغة فيما ذُكر لهذيل » (٤) .

ونُقِل عن أبى عبيد أيضا أنه حملها على هذه اللهجة ، ذكره صاحب إبراز المعانى (٥) وهذا يؤكد أن « تَخِذ يتْخَذ » أصل مستقل ؛ لأنه علي لهجة ذات مكانة بين لهجات العرب ، وأن القراءة عليه أصل أيضا ، كما أن القراءة بالتشديد أصل مؤسس على استعمال سائر العرب للصيغة المشددة .

---

(١) انظر اللهجات العربية فى التراث ٢/ ٦٨٥ ، ٦٨٦ .

(٢) ديوان الهذليين ٣/ ٩٠ واللهجات العربية فى التراث ٢/ ٦٨٦ .

(٣) ديوان الهذليين ١/ ٦٩ واللهجات العربية فى التراث ٢/ ٦٨٥ .

(٤) التفسير ١٥/ ٢٩١ .

(٥) إبراز المعانى ٣٨٥ واللهجات العربية فى التراث ٢/ ٦٨٦ .

بين « فَعَلَ و « فَعَّل »

قراءته ﷺ : « وَفَى »

قرأ بها : أبو أمامة ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك الغفارى ، وابن السميفع ، وزيد ابن على ، وابن محيصن ، وابن عمران الجونى (١) . وقرأ الباقون ﴿ وَفَّى ﴾ بالتشديد .

التوجيه اللغوى للقراءة :

وفَى ، ووفَّى ، وأوْفَى : لغات تؤول استعمالاتها المختلفة إلى معنى واحد ، فيقال : وَفَيْتُ بالعهد ووفَّيْتُ به ، وأوفَيْتُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ﴾(٢) و ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ ﴾ (٣) و ﴿ فَوَفَاهُ حِسابَهُ ﴾ (٤) و ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ﴾ (٥) ويلاحظ أن « وَفَّى » و « أَوْفَى » وردا متعديين ، ولازمين ، وقد حكى أبو زيد (٦) عن العرب : « وَفَّى نذرَه ، وأوفاه » فجعل الرباعى يتعدى بنفسه .

---

(١) مختصر شواذ القرآن ١٤٧ والمحتسب ٢٩٤/٢ وشواذ القراءة ٢٣١ والبحر المحيط ١٦٧/٨ وزاد المسير ٧٩/٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٠٣ .

(٢) سورة الإسراء آية ٣٤ .

(٣) سورة الشعراء آية ١٨١ .

(٤) سورة النور آية ٣٩ .

(٥) سورة النجم آية ٣٧ .

(٦) اللسان (وفى) .

ونقل أبو عبيد (١) عن أبى عبيدة ، والكسائى : « وفَيْتُ بالعهد ، وأوفَيتُ » فوَفَى هنا بمعنى أوفَى التى هى بمعنى وَفَّى المشددة ، وقد نص كثير من اللغويين على أن « وَفَى » و « وَفَّى » و « أوفى » بمعنى (٢) .

وأكثر مايكون « وَفَى » المخفف لازما بمعنى تَمَّ ، قال أبو حاتم : « وَفَتْ ذمتُه ، أى : تمت ، ووفَى شبابُه ، ووفى الغلام : إذا تم ، ووَفَى الدرهمُ ، وهو وافٍ » (٣) . ونقل الأزهرى عن شمر مثله (٤) .

وكونه بمعنى « وفَّى » و « أوفى » يقتضى أن يكون مثلهما فى التعدية ، ويبدو أنه كذلك ، فقد ذكر ابن دريد (٥) : وَفَيتُ الكيلَ وأوفيت .

وأنشد عن أبى عبيدة لدريد بن الصمة : (٦) .

وَفَاءُ مَا مُعَيَّةُ مِن أبيَة ... لِمنَ أو فى بعهدٍ أو بعقدِ

محتجا لكون « وفَى » و « أوفى » بمعنى ، وقال : هما لغتان فصيحتان (٧) .

---

(١) الغريب المصنف ٢/ ٥٨٥ وتهذيب اللغة ١٥/ ٥٨٥ .

(٢) انظر المصباح واللسان (وفى) .

(٣) فعل وأفعل ٤٩٧ مجلة مركز البحث العلمى .

(٤) تهذيب اللغة ١٥/ ٥٨٥ .

(٥) جمهرة اللغة ١٢٦٤ تح بعلبكى .

(٦) السابق ٢٤٤ ، ٩٧٣ ، ١٢٥٧ .

(٧) نفسه و ص ١٠٨٢ .

وأنشد أبو حاتم [1] لطفيل الغنوى :

أمـا ابنُ طـوق فقـد أوفى بذمتـه كما وفَى بقِـلاص النجـم حاديهـا

وقال : وإن شئت « فقد وَفَّى بذمته » .

فنحـن إذن أمـام ثـلاث صيـغ متـفـاوتـة فى الشكل بين الخـفـيـفـة بالتـجـريـد ، والمزيـدة بالتـثقـيـل ، والمزيدة بحـرف ، والذي يعنينا منهـا : المخففة والمثـقلة ؛ لورود القراءة بهما .

والمعنى فى القراءتين واحد ، إذ أن مختلف التأويلات فيه قريب بعضـها من بعض ، وتنحصر فى أن إبراهيم عليه السلام قـد وفى عملـه بالعبـادة ، والطاعـة ، وتبليغ ما كلفه الله به [2] .

ومادامت الصيغتان بمعنى ، فإنهما لغتان ، وقد نص العلماء على فصاحتهما ، كما ذكر ابن دريد [3] . وكذلك هما قراءتان صحيحتان قرىء بهما بناء على اختيار قوم قـراءة « وفَى » المخففـة ، واختيـار آخـرين قـراءة ﴿ وَفَّى ﴾ المثقلـة ، وقـد يقـرأ بهمـا معا ، كما روى عـن النبى ﷺ فـقـد روى الدورى عـن أبى أمامـة أيضـا أن النبى ﷺ قرأها (وَفَّى) مثقلة[4] .

---

(١) فعل وأفعل ٤٩٧ مجلة مركز البحث العلمى .

(٢) انظر تفسير الطبرى ٢٧/٧١ ـ ٧٣ وزاد المسير ٨/٧٩ ، ٨٠ ومعانى الفراء ٣/١٠١ ومعانى الزجاج ٥/٧٥ .

(٣) جمهرة اللغة ٩٧٣ ، ١٠٨٢ .

(٤) ذكره فى جزئه ١٥٤ .

على هذا فإن قـول الزجاج (١) ، ومن تابعه (٢) : « وقيل : ﴿ وفّى﴾ وهى أبلغ من « وَفَى » لأن الذى امتحن به من أعظم المحن » غير سديد ؛ لأنهما لغتان على سواء .

ويعضد هذا أن العلماء ينسبون الصيغة المشددة لتميم ، والمخففة لأهل الحجاز فى الأمثلة المناظرة لهذه (٣) .

قراءة « قَدَرُوهَا »

فى قوله تعالى : ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ ثلاث قراءات : هذه ، وهى قراءة الجمهور (٤) ؛ و « قُدِّروها » وفى نسبة هذه خلاف ، فقد عزاها ابن خالويه (٥) إلى النبى ﷺ غير أنه لم يقيدها ، وذكر المحقق أنها مشكولة بالفتح فى النسختين ، وأنه يعتقد أن الصواب « قُدِّروها » ومما يؤكد هذا أنه قيد القراءة الثالثة « قَدَروها » بالتخفيف ، ونسبها إلى عبد الله بن عبيد .

وفيها أيضا أنه نسبها إلى : على رضى الله عنه ، وابن عباس ، والسلمى ، والشعبى ، وجماعة .

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٥/٧٥ .

(٢) انظر تهذيب اللغة ١٥/٥٨٦ والكشاف ٤/٣٣ وزاد المسير ٨/٧٩ والكشف ٢/١١٧ .

(٣) انظر اللهجات العربية فى التراث ٢/٦٦٤ ـ ٦٦٧ ولغة تميم ٣٨٠ ـ ٣٨٣ .

(٤) البحر المحيط ٨/٣٩٧ وتفسير الطبرى ٢٩/٢١٧ .

(٥) مختصر الشواذ ١٦٦ .

ويؤيد هذه النسبة أن أبا حيان [١] عزاها إليهم ، وأضاف : ابن أبزى ، وقتادة ، وزيد ابن على ، والجحدرى ، وعبدالله بن عبيد ، وأبا حيوة ، وعباساً عن أبان ، والأصمعى عن أبى عمرو ، وابن عبدالخالق عن يعقوب وقيدها بأنها « قُدِّروها » بالبناء للمفعول .

وفيها أيضا أن الفراء ، والزجاج ، والطبرى ، وابن جنى [٢] اقتصروا على ذكر القراءتين المشددتين ، ونسب الفراء المبنية للمفعول إلى الشعبى ، وقال الطبرى : « الشعبى وغيره من المتقدمين » .

وكذلك نسبها الجوزى [٣] إلى السلمى ، وأبى عمران ، والجحدرى ، وابن يعمر .

وكل ذلك يؤكد أن قراءة « قُدِّروها » بالبناء للمفعول فى كتاب ابن خالويه ، والتى نسبها إلى النبي ﷺ هى المقصودة .

والقراءة الثالثة ، وهي : « قَدَروها » بالتخفيف ، وقذه قيدها ابن الجوزى [٤] ، والكرمانى [٥] بفتح القاف ، والدال وتخفيفها ، ونسبها الكرمانى إلى النبى ﷺ وعلى ، وابن عباس ، وابن عمير ، والضحاك ، وقتادة ويعقوب ، وأبان عن عاصم ،

---

(١) فى البحر ٣٩٧/٨ .

(٢) انظر معانى القرآن ٢١٧/٣ ومعانى الزجاج ٥/ ٢٦٠ وتفسير الطبرى ٢١٧/٢٩ والمحتسب ١١٧/٢ .

(٣) زاد المسير ٤٣٧/٨ .

(٤) السابق .

(٥) شواذ القراءة ٢٥٥ .

وعبدالله بن عمير ، ونسبها ابن الجوزي [١] إلى حميد ، وعمرو بن دينار ، ونسبها ابن خالويه [٢] إلى عبدالله بن عبيد « ابن عمير » . فهذه القراءة ثابتة ، ولكن حدث تداخل بينها وبين قراءة « قُدِّروها » فى النسبة إلى القراء على ما سبق .

ولا نستطيع دفع أية رواية منها ، ولكن يمكننا القول بأن القارىء الواحد كان يقرأ بأكثر من وجه ، ومن ثم فإنه يحتمل أن يكون مَنْ نسبت إليهم قراءة « قُدِّروها » قد قرأوا أيضا « قَدَروها » بالتخفيف .

التوجيه اللغوى

قَدْرُ كل شيىء ومقداره : مقياسه ، ويقال : قَدَر الشيىء بالشيىء يقدرُه قَدْراً ، وقدرَّه : قاسه . ويقال : قَدَرْت الأمرَ أَقْدُرُهُ وَأَقْدِرُهُ : إذا نظرت فيه ودَبَّرْته [٣] . وفى الحديث « فإن غُم عليكم فاقْدُروا له » أى : قَدِّروا له عدد الشهر حتى تكملوه ثلاثين يوما [٤] .

ومن الواضح أن « قَدَرَ » و « قَدَّر » بمعنى ، وقد صرح بذلك الفيومى [٥] قال : قَدَرْت الشيىء قدرا من بابى ضرب وقتل ، وقدَّرته تقديرا : بمعنى » .

---

(١) زاد المسير ٤٣٧/٨ .

(٢) مختصر الشواذ ١٦٦ .

(٣) انظر تهذيب اللغة ٢٢/٩ واللسان (قدر) .

(٤) النهاية ٢٣/٤ .

(٥) المصباح (قدر) .

بل إن استعمال « قَدَر » فى معنى التقدير هو الأكثر ، بدليل الحديث السابق ، وحديث عائشة رضى الله عنها « فاقْدُروا قَدْر الجارية الحديثة السن المشتهية للنظر » (١) .

ومعنى التقدير فى الآية على اختلاف القراءة هو مافى « قَدَر » فقد ذكر الفراء (٢) وغيره (٣) أنهم « قَدروا الكأس على رِىِّ أحدهم لافضل فيه ولاعجز عن ريه ، وهو ألذ الشراب » وذكر فى قراءة « قُدِّروها » أن « المعنى واحد : قُدِّرت لهم وقُدِّروا لها سواء » .

فالقراءتان بمعنى على اللغتين الثابتتين ، وسواء فى ذلك قراءة النبى ﷺ ، وغيره من الصحابة . والتابعين ، وكبار القراء ، رضوان الله عليهم أجمعين .

قراءة النبى ﷺ « فَعَدَّلَكَ »

تلتقى مشتقات مادة « ع د ل » فى معنى الاستقامة والاستواء ، يقال : عَدَلْتُ الشيءَ فاعتدل ، أى : سويته وأقمته فاستوى واستقام ، وكل ماتناسب فقد اعتدل ، وكل ماأقمته فقد عدلته وفى حديث عمر رضى الله عنه : « الحمد لله الذى جعلنى فى قوم إذا ملت عَدَلونى كما يعُدل السهم فى الثِّقاف » أى : قومونى ، وكل مثقف معتدل ، وقال :

صَبَحْتُ بها القومَ حتى امتَسَكْـ تُ بالأرض أعْدِلُها أن تميلا (٤)

---

(١) غريب الحديث لأبى عبيد ٤/٣٣١ .

(٢) معانى القرآن ٣/٢١٧ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ٢٩/٢١٧ ، ٢١٨ والكشاف ٤/١٩٨ وزاد المسير ٨/٤٣٧ والبحر المحيط ٨/٣٩٧ .

(٤) انظر تهذيب اللغة ٢/١١٠ واللسان (عدل) .

وعَدَّله مثل عَدَلَه ، يقال : عدلت أمتعة البيت : إذا جعلتها أعدالا مستوية ، وعدل القسام الأنصباء : سواها على القِيَم (١) .

وكذلك المعنى فى قراءتى التشديد والتخفيف ، فقد ذكر الأخفش (٢) أن « من ثقل « عَدَّلك » فإنما يقول : عدل خلقك ، و ﴿ عَدَلَك ﴾ أى : عدل بعضك ببعض فجعلك مستويا معتدلا ، وهو فى معنى « عَدَّلكَ » . وإلى ذلك أيضا ذهب المبرد (٣) ، والزجاج (٤) ، وقد جمع الزجاج القراءتين على معنى « خلقك فى أحسن تقويم » .

وذكر الزمخشرى (٥) فى توجيه قراءة التخفيف وجهين ، أحدهما : أنها بمعنى المشددة ، وكذا ذكره أبو حيان (٦) وفسره على معنى : « عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت » .

وذهب بعضهم إلى التفرقة بين القراءتين فى المعنى ، فقد جعل الفراء (٧) « فَعَدَلَك » المخففة بمعنى الصرف ، و ﴿ فَعَدَّلكَ ﴾ المشددة بمعنى التسوية والاستقامة ، وعبارته : « فمن قرأها بالتخفيف ، فوجهه : فصرفك إلى أى صورة شاء ، إما حسَن أو قبيح ، أو طويل ، أو قصير . ومن قرأ ﴿ فَعَدَّلك ﴾ فإنه أراد : جعلك معتدلا مُعَدّل الخلق » .

---

(١) انظر تهذيب اللغة ٢/ ١١٠ واللسان (عدل) .

(٢) معانى القرآن ٢/ ٥٣١ .

(٣) حجة القراءات لأبى زرعة ٧٥٣ .

(٤) معانى القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩٥ .

(٥) الكشاف ٤/ ٢٢٨ .

(٦) البحر المحيط ٨/ ٤٣٧ .

(٧) معانى القرآن ٣/ ٤٤ وانظر تهذيب اللغة ٢/ ٢١١ واللسان (عدل) .

وتابعه على ذلك كثير ، منهم الطبرى (١) ، وأبو حيان (٢) ، وغيرهما ، وذكره بعضهم على أنه وجه من أوجه تعليل قراءة التخفيف (٣) .

ونرى أن « عَدَل » و « عَدَّل » تؤولان إلى معنى واحد ؛ لما ذكرنا فى اشتقاقات المادة ، ولأن الفراء ، ومن تابعه جعلوا حرف الجر ﴿ فى ﴾ متعلقا بـ ﴿ رَكَّبَكَ ﴾ وليس بمتعين ؛لأنه قد يكون متعلقا بمحذوف تقديره : ركبك حاصلا فى بعض الصور ، أو يكون المعنى قصد بك إلى الاستواء ، والصلة محذوفة على حد قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُم يُخْسِرُونَ ﴾ (٤) كما ذكر المبرد (٥) ، أو يكون متعلقا بعدلك أى : عدلك فى صورة عجيبة ، كما ذكر الزمخشرى (٦) ، على أن كل هذه الاحتمالات ترجع إلى معنى واحد أيضا .

وبذلك نخلص إلى أن عَدَلَ و عَدَّل بمعنى ، أى أنهما لغتان مستعملتان فى كلام العرب ، ينطق بهذه قوم ، وبتلك آخرون .

---

(١) فى التفسير ٨٧/٣٠ .

(٢) فى البحر المحيط ٤٣٧/٨ .

(٣) الكشف ٣٦٤/٢ .

(٤) سورة المطففين آية ٣ .

(٥) انظر حجة القراءات لأبى زرعة ٧٥٣ .

(٦) الكشاف ٢٢٨/٤ .

تعليق على نسبتهما اللهجية

تنسب قوانين المحدثين الصيغة المخففة فيما هو على هذا النحو إلى القبائل الحضرية ، والصيغة المشددة إلى القبائل البدوية ، والأمر في هاتين القراءتين على خلاف ذلك ، فقد قرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائى ، والأعمش وطلحة ، وهم الكوفيون ، وخلف البغدادى ، والحسن البصرى ، وعيسى الثقفى ، وأبو جعفر المدنى « فَعَدَلَكَ » بالتخفيف [١].

وقرأ ابن كثير المكى ، ونافع المدنى ، وابن عامر الشامى ، وأبو عمرو ، ويعقوب البصريان « فَعَدَّلَكَ » بالتشديد [٢] .

وقد نسب الفراء التشديد لأهل الحجاز [٣]، وعمم الطبرى [٤] ، فقال : « قرأته عامة قراء المدينة ، ومكة ، والشام والبصرة (فَعَدَّلَك) بتشديد الدال ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بتخفيفها ..... » .

فإذا اعتبرنا القراء ممثلين لبيئاتهم اللغوية ، فهذا واقع الحال في تداخل القراءات ، وإذا أخذنا بقول بعض المحدثين [٥] : « إن التشديد مالت إليه القبائل البدوية ، كتميم ، وسفلى قيس ، بينما لهجة قريش والحجاز قد آثرت التخفيف » وبقول آخر [٦] : « نستطيع أن نقرر بهد هذا أنه إذا وردت الصيغتان « فَعَل » و « فَعَّل » بدلالة واحدة دون نسبة إلى بيئة معينة ، نرجح أن الثقيلة تميمية ... » إذا أخذنا بهذا فإن هاتين القراءتين تقفان حائلا دون الاعتداد به .

---

(١) انظر المبسوط ٤٦٥ والتيسير ٢٢٠ والسبعة ٦٤٧ والكامل فى القراءات الخمسين ٢٤٨ والعنوان ٢٠٤.

(٢) المراجع السابقة ، والبحر المحيط ٤٣٧/٨ .

(٣) فى المعانى ٤٤/٣ .

(٤) في التفسير٣ . ٨٧/٢ .

(٥) اللهجات العربية فى التراث ٦٥٩/٢.

(٦) لغم تميم ٣٨٣ .

قراءة النبى ﷺ « مَيْتًا فَكُرِّهْتُمُوهُ » .

قرأ بها أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه وهو الذى رواها عن النبى ﷺ وقرأ بها الضحاك ، وعاصم الجَحْدرى ، وأبوحيوة (١) .

وبين هذه القراءة ، والقراءة المشهورة ﴿ فَكَرِهْتُمُوه ﴾ اتفاق فى المادة ، واختلاف فى الصيغة ناشئ عن اختلاف المعنى المراد .

وذلك أن القراءة المشهورة ﴿ فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ على البناء للفاعل من الفعل الخفيف « كَرِه » والقراءة الثانية على البناء للمفعول من مضعف هذا الفعل ، وهو « كَرَّه » .

ولكل من الصيغتين وظيفة معنوية تختص بها ، فالمخففة تؤدى معنى الكره باعتباره واقعا من المخاطبين ، والمشددة تفيد معنى وقوعه عليهم من الله تعالى .

وفى إسناد الفعل ـ على القراءة الخفيفة ـ من أسرار الإعجاز مايطول المقام بذكره ، وقد تكفل أهل التفسير بتفصيله (٢) ، والذى يعنينا منه هنا أن إسناد الفعل للمخاطبين كان بعد تقريرهم بما يوجبه عليهن ، وفيه يقول الفراء ، وهو أفضل ماقيل فى هذا الموضع : « قال لهم النبى ﷺ : أكان أحدكم آكلا لحم أخيه بعد موته ؟ قالوا لا ، قال : فإن الغِيبة أكل لحمه ..... فكَرهتموه ، أى : فقد كَرهتموه ، فلا تفعلوه » (٣) .

---

(١) انظر مختصر شواذ القرآن ١٤٣ وجزء الدورى ١٥٠ وزاد المسير ٤٧٢/٧ وشواذ القراءة ٢٢٧ والبحر المحيط ١١٥/٨ .

(٢) انظر تفسير الطبرى ١٣٧/٢٦ ، ١٣٨ والكشاف ٥٦٨/٣ والبحر المحيط ١١٤/٨ ، ١١٥ وعناية القاضى ٧٧/٨ .

(٣) فى المعانى ٧٣/٣ .

ويقال من المخفف : كَرِه الشيءَ كُرها : ضد أحبه [1]، فهو واقع على الشيء المكروه ، وهو أكل لحم الأخ جيفة .

وقراءة التشديد أيضا قوية من وجوه :

الأول : أن بناءها للمفعول يفيد إسناد الفعل لغير المخاطبين ، ووقوعه عليهم ، والمعنى فيها : جبلكم الله تعالى على كره ذلك .

والثانى : أن تضعيف عين الفعل يفيد هذا أيضا؛ يقال كَرَّه إليه الأمرَ ، أى : صيره كريها لديه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [2] .

والثالث : وقوع الفعل على شيئين : المخاطبين ، وأكل لحم الميت ، وهذا مقتضى القياس فى تضعيفه ، ولكنه عدى بإلى في الآية المذكورة ؛ ليفيد معنى البغض ، وهذا يعدى بإلى ، يقول الزمخشرى : « وقرىء « فَكُرِّهْتُمُوهُ » أى : جبلتم على كراهته ..... والقياس تعديه بنفسه ؛ لأنه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه ..... فإذا ثقل استدعى زيادة مفعول ، وأما تعديه بإلى فتأولٌ وإجراءٌ لكَرَّه مُجرى بَغَّض ؛ لأن بغض منقول من بغض إليه الشيء فهو بغيض إليه »[3] .

الرابع : أنه بالإضافة إلى ما فيها من إفادات ، فإنها تؤدى المعنى المراد كما تؤديه القراءة الخفيفة ، وقد عدهما الفراء بمعنى واحد ، إذا يقول : « ومن قرأ « فَكُرِّهْتُموه » يقول : قد بُغِّض إليكم والمعنى ـ والله أعلم ـ واحد ، وهو بمنزلة قولك : مات الرجل وأميت »[4] .

ويجدر التنبيه هنا إلى أن نسبة هذه القراءة إلى النبى ﷺ وقراءته بها تجعل قوانين المحدثين اللهجية محل نظر .

---

(١) اللسان والمصباح (كره) .

(٢) سورة الحجرات آية ٨ .

(٣) الكشاف ٣/٥٦٨ .

(٤) معانى القرآن ٣/٧٣ .

قراءة النبى ﷺ ﴿ مَاوَدَعَكَ ﴾

قرأ بها عمر بن الخطاب ، وأنس ، وعروة بن الزبير ، وابنه هشام بن عروة ، ومجاهد ، ومقاتل ، ويزيد النحوى ، وأبو حاتم عن يعقوب ، وأبو حيوة ، وأبو العالية ، وابن يعمر ، وابن أبى عبلة ، وأبو بحرية ، وحمصى (١) .

التوجيه اللغوى للقراءة

العلاقه هنا بين « وَدَّعَ » المشدد ، و « وَدَعَ » المخفف والجمهور على قراءة التشديد .

والاستعمال له كبير الأثر فى شيوع كلمة دون أخرى ، وقد اطرد بالصيغة المشددة ، وندر بالمخففة ، حتى عدها بعض اللغويين شاذة .

فقد ذكر فى العين (٢) أن « العرب لاتقول : وَدَعْته فأنا وادِعٌ ، فى معنى تركته فأنا تارك ، ولكنهم يقولون فى الغابر : لم يَدَعْ ، وفى الأمر : دَعْه ، وفى النهى : لاتدعه ، إلا أن يضطر الشاعر ، كما قال :

وكان ماقَدَّموا لأنفسهم أكْثَرَ نفعاً من الذى وَدَعوا

وذكر هذا أيضا ابن دريد (٣) ، وقال : زعموا أنه قرىء « ماوَدَعَكَ » (٤) .

---

(١) انظرالمحتسب ٣٦٤/٢ وتهذيب اللغة ١٣٦/٣ وزاد المسير ١٥٧/٩ والكامل للهذلى لوحة ٢٤٩ وشواذ القراءة ٢٦٦ والبحر المحيط ٤٨٥/٨ .

(٢) ٢٢٤/٢ ، وانظر الكتاب ١٠٩/٤ .

(٣) جمهرة اللغة ١٢٥٩ تح بعلبكى .

(٤) السابق ٦٦٧ .

كما ذكره الأزهرى (١) ، ونقل عن الحرانى عن ابن السكيت أنه لا يقال : وَدَعْته، ولكن : تركته . وعلى هذا كثير من أهل اللغة والعربية ، غير أن تتبع اشتقاقات هذه المادة ، وما تدور عليه من معانٍ ، يدل على خلاف ماذهبوا إليه ، فإن الواو والدال والعين هى المادة الأصليه التى تتولد عنها مختلف التفريعات ، ومنها صيغة « فَعَّل » المشددة العين ، فالأصل المادى واحد .

وكذلك تؤول دلالات مختلف التفريعات إلى معانٍ متقاربة إلى حد كبير ، فهى تنتهى إلى معنى الترك والتخلية فى سكون وخفض من العيش (٢) ، ويبدو هذا فى الدَّعَةِ ، والوَديع ، وفى قولهم : عليك بالمَوْدوع ، أى : بالسكينة والوقار ، وفى توديع المسافر أهله ، أى : تركه إياهم خافضين وادعين ، وهم يودِّعونه تفاؤلا بالدَّعة التى يصير إليها إذا قفَل ، والموادعة : المصالحه (٣) . وهكذا تتلاقى المعاني على هذا الأصل .

وليس الأمر كما زعم القائلون بعدم استعمال العرب « وَدَعَ » فقد حكى الكسائى (٤) أن بعض العرب يقول : وَدَعَه .

---

(١) تهذيب اللغة ١٣٦/٣ .

(٢) انظر المقاييس ٩٦/٦ .

(٣) انظر الصحاح ، واللسان (ودع) .

(٤) المشوف المعلم ٨٢١/٢ .

وأنشد الأصمعي لأنس بن زُنَيم الليثي (١) :

ليت شعري عن أميري ما الذى غَالَه فى الحب حـــتى وَ دَعَه

لايكن برقُك بَرْقـــا خُلَّبـــاً إن خير البرقِ ما الغيث مَعَهْ

وأنشد الزمخشرى وأبو حيان (٢) عليه :

وثَمَّ وَدَعْنا آل عـمـرٍو وعـامـرٍ فَرائسَ أطـــرافِ المُثَقَّفَةِ السُّمْرِ

والشواهد من الشعر على هذا كثيرة .

والنبى ﷺ أفصح العرب ، وقد روى ابن عباس أنه ﷺ قال : « لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن وَدْعِهم الجُمُعات أو ليختمن على قلوبهم » (٣) فهذا خير شاهد على استعمال المصدر من « وَدَعَ » .

وقد علق شمر بن حمدويه فيما نقله الأزهرى (٤) عنه : زعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدر « يدع » و « يذر » واعتمدوا على الترك ..... والنبى ﷺ أفصح العرب ، وقد رويت عنه هذه الكلمه » .

---

(١) تهذيب اللغة ١٣٦/٣ واللسان (ودع) وينسب أيضا لأبى الأسود الدؤلى ، كما سيأتى .

(٢) الكشاف ٢٦٣/٤ والبحر المحيط ٤٨٥/٨ .

(٣) النهاية ١٦٦/٥ وتهذيب اللغة ١٣٨/٣ ، ١٣٩ والمصباح ، واللسان (ودع) .

(٤) تهذيب اللغة ١٣٩/٣ وانظر المصباح (ودع) والنهاية ١٦٦/٥

وأيضا، فإن المفعول مستعمل منه ، وهو فى قول خفاف بن ندبة :

إذا ما استَحَمَّتْ أرْضُه من سَمائِهِ جـرى وهْو مَوْدُوع وواعـد مَصْدَقِ

ومنه قولهم : عليك بالمودوع ، أى بالسكينه والوقار

فقد ثبت إذن استعمال العرب « وَدَعَ » المخفف فى الماضى ، والمصدر ، والمفعول ، ومن ثم فإن الزعم بأنهم لا يقولونه ، أو أنهم أماتوا ماضيه ومصدره : غير سديد ، نعم قد يكون قليل الاستعمال بسبب اشتهار مرادفه « ترك » ولكن هذا لا يسوغ إطلاق الحكم بأنه مات ، وما روى عن العرب قُلٌّ من كُثْرٍ ، وليس فى مقدور احد أن يدعى الإحاطة بما قالوه ، أو بما لم يقولوه ، وهذا سيد الخلق وأفصحهم قد قرأ « مَاوَدَعَكَ » ورواه عنه الأئمه الثقات ، ومع ذلك يقول ابن دريد (١) : « وزعموا أنه قرىء « مَاوَدَعَكَ » ! وأنّى لهم بعد ذلك من إحاطة ؟

ولذلك يتساءل الفيومى : كيف يكون إماتة ؟ ثم يقول : ومن هذه سبيله فيجوز القول بقلة الاستعمال ولا يجوز القول بالإماتة » (٢) .

ويقرب من لفظ « الإماتة » مصطلح الشذوذ عند من قال به ، كالفارسى ، وابن جنى (٣) ، وغيرهما ، وإن كان المراد به التفرد ، لما ذكرناه من قصور الرواية ، ولما قد توحى به دلالته لدى العامة من معنى الخروج عن حد كلام العرب ، ولا يقال بهذا فى قراءة وردت عن النبى ﷺ .

---

(١) جمهرة اللغة ٦٦٧ .

(٢) انظر الخصائص ٩٦/١ ـ ٩٩ ، والمنصف ٢٧٨/١ ، ٢٧٩ .

(٣) المحتسب ٣٦٤/٢ .

ولهذا كان تعبير ابن جنى أكثر توفيقا ولياقة فى مقام تخريج هذه القراءة ، إذ قال (١) : « هذه قليلة الاستعمال ، وعلى أنها قد جاءت فى شعر أبى الأسود ، وأنشدناه أبو على :

لَيْتَ شِعْرِى عَنْ خَلِيلِى مـــاالَّذى غَالَـــــــهُ فِى الْحُبِّ حَتَّى وَدَعَهْ

والقراءة بالتخفيف على معناها بالتشديد ، أى أن « فَعَل » و « فَعَّل » هنا بمعنى ، ووظيفة التثقيل : إفادة المبالغة فى الفعل ، وقد ذكرنا آنفا أن التَّوْدِيعَ دعاء بترك المودَّع والمودِّع فى خفض ودعة ، وهو إفراط فى الترك : « لأن من ودَّعك مفارقا فقد بالغ فى تركك » (٢) .

وقد صرح الأزهرى بأن المعنى فيهما واحد ، وهو : الترك .

وكلام العرب على هذا ، إذا أرادوا المبالغة أو التكثير ، يقولون : قطَع وقطَّع ، وذبَح وذبَّح ، وجَرح وجرَّح ، وولَد وولَّد ..... إلخ (٣) .

والتخفيف فى نحو هذا هو الأصل ، والزيادة طارئة عليه ، وكذلك القراءة بالتخفيف أصل ، كما دل عليه الاشتقاق ، غير أن جريان الاستعمال بالمشدد من « ودع » كان أكثر ، فترك أثره فى كثره القراءة به .

---

(١) الكشاف ٤/٢٦٣ ، والبحر المحيط ٨/٤٨٥ .

(٢) تهذيب اللغة ٣/١٣٦ .

(٣) انظر الخصائص ٢/١٥٥ والمحتسب ٢/٢١٠ والمخصص ١٤/١٧٣ ، ١٧٤ .

بين التشديد والتخفيف فى عين الاسم

قراءة النبى ﷺ « فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنْسِ الْجَوَارِ الْكُنْسِ »

هذه القراءة نسبها الكرمانى إلى النبى ﷺ ولم أقف على مصدر آخر يؤكدها ، أو قراءة تدعمها .

على أن لها وجها مع القراءة ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ .

وذلك أن القراءة المخففة على صيغةٍ فى الجمع تخالف الصيغة التى عليها القراءة المشهورة ، غير أن المعنى فيهما قريب بعضه من بعض .

ـ وبيان ذلك : أن الخَنَس فى اللغة : الانقباض والاستخفاء والتأخر ، يقال : خَنَس الرجل : إذا توارى وغاب ، وخَنَس من بين أصحابه : انقبض وتأخر ، وقد حكى الأصمعى أنه سمع عُقيليا يقول لخادم له : لم خَنَسْت عنى ؟ أى : لم غبت وتخلفت وتواريت ؟ . وهو خانس ، وهى خانسة ، والجمع : خُنَّس (١) .

وكذلك الكنوس من قولهم : كَنَسَتَ الظباء والبقر تكنِس : إذا دخلت فى الكِناس ، وهو : موضع فى الشجر تكتن فيه وتستتر ، فالظبى كانس ، وكانسة ، والجمع : كُنَّسٌ .

ويقولون من هذا المعنى : خَنَست النجوم ، وكَنَست : إذا غابت فى مجاريها أثناء النهار ، وهى خانسة ، وكانسة ، وجمعها : خُنَّس ، وكُنَّس أيضا (٢) .

---

(١) انظر العين ١٩٩/٤ وتهذيب اللغة ١٧٣/٧ ـ ١٧٦ والصحاح ، واللسان (خنس) .

(٢) العين ٣١٢/٥ وتهذيب اللغة ٦٣/١٠ ، ٦٤ ومعانى الفراء ٢٤٢/٣ ومجاز القرآن ٢٨٧/٢ ومعانى الزجاج ٢٩١/٥ وغريب القرآن وتفسيره لابن اليزيدى ٢٠٠ والصحاح ، واللسان (كنس).

وعلى هذا القراءة المشهورة فى ﴿ الخُنَّسِ ﴾ و ﴿ والكُنَّسِ ﴾ بالتشديد ، فقد روى عن على رضى الله عنه ومجاهد ، وقتادة ، والحسن أن المقصود بها فى الاية : النجوم الدراريّ الخمسة ؛ لأنها تخنِس فى مجراها فترجع ، وتكنِس فتستتر فى بيوتها كما تكنس الظباء فى المغار (١) . وعلى هذا أكثر أهل اللغة (٢) .

ـ ويقرب من هذا المعنى الخَنَس فى البقر والظباء ، وهو : لصوق القصبة بالوجنة وضخم الأرنبه ، وفى هذا غياب للأنف ، وأصل ذلك فى البقر والظباء ، والوصف منه أخنس وخنساء ، والجمع : خُنْس كأحمر وحُمْر (٣) .

وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، وأبى الشعثاء جابر بن زيد ، وإبراهيم النخعى ، أن المقصود فى الآية : بقر الوحش ، وذكر النخعى أنهم كذبوا على عَلِيّ رضى الله عنه فى نقلهم عنه أنها النجوم .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، والضحاك ، وسعيد بن جبير : أن المقصود بها الظباء (٤) .

---

(١) تفسير الطبرى ٣٠/٧٤ ـ ٧٧ والكشاف ٤/٢٢٣ ، ٢٢٤ والبحر المحيط ٨/٤٣٤ وزاد المسير ٩/٤٢ .

(٢) انظر معانى القراء ٣/٢٤٢ ومجاز القرآن ٢/٢٨٧ وجمهرة اللغة ٥٩٩ تح بعلبكى ومعانى الزجاج ٥/٢٩١ .

(٣) اللسان ، والصحاح (خنس) .

(٤) تفسير الطبرى ٣٠/٧٥ ـ ٧٧ والبحر المحيط ٨/٤٣٤ وزاد المسير ٩/٤٢ .

ومن ثم فإن « الخُنْس » فى القراءة الثانية جمع أخنس وخنساء على هذا المعنى ويكون « الكُنْس » هنا جمعا أيضا نحو : بازل وبُزّل ، وعائذ وعُوذ (١) .

وقد ذكر الزجاج نحوا من هذا ، وإن كان توجيهه منصبا على قراءة التشديد ، ونصه : « وقيل « الخُنَّس » ههنا يعنى بقر الوحش ، وظباء الوحش ، ومعنى « خُنَّس » جمع خانس ، والظباء خُنَّس ، والبقر خُنَّس ، والخَنَس : قصر الأنف وتأخره عن الفم ، وإذا كان للبقر ، أوكان للظباء فمعنى « الكنس » التى تكنِس ، أى : تدخل الكِناس ، وهو الغصن من أغصان الشجر » (٢) .

---

(١) انظر شرح الكافية ١٨٣٠ .

(٢) معانى القرآن وإعرابه ٥/٢٩٢ .

قراءة النبى ﷺ : « فَارَقُوا دِينَهُمْ »

قرأ بها عَلِيٌّ رضى الله عنه ، والكسائى ، وحمزة ، والحسن (١). وقرأ سائر السبعة : ﴿ فَرَّقُوا ﴾ (٢) .

التوجيه اللغوى

القراءتان هنا من الأصل « ف ر ق » إحداهما ـ وهى قراءة الجمهور ـ : على « فَعَّل » والثانية : على « فاعَل » ولكل من القراءتين دلالة تخالف الأخرى : فإن فرَّق من التفريق ، يقال : فَرَّقْت الشيءَ تَفْرِيقا وتَفْرِقَة فانْفرَقَ وافْتَرقَ وتَفَرَّق (٣) ، والمعنى على هذا فى قراءة التشديد : أن دين الله واحد ، وهو دين إبراهيم عليه السلام ، الحنيفية المسلمة ، وقد فَرَّقه اليهود والنصارى ، فتهود قوم ، وتنصر آخرون ، فجعلوه شيعا متفرقة .

وهذا ماتأوله ابن مسعود رضى الله عنه ، محتجا بقوله تعالى بعده : ﴿ وكَانُوا شِيَعاً ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) السبعة ٢٧٤ والتيسير ١٠٨ ومعانى الفراء ١/٣٦٦ وتفسير الطبرى ٨/١٠٤ وحجة أبى زرعة ٢٧٨ ، والكشف ١/٤٥٨ والبحر المحيط ٤/٢٦٠ والدر المصون ٥/٢٣٥ والمبسوط ٢٠٥ وإتحاف المبتدى ٣٢٤ ، والنشر ٢/٢٦٦ والإتحاف ٢٢٠ .

(٢) المراجع السابقة ، والحجة للفارسى ٣/ ٤٣٨ تح قهوجى وجويجاتى .

(٣) الصحاح ، واللسان (فرق) .

(٤) سورة المؤمنون آية ٥٣ وانظر تفسير الطبرى ٨/١٠٤ ـ ١٠٧ وانظر معانى الفراء ٢/٣٢٥ وحجة ابن خالوية ١٥٢ وحجة الفارسى ٣/٤٣٨ وحجة أبى زرعة ٢٧٨ والكشف ١/٤٥٨ .

وأما « فارقوا » فهو من الفِراق ، يقال : فارقْتُه مُفارقةً وفِراقاً : باينْتُه وزايلْتُه ، والاسم الفُرْقَة ، وتفارق القوم : فارق بعضهم بعضا ، وفارق الرجل امرأته مُفارقة وفِراقا : باينها (١) .

والمعنى على قراءة النبى ﷺ : ترك اليهود والنصارى دينهم ، فارتدوا عنه وفارقوه . وقد رُوى أن رجلا قرأ عند عَلِىٍّ رضى الله عنه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ﴾ فقال عَلِىٌّ : « لا والله مافَرَّقوه ولكن فارقوه » ثم قرأ « إِنَّ الَّذِينَ فَارَقَوا دِينَهُمْ » أى : تركوا دينهم الحق الذى أمرهم الله باتباعه ودعاهم إليه (٢).

والظاهر من التأويلين السابقين أن « فعَّل » و « فاعل » من الأصل « ف ر ق » على اختلاف معنى ، وأن كل قراءة من القراءتين المذكورتين قد تَخَيَّرَتْ منهما البناء الذى يؤدى المعنى المراد .

ولاشك فى أن اختلاف صورة البناء يؤدى إلى فروق معنوية ، غير أنه يلاحظ تقارب بين معانى التفريعات المتفقة الأصول ، وأقوى مايكون هذا التقارب فى الاشتقاق الصغير ، وذلك لاتحاد الأصول ، وترتيبها بين المأخوذ والمأخوذ منه ، كما هو واضح بين « فرَّق » و « فارق » .

وقد ترد الصيغتان متفقتى الدلالة ، كما فى قولهم : ضاعَف الشيىء وضعَّفه ، وصاعَر خدَّه وصعَّره ، وعاقدت وعقَّدت ..... إلا أننا لا نعدم فرقا بين دلالات تلك الصيغ ، حين نعمد إلى تلمسه ، مهما كان هذا الفرق دقيقا .

---

(١) جمهرة اللغة ٧٨٥ والمصباح واللسان (فرق) .

(٢) انظر تفسير الطبرى ١٠٤/٨ ، ١٠٥ وحجة أبى زرعة ٢٧٨ والكشف ٤٥٨/١ وزاد المسير ١٥٨/٣ والبحر المحيط ٢٦٠/٤ .

والدلالـــة بين القـراءتين هـــنا تكـــاد تكون مـتـقـــاربة فى أصـل المعنى ، وهو : التمايز والتزايل بين شيئين (١) ، وذلك أن دين الله واحد ، ففرقته الأحزاب إلى يهودية ، ونصـرانية ، ومجوسيـة ، وغيرها وذلك هو التفريق بعينه ، وهم بهذا الفعل أيضا مفـارقون للدين القيم الذى ارتضاه الله لعباده ، إذن فهم مفرِّقون ومفارقون (٢) .

وقد عبرت القراءتان عن هذا المعنى على سواء ، ومن ثم كانت كل منهما وجها صحيحا فى القراءة ، كما أقر الفراء (٣) ، وفى نص الطبـــرى : « قَرَأَتْ بكل واحـدة منهـما أئمـة مـن القراء ..... فـبأى ذلك قرأ القارىء فهو للحق مصيب » (٤) .

ويؤكد ماذهبت إليه قول الفارسى (٥) : « ومن قرأ « فارقوه » فالمعنى : باينوه ؛ وخرجوا عنه ، وإلى معنى « فرقوا » يؤول ؛ ألا ترى أنهم لما آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه فارقوه كله ، فخرجوا عنه ولم يتبعوه ؟ » .

وهكذا تتلاقى القراءتان فى أصول المبانى والمعانى ، وتجتمعان على دقة الأداء .

---

(١) انظر المقاييس ٤/٤٩٣ .

(٢) انظر تفسير الطبرى ٨/١٠٤ والبحر المحيط ٤١/٢٦٠ والإتحاف ٢٢٠ .

(٣) في المعانى ١/٣٦٦ .

(٤) فى التفسير ٨/١٠٤ .

(٥) فى الحجة ٣/٤٣٨ .

بين الهمز والتسهيل

روى أن النبى ﷺ قرأ :

قوله تعالى : ﴿ وجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ (١) : « وَجِبْرائِلَ وَمِيكَائِلَ » (٢)

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ (٣) : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ (٤)

وقوله تعالى : ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ (٥) « فِى عَيْنٍ حَمِيَةٍ » (٦)

وقوله تعالى : ﴿والزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ (٧) (دُرِّىٌّ) و « دُرِّئٌ » (٨)

---

(١) سورة البقرة آية ٩٨ .

(٢) روى أبو داود بسنده إلى أبى سعيد الخدرى ، قال : حدث رسول الله ﷺ حديثا ذكر فيه جبريل وميكال ، فقرأ : « جبرائل وميكائل » وروى أيضا فى حديث بعده أنه ذُكِرَ عند الأعمش : كيف قراءة « جبرائل وميكائل » ؟ فحدث بسنده إلى أبى سعيد الخدرى أنه قال ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور ، فقال : « عن يمينه جبرائل وعن يساره ميكائل » السنن ٤/٣٦ ، ٣٧ ح ٣٩٩٨ ، ٣٩٩٩ .

(٣) سورة يوسف آية ٢٣ .

(٤) ذكر الطبرى فى جامع البيان ١٢/١٨١ أنها قرأة النبى ﷺ ، وروى الفراء بسنده إلى الشعبى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : « أقرأنى رسول الله ﷺ ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ المعانى ٢/٤٠ وكذلك رواه البخارى ، والدورى فى جزئه ١١٤ وأبو داوود فى السنن ٤/٣٨ ح ٤٠٠٤ ، ٤٠٠٥ وصححه الحاكم ، والذهبى . انظر فتح البارى ٨/٣٦٣ ، ٣٦٤ والمستدرك ٢/٣٤٦ وكذلك ذكره مكى فى الكشف ٢/٩ .

(٥) سورة الكهف آية ٨٦ . =

.....

= (٦) ذكره الدورى فى جزئه ١٢٤ ، ١٢٥ بسنده إلى أبى يحيى مصدع عن ابن عباس قال : « أقرأنى أبى كما أقرأه رسول الله ﷺ « تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِيَةٍ » كذا من غير تقييد ، وذكره كذلك الطبرى بلفظ « حَمِئَةٍ » دون تقييد . جامع البيان ١٢/١٦ ولكن أبا داود ذكر الحديث وقيد القراءة بأنها « مخففة » السنن ٣٤/٤ ح ٣٩٨٦ ويناقض هذا أن مكيا ذكر نفس الحديث وقيد القراءة بأنها « بالهمز » . الكشف ٧٤/٢ وما ذكره الطبرى ، والزمخشرى ، وأبو حيان ، والسمين الحلبى يدل على أن القراءة مهموزة . وانظر الكشاف ٤٩٧/٢ والبحر المحيط ١٥٩/٦ والدر المصون ٥٤١/٧ ولا نستطيع دفع رواية التخفيف ؛ لاحتمال أن تكون قراءة ثانية للنبى ﷺ من طريق أبى بن كعب رضى الله عنه .

(٧) سورة النور آية ٣٥ .

(٨) ذكره ابن خالويه فى مختصر الشواذ ١٠٢ وعبارته : « دَرِئٌ » بالتخفيف قتادة ، وأبان عن عاصم ، والنبى ﷺ وروى أبو داوود فى السنن ٣٤/٤ ح ٣٩٨٧ بسنده إلى أبى سعيد الخدرى حديثا فيه قول النبى ﷺ « كأنها كوكب دُرِّئٌ » وقال أبو داود : وهكذا جاء الحديث « دُرِّئٌ » مرفوعة الدال بالهمز .

فى الهمز والتسهيل

العلاقة بين الهمزة ، والألف والواو والياء

الهمز والتسهيل ظاهرة سامية قديمة ، وقد ثبت من خلال المقارنات بين فروع السامية أن الهمزة مرحلة نطقية أكثر تقدما من مرحلة التسهيل (١) ، وأن للهمزة وجودا مستقلا صوتيا فى أول قائمة الصوامت السامية . غير أنها تبدو مرتبطة شكلا بالحركة الطويلة « الألف » وتصورها الأشكال الآتية « 𐤀 » فى الكنعانية ، والعبرية القديمة ، والآرامية و « ܐ » فى السريانية و « א » فى العبرية الحديثة ، « 𐪀 » فى السبئى ، و « 𐩠 » فى الثمودى ، و « 𐪈 » فى الصفوى و « ا » فى العربية القديمة ، وتظهر فى أول نقش حران (٢) الآتى :

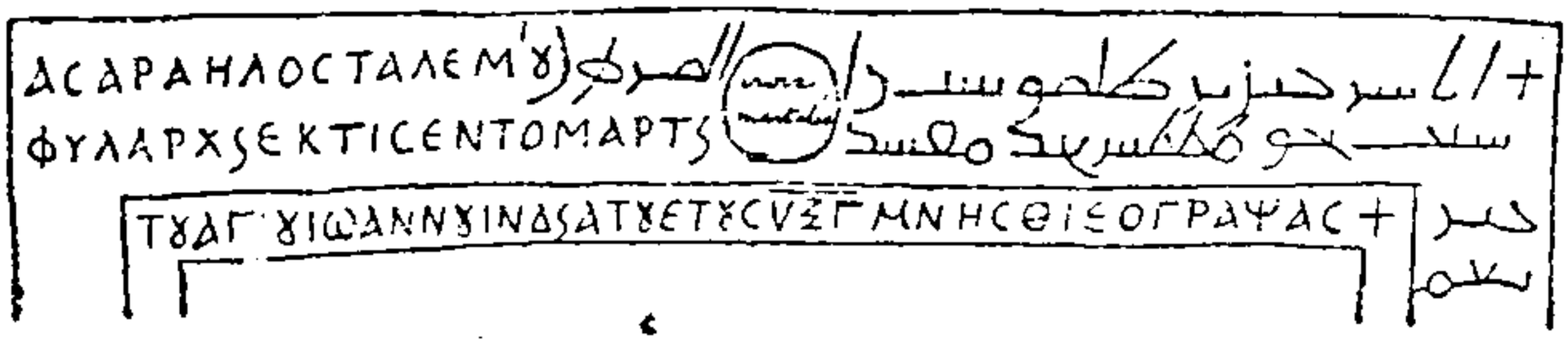

وهذايعنى أن صورة الألف كانت ولازالت تؤدى وظيفتين ، الأولى : صوت الهمزة ، والثانية : الحركة الطويلة ، وقد نقل الدانى (٣) قول بعضهم : « إنما تقدمت الألف سائر الحروف ؛ لأجل أنها صورة للهمزة المتقدمة فى الكلام ، وللألف اللينة ،

---

(١) فقه اللغات السامية ٤١ .

(٢) كشف بحران فى المنطقة الشمالية من جبل الدروز ، وتاريخ كتابتة (٥٦٨ ب . م) وترجمته : أنا شرحبل بن ظلمو « ظالم » بنيت ذا المرطول سنت « سنة » ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعم « بعام » . تاريخ اللغات السامية ١٩٢ . وفى الأصوات اللغوية ١٤٣ .

(٣) انظر المحكم فى نقط المصاحف للدانى ٩ وكتاب الكتاب لابن درستويه ١١٤ .

ولسائر الهمزات أحيانا ، فلما انفردت بأن تكون صورة الهمزة المتقدمة فى الكلام ، وشاركت الواو والياء فى أن تكون مرة صورة لنفسها ، ومرة صورة للهمزة المتوسطة والمتأخرة قدمت » (١) .

ولكن استقلال كل من الهمزة ، والحركة الطويلة فونيميا حتم وجود صورتين مستقلتين لهما ، ومن ثم وضع الخليل صورة الهمزة فى الشكل المعروف « ء » وهو رأس العين ، وكان أولَ من صنف فى النقط والشكل وعلّله (٢) .

ولكن لعلة ماظلت هذه الصورة مرتبطة بالألف فى شكل مزدوج ذى وظيفتين ، على غير ماعهد من استقلال الحروف فونيميا. ومن الغريب أن يظل الشعور متعلقا بهذا الترابط ، فرغم وضع الخليل صورة مستقلة للهمزة إلا أنها لم تعتمد منفصلة عن الألف ، فيذكر ابن درستويه « أن الخليل زاد فى حروف المعجم صورة الهمز ، فلم يعتمد عليها الناس ، وجعلوها شكلة لها » (٣) .

بل أوجب بعض اللغويين فى تلك الهمزة ، إذا ماحققت ، ووقعت أولا ، أن تكتب ألفا على كل حال ، مفتوحة ، أو مكسورة ، أو مضمومة ، وقد عقب ابن جنى على رفض المبرد (٤) استقلال الهمزة قائلا : « اعلم أن الألف التى فى أول حروف المعجم هى صورة الهمزة فى الحقيقة ، وإنما كتبت الهمزة واوا مرة ، وياء أخرى ، على مذهب أهل الحجاز فى التخفيف ، ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفا على كل حال » (٥) .

---

(١) المحكم فى نقط المصحف ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) انظر المحكم ٩ وكتاب الكتاب لابن درستويه ١١٤ .

(٣) كتاب الكتاب ١١٤ .

(٤) فى المقتضب ٣٢٨/١ ، ٣٣٠ .

(٥) سر الصناعة ٤١/١ ، ٤٢ .

وقـد يتحول نبر الطـول إلـى نبر تـوتر ، فتبدل الألف همزة ، يقولون : « شأبّة » و « دَأبّة » و « مَأدّة » و « زأمّهـــا » و « اشْعَأَلّ » (١) وقـرئ على هذا : « ولا الضّأَلّين » (٢) و « وَلاَ جَأَنٌّ » (٣) .

وأيضا فإنه فى حالة الوقف على الحركة الطويلة « الفتحة » نجد بعض العرب يبدلها همزة ، فقـد حكى الخليل أن بعضهم يقول : رأيت رجلأ ، وهذه حبلأ . وكذلك ذكـر سيبـويـه أنـه سمعهم يقولون : هـو يضربهأ (٤) ويقـولون فى قـولا وقولوا : قـولأ و قولُؤْ (٥) .

إن هـذا التـلازم لـم يكـن وقفا على الألف ، بل كان كذلك مع الواو والياء فى نحو « بئـر » و « لؤم » و « أئمـة » وكـان له جـذور ضـاربة فـى القـدم ، فـقـد وُجـد فى الأجاريتية ثلاثة أشكال صوتية للهمزة المحققة ، وهى : « أ ـ ىء ـ ؤ » (٦) .

والتبادلات المشهورة بين الهمزة من جهة ، والألف والواو والياء من جهة أخرى ، فى نحـو « وُجوه ـ أُجوه » ، « وِعاء ـ إِعاء » ، « أُلل ـ يَلل » ، « عَبـاية ـ عَبـاءة » ، « راس ـ رأس » ، « بايِع ـ بائِع » ، « قـايِل ـ قائِل » نحو هذا يؤكد أن ثمة علاقة بين الهمزة وهذه الحروف ، سواء أكانت صوائت أم أنصاف صوائت .

---

(١) سر الصناعة ٧٢/١ والمحتسب ٤٦/١ ـ ٤٨ .

(٢) المحتسب ٤٦/١ ومختصر الشواذ ١ .

(٣) المحتسب ٤٧/١ ومختصر الشواذ ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٤) الكتاب ١٧٦/٤ ، ١٧٧ وسر الصناعة ٧٤/١ .

(٥) الخصائص ١٧/٢ ، ١٢٩/٣ .

(٦) تاريخ علم اللغة ٧٦ .

والهمزة صوت صامت consonant أى : يشارك الصوامت فى خواصها ، ومن أهمها : أنه محدد المخرج ، إذ يتلاحم الوتران الصوتيان ، فيغلقان فتحة المزمار ، ويحبسان الهواء خلفهما فترة ، ثم ينفرجان ، فينطلق الهواء محدثا صوتا يشبه الانفجار ، ولذا يطلق عليها المحدثون : « وقفة حنجرية » glottal stop وهى أيضا انفجارية plosive كالصوامت الشديدة (١) وهذه الصفة الانفجارية فى الصوامت على النقيض من صفة الاستمرارية فى الصوائت ، وأنصاف الصوائت .

وقد دارت تساؤلات كثيرة حول وصف القدماء للهمزة بالجهر ، ولم يجد المحدثون تعليلا لهذا الوصف ؛ وذلك أن الأوتار الصوتية في حالة إنتاج الهمزة تكون في وضع لا يسمح لها بالتذبذب الذي ينتج عنه الجهر (٢) ، ولهذا وصفها بعضهم بأنها مهموسة (٣) . وبعضهم بأنها « لا مهموسة ولا مجهورة » (٤) وخطأ بعضهم القدماء صراحة فى ذلك (٥) ، وحاول آخرون تلمس تفسير له ، فوجه الوصف إلى حركة الهمزة « إذ الحركات كلها مجهورة » واحتمل من وجه آخر أن يكون وصفهم ذلك للهمزة المسهلة (٦) .

---

(١) انظر علم اللغة العام « الأصوات » ١١١ ، ١١٢ ودراسات فى علم اللغة ٩١ ، ٩٢ والأصوات اللغوية ٨٩ ، ٩٠ ط ٦ وأصوات اللغة العربية ٨٢ ـ ٩٦ وأصوات اللغة ١٨٣ ومناهج البحث فى اللغة ١٢٥ وعلم اللغة للسعوان ١٨٣ .

(٢) أصوات اللغة ١٨٣ .

(٣) مناهج البحث فى اللغة ١٢٥ وأصوات اللغة ١٨٣ ودروس في علم أصوات العربية ٣٥ ، ١٢٣ .

(٤) انظر دراسات فى علم اللغة ٩٢ ـ ٩٣ والأصوات اللغوية ٨٩ ، ٩٠ ط ٦ .

(٥) الدكتور تمام حسان فى قوله : « ولكن النحاة والقراء أخطأوا فعدوا هذا الصوت مجهورا ، وهو أمر مستحيل استحالة مادية مادامت الأوتار الصوتية مقفلة فى اثناء نطقه. مناهج البحث فى اللغة ١٢٥ .

(٦) دراسات فى علم اللغة ٩٢ ، ٩٣ ، وعلم اللغة العام « الأصوات » ١١٢ ـ ١١٥ وانظر مناهج البحث فى اللغة ١٢٥ .

وهذه مجرد اجتهادات واحتمالات لا تنتهى إلى حل حاسم فى سبب إجماع القدماء على وصفها بالجهر ؛ لأنهم كانوا يتذوقون الحروف وهى ساكنة لا متحركة ؛ ولأن بعض المحدثين يذهبون إلى أن همزة بين بين ليست سوى حركة ، وأن الهمزة أو الحبسة الحنجرية ليس لها إلا صورة واحدة ، فإذا تغير أداؤها حالت إلى صوت آخر (١) .

ونرى أن السر فى ذلك يرجع إلى العلاقة بين الهمزة ، والهمز ، والنبر ، من جهة ، وبين الهمزة وأصوات المد ، من جهة أخرى .

العلاقة بين الهمز والنبر

الهمز والنبر بمعنى واحد فى اللغة ، فالهمز : الضغط ، ومنه الهمز فى الكلام ؛ لأنه يضغط . والنبر : الهمز ، وهو ارتفاع الصوت ، ورجل نَبَّار : صياح ، والنَّبْر : صيحة الفزع ، ورجل نبار : فصيح الكلام ، ونبر الحرف ينبره نبرا : همزه (٢) .

إذن فالهمز والنبر فى اللغة متطابق مع تعريف المحدثين للنبر ، إذ يعنى فى اصطلاح التشكيل الصوتى : ضغط على صوت أو مقطع معين فى الكلمة بحيث يصبح أقوى تصويتا وأكثر وضوحا فى السمع (٣) .

وعلى هذا فإن النبر يعترى أى صوت أو مقطع يراد إشباعه ، وليس مقصورا على الهمزة ، فقد يقع النبر عليها فى نحو « أخذ » وقد لايقع فى نحو « قرأ » .

---

(١) انظر الأصوات اللغوية ٩١ ط ٦ وأسس علم اللغة ١٥٠ والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ١٠٥ .

(٢) الصحاح واللسان « نبر ـ همز » والعين ١٧/٤ وتهذيب اللغة ٢١٤/١٥ .

(٣) التشكيل الصوتى فى اللغة العربية للعانى ١٣١ ـ ١٣٤ ودروس فى علم أصوات العربية ١٩٤ وأبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ١٥٧ ، ١٥٨ وأصوات اللغة ١٥٠ ، ١٥١ والأصوات اللغوية ١٦٩ ، ١٧٠ ط ٦ ومناهج البحث فى اللغة ١٩٤ .

فالهمزه صوت مستقل والهمز بمعنى النبر وظيفة .

وتظهر العلاقة بينهما فى التوتر الذى يحدث فى مخرجها من حبس وضغط وانفجار ، ومن ثم أطلق القدماء عليها نَبْرَة ؛ يقول سيبويه : « ولأنها نبرة تُخْرَج باجتهاد ، وهى أبعد الحروف مخرجا ، فثقل عليهم ذلك ؛ لأنه كالتهوع » (١) .

وقد وردت على هذا المعنى فى قوله ﷺ « إنا معشر قريش لا نَنْبِر » (٢) أى : لانهمز ، وفى حكاية أبى زيد المشهورة : « أهل الحجاز ، وهذيل ، وأهل مكة والمدينة لاينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر ، فقال : ماآخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز ، إذا اضطروا نبروا » (٣) أى : همزوا .

وسماها المحدثون « حبسة حنجرية » فهي صوت صامت ذو طبيعة مخرجية متميزة ، وكثيرا ما يقع النبر عليها ، وحينئذ تصبح ذات وظيفة مزدوجة ، من حيث الطبيعة الصوتية ، ووظيفة النبر بمعناه التشكيلى .

وقد لمس القدماء العلاقة بين الهمزة كوقفة حنجرية ، وبين النبر بمعنى الضغط ، وعرفوا أنه يقتضى تمكينا خاصا من أعضاء النطق عند إخراج الصوت المنبور أيا كان .

وأشكال النبر الثلاثة فى العربية ـ نبر التوتر « الهمز » ونبر الطول ، ونبر التضعيف ـ تهدف كلها إلى إشباع الصوت وتمكينه وإظهاره من بين سائر أصوات الكلمة (٤) .

---

(١) الكتاب ٣/٥٤٨ .

(٢) النهاية ٥/٧ .

(٣) اللسان ١/٢٢ .

(٤) انظر دروس فى علم أصوات العربية ١٩٤ والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٣ ـ ٢٩ .

العلاقة بين الهمزة وأصوات المد

الحركات أقوى الأصوات إسماعا ، وكلها مجهورة ، وكذلك أنصاف الحركات ، وقد ثبتت علاقة قديمة بين الهمزة وهذه الأصوات ، وقد ذكرنا أنها كانت ومازالت مرتبطة بالألف فى فروع السامية ، وأنها كانت تظهر فى ثلاث صور تبعا للحركات الثلاثة « أ ـ ى ـ ؤ » .

وقد ثبت أيضا وقوع تبادلات بين الهمزة وأنصاف الحركات فى بعض لهجات العربية القديمة ، إذ ورد فى أحد نقوش الصفوية صيغة « سائر » بالهمز اسما للفاعل من « سار » (١) .

واحتفظت العربية بصورتى التبادل بين الهمزة وأنصاف المد فى نحو : إِشاح ووِشاح ، وإِعاء ووِعاء ، ويَلَمْلَم و أَلَمْلَم ، وأَلْمَعىّ ويَلْمَعىّ ، وَيَلَنْدَد وأَلَنْدَد ، وأَلَنْجوج ويَلَنْجوج ..... وبين الهمزة وأصوات المد فى نحو راس ورأس ، وذيب وذئب ، ولوم ولؤم .

وهذه التبادلات ، بالإضافة إلى أشكالها المطردة ، تدل على علاقة قوية بين الهمزة والحركات ، وأنصافها ، فعلى الرغم من تَمَيُّز كل صوت منها بفونيم خاص ، فإنها تتبادل دون أدنى تأثير فى المعنى .

وقد لاحظ الخليل هذه العلاقة ، فوضع الهمزة مع الألف والواو والياء فى مجموعة واحدة « و ـ ا ـ ى ـ ء » (٢) وجعلها معتلات ، وفسر اعتلالها بتغيرها من حال إلى حال ، ودخول بعضها على بعض ، واستخلاف بعضها من بعض .

---

(١) فى الأصوات اللغوية ٢٧٢ والعرب فى سوريا ٨٨ .

(٢) انظر العين ٦٥/١ وتهذيب اللغة ٤٨/١ ، ٥٠ .

وَرَبَطَ بين الهمزة والألف فى أن الهمزة لاهجاء لها ، ولذا فهى تكتب مرة ألفا ، ومرة واوا ، ومرة ياء ، وأن الألف لاحركة لهـا ، وأنهـا إذا تحركت أبدلت همزة أو واوا أو ياء « فالهمزة التى فى العصائب هى الألف التى فى العصابة ، والواو التى فى الكواهل هى التى فى الكاهل ، جاءت خلفا منها ، والياء التى فى السَّعْلَيات خلف من الألف التى فى السَّعلاة ... فالألف اللينة هى أضعف الحروف المعتلة ، والهمزة أقواها متنا ، ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين » (١) .

وقد أكدت القياسات الطيفية الحديثة لصوت الهمزة صحة ماذهب إليه القدماء من علاقتها بأصوات المد ، فيقول العانى : « وفى الحقيقة إن الهمزة تبدو غير ثابتة ولاتشكل نمطا محددا Definite Pattern (٢) إنها بهذا تشبه أصوات المد فى كثرة تغيرها .

وإذا كانت تُرَدُّ إلى الحركات الطويلة فى كثير من الأحيان ، فإن هذه تُرَدُّ إليها أيضا فى نحو قولاً ، وقولىءْ ، وقولُؤْ . وحُبْلأْ ، وفى هذا يقول الخليل : « وأصلهن من عند الهمزة ـ يعنى الألف والواو والياء ـ ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن همزهن .....فإنما يهمزن فى تلك اللغة ؛ لأنهن إذا وقف عندهن انقطع أنفاسهن فرجعن إلى أصل مبتدئهن من عند الهمزة » (٣) وفى نحو دأبَة ، وشأبَّة ، ومَأدَة ، وعليه قراءة « ولا الضَّألِّين » (٤) و « وَلاجَأنٌ » (٥) . وغير هذا كثير .

---

(١) تهذيب اللغة ٥١/١ .

(٢) التشكيل الصوتى في اللغة العربية ٩٥ وانظر دروس فى علم أصوات العربية ١٢١ ـ ١٣٦ ودراسة الصوت اللغوى ٢٩٧ وفى الأصوات العربية ٢٧٣ .

(٣) تهذيب اللغة ٥١/١ وانظر الكتاب ١٧٦/٤ ، ١٧٧ والخصائص ١٤٧/١ ، ١٤٨ وسر الصناعة ٧٤/١.

(٤) المحتسب ٤٦/١ .

(٥) السابق ٤٦/١ ، ٤٧ ومختصر شواذ القرآن ١٤٩ ، ١٥٠ .

ونلاحظ أن نبر الطول هنا قد تحول إلى نبر توتر ، وأن كلا منهما وسيلة تهدف إلى منح الصوت أو المقطع قدرة أكبر على التصويت مما يؤدى إلى بروزه ووضوحه السمعى .

ومن المؤكد أن القدماء ربطوا بين الهمزة باعتبارها وقفة حنجرية "Glottal Stop" وبين الهمز « النبر التوترى » وبين نبر الطول « الحركات الطويلة » من حيث الوضوح فى السمع ، والمدة الزمنية التي تستغرقها ، فوصفوها لذلك بالجهر .

مناقشة الثقل والخفة بين الهمز والتسهيل

الهمز : وظيفة صوتية بحتة ، وإمكانية طبيعية من إمكانات جهاز النطق الوفيرة ، فهى ظاهرة طبيعية عامة فى اللغات الإنسانية قديمها وحديثها ، ولا تستطيع مظاهر التطور في أية لغة أن تلغيها من نظامها الصوتى .

ولكل صوت طبيعته ومذاقه ووظيفته الخاصة ، والهمزة تؤدى دورها في النظام الصوتى المحدد لها ، كأى صوت آخر ، ويجرى عليها من القوانين الصوتية ما يجرى على نظائرها ، من مختلف مظاهر التفاعل الصوتى ، كالتماثل ، والإبدال ، والقلب ، والتخفيف ، والحذف ، وغيرها .

وكون الصوت ثقيلا أو خفيفا ، بسببٍ من طبيعة مخرجه ، أو من تَوَفُّر صفات القوة أو الضعف فيه ، لا يقلل من أهميته ، ولا ينقص من دوره الأدائى ؛ فإن طبيعة النسيج اللغوى قائمة على أساس هذا التفاوت ، فلكل صوت منزلته فى التركيب ، وإيقاعه المهم في الأداء .

ومن ثم ، فإنه لا ينبغى التعويل على طبيعة الصوت وحدها فى تعليل حسن التركيب

أو قبحه ، ولامعنى لقول القائل (١) : « الهمزة على انفرادها حرف بعيد المخرج جلد صعب على اللافظ به ، بخلاف سائر الحروف ، مع مافيها من الجهر والقوة » ولقول الآخر (٢) : « الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق ، إذ كان أدخل الحروف فى الحلق ، فاستثقل النطق به ، إذ كان إخراجه كالتهوع ... » .

إنهم فى ذلك يتابعون سيبويه فى قوله : « لأنه بَعُدَ مخرجُها ؛ ولأنها نبرة فى الصدر تُخْرج باجتهاد ، وهى أبعد الحروف مخرجا ، فثقل عليهم ذلك ؛ لأنه كالتهوع » (٣).

وهذا وصف لطبيعة الصوت وهو منفرد ، ولا يقدح فيه أن يكون كذلك ، لأنه طبع على تلك الصفة ، وقد اختارته الفصحى فى التركيب ، وحافظت عليه كظاهرة مستحبة فى أرقى نموذج لها ، وهو القرآن الكريم .

إن ثقل الصوت لا يُستمد فقط من طبيعته المخرجية والوصفية ، وإلا لكانت الباء ، واللام ، والراء خفيفة فى نحو بَبّة ، وأَلَل ، وبَرَرَة ، وهى مستثقلة هنا ؛ لتتابعها ، على أنها من أخف الأصوات وهى منفردة ، وإنما يُستمد بالإضافة إلى ذلك . من خلال موقعه فى التركيب ، فصحة الحكم بالثقل أو الخفة مرهونة بعاملين : عامل ذاتى فى الحرف ، وعامل خارجى فى نسيج التركيب المحيط بهذا الحرف .

وينبغى إعادة النظر فى العلة التى يتكىء عليها ـ دائما ـ اللغويون والنحاة ومن تابعهم ، فى أن تسهيل الهمزة إنما هو التماس للخفة (٤) ، أو توفير للجهد ؛

---

(١) مكى فى الكشف ٧٢/١ .

(٢) ابن يعيش فى شرح المفصل ١٠٧/٩ وانظر قول الرضى فى شرح الشافية ٣١/٣ .

(٣) الكتاب ٥٤٨/٣ .

(٤) انظر الخصائص ٤٨/١ ، ٧٥ ، ٩٠ ـ ٩٣ .

لأنه لو كان الأمر كذلك لخلت اللغة العربية فى عصرنا الحاضر من الهمزات ، ومن كل مايستثقل ، ولذا فقد رفض بعض العلماء (١) التسليم بهذه العلة ، وعدها من العلل الثوانى ، ويقول ماريوباى (٢) : « ولاتتفق نظرية الاقتصاد فى الجهد ، أو ميل المتحدثين باللغة إلى اتباع أسهل الطرق فى الحديث ، مع الحقائق المعروفة ؛ فلو صحت هذه النظرية لكانت كل اللغات الحديثة أسهل فى نطقها من اللغات التى تفرعت عنها ، إنها تخضع لعوامل أخرى أكثر تعقيدا بكثير من مجرد رغبة المتحدثين بها إلى بذل مجهود أقل » .

وقد ذهب كثير من المحدثين إلى أن السهولة والعسر أمر نسبى ، وأن المسألة ليست مسألة خفة أو ثقل ، وإنما تنفرد كل لغة بطريقة خاصة فى أنماطها الصوتية ، وأن البعض الذى سمح به لم يسمح به لخفته ، ولم يحرمه البعض الذى حرمه لثقله ، بل الأمر أمر الاختيار العرفى الاعتباطى فحسب (٣) .

ونُطْقُ الهمزة محققة لغة أكثر العرب من القبائل النجدية التى تغلب عليها صفة البداوة ، ومنهم : تميم ، وقيس ، وأسد وعقيل ، وتيم الرباب ، وغنى ، وعكل (٤).

---

(١) ابن مضاء فى الرد على النحاة ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) في لغات البشر ٨٥ ، ٨٦ .

(٣) انظر اللغة والتطور ٣٢ ، ٣٣ واللغة بين المعيارية والوصفية ٤٧ ـ ٤٩ .

(٤) الكتاب ٥٤٢/٣ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ وجمهرة اللغة ١١٠٨ وتهذيب اللغة ٦٩٢/١٥ والمخصص ٥٤٠/٥ وشرح الشافية ٣١/٣ وشرح شواهده ٣٣٦/٤ والبحر المحيط ٢٣٦/٣ ، ٣٩٧ ، ٨٥/٦ ، ٢١١/٧ والمزهر ٢٧٦/٢ وإتحاف فضلاء البشر ١٤٤ ومقدمتان فى علوم القرآن ٢٨٢ واللسان ٢٢/١ واللهجات العربية فى التراث ٣١٧/١ ـ ٣٤٥ .

والتحقيق هو الأصل كما قرر كثير من العلماء ، والتخفيف تفريع عليه (١) ، وهو لغة أهل الحجاز ، ومنهم : قريش ، وهذيل وأهل المدينة والأنصار ، وكنانة ، وسعد ابن بكر (٢) ، وهؤلاء أهل حضارة .

التفسير الصوتى للهمز والتسهيل

لقد مالت لهجات القبائل البدوية إلى النبر ، وكان خاصة صوتية طبيعية ، ويبدو أنها كانت صفة مستحسنة فى نطق البدوى ؛ إذ كان يهتم بإبراز مواطن النبر ، بل كان يبالغ فى ذلك ، فيهمز غير المهموز كالعألم ، والخأتم ، والمؤقد ، مؤسى ، وبأز ، وحلأت ، ورثأت ، ولبأ ..... إلخ (٣) .

وقد يذهب فى المبالغة إلى أكثر من ذلك ، فيقلب الهمزة عينا ، كقولهم فى أن : عن ، وفى أسلم : عَسْلم وفى إِذَن : عِذَن ، وفى كَأصَ : كَعَصَ ، بمعنى أكل ، وفى خُبَأة : خُبَعَة ، وفي خِباؤُنا : خِباعُنَا ..... إلخ (٤) .

---

(١) قال الرضى : « والتحقيق هو الأصل كسائر الحروف ، والتخفيف استحسان » شرح الشافية ٣/٣٢ وانظر فقه اللغات السامية ٤١ .

(٢) المراجع السابقة فى تعليق (٤) من الصفحة السابقة .

(٣) روى أن العجاج كان يهمز العالم والخأتم ، وهو فى قوله * فَخِنْدِفُ هامَة هذا العَألم * وحكى اللحيانى قولهم : بَأز فى باز . سر الصناعة ١/٩٠ وشرح المفصل ١٠/١٣ ، وقال الفراء : وربما غلطت العرب فى الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز ، سمعت امرأة من طيئ تقول : رثأت زوجى بأبيات ، ويقولون : لبأت بالحج ، وحلأت السويق فيغلطون . معانى القرآن ١/٤٥٩ ، ٢/٢١٦ .

(٤) ابن دريد : كَعَصْنا عند فلان ماشئنا ، وكأصنا ، أى : أكلنا ، قال أبو حاتم : هى همزة قلبت عينا ؛ لأن بنى تميم ومن يليهم يحققون الهمزة حتى تصير عينا ، وذلك قولهم : عَنًى فى معنى أنًى ..... وتقول بنو تميم : هذه خِباعُنا ، يريدون : خباؤنا ، ويقولون : جارية خُبَعَة طَلَعَة ، أى : تختبئ مرة وتطلع أخرى . جمهرة اللغة ٢٩٢ ، ٨٨٦ تح بعلبكى . وانظر تهذيب اللغة ١/١١١ ، ١١٢ ، ٣/٣ (أنف) ونوادر أبى زيد ٢٨ ، ٢٩ والصاحبى ٢٤ والمزهر ١/٢٢١ ، ٢٢٢ .

وعلى العكس من ذلك مالت اللهجات الحضرية إلى التخلص من الهمز بطرق مختلفة منها التسهيل ، والحذف ، والإبدال .

وفى اختلاف هذه الطرق ـ وهى مبسوطة فى مصنفات النحو والصرف والقراءات ـ مايدل على أنه أخذ طريقا منطقيا ، وليس اعتباطيا ، ومما يؤكد هذا أنهم كانوا يحققون الهمزة فى بعض المواطن ، قال سيبويه : « وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبىء وبريئة ... » (١) . ورُوِىَ أنهم يقولون : ذَأَى البقلُ يَذْأَى ، بتحقيق الهمز (٢) .

وقد بينت القوانين الصوتية أنه فى حالة وقوع الصامت ـ وبخاصة الشديد أو الانفجارى ـ بين صوتى مد ، فإنه غالبا مايضعف ، أو ينحرف عن مخرجه ، أو يتحول إلى صوت آخر ، وهذا مايعرف بقانون الموقعية بين علتين intervocalic Position . (٣) وفى قياسات العانى (٤) على جهاز «الاسبكتروجراف » أنه عندما تكون الهمزة متوسطة عدا كونها بين حركتين ، فإنهاتظهر فجوة سكون يتراوح مداها بين ٨٠ ـ ١٠٤ م ـ ث ويشمل هذا المدى الفرقعة التى يبلغ طولها ١٥ م ـ ث ، ولاتظهر الهمزة التى بين حركتين فجوة ، بل تظهر انزلاقا شبيها بالحركة ، ويظهر الانزلاق فى صور « الاسبكتروجراف » على هيئة رباط يصل معالم الحركات الثلاث ببعضها ، ويكون متقدما عليها وتاليا لها .

---

(١) الكتاب ٣/٥٥٥ ، وروى أبو عبيدة مثل ذلك عن يونس ، وأضاف « الذرية » وأضاف ابن سيده « الخابية » وانظر إصلاح المنطق ١٥٩ والمخصص ٨/١٤ ، ١٧ / ١٥٣ والنهاية ٤/ ١٢٠ والهجات العربية فى التراث ١/ ٣٣٨ ـ ٣٤١ .

(٢) المزهر ١/ ٢١٥ ، ٤٦٣ والأمالى للقالى ٢/١٦٦ ، ١٦٧ واللهجات العربية فى التراث ١/٣٤١ .

(٣) آسس علم اللغة ١٤٣ وانظر علم اللغة د/ وافى ٣٠٦ ، ٣٠٧ واللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٢ وفي الأصوات اللغوية ٥٣ ، ١٨٠ .

(٤) التشكيل الصوتى ٩٧ .

وفى هـذا دليل على صحة ما ذهب إليه الخليل ، وسيبويه ، والقدماء بعامة [1] من أن همزة بَيْنَ بَيْنَ حركة ، وليست لينا خالصا . وفيه أيضا أن هذا التغير الذى يطرأ على صوت الهمزة ليؤكد عمل أجهزة النطق بصورة طبيعية على إحداث حركة توازن صوتي ، فالهمزة صوت صامت وقفي والحركات صوائت استمرارية ، فهما متناقضان ، ومن ثم تضعف الهمزة بين الحركتين لتتم عملية التوازن الصوتى ، وأضعف ما يكون الصوت إذا كان وسطا بين حركتين [2] .

وقد سبق فى بيان العلاقة بين الهمزة وأصوات المد : أن الهمزة تحل محل الحركة قصيرة أو طويلة في لغة بعض العرب ، سواء في أول الكلمة ، نحو : إِشاح فى وشاح ، وأقِّتَتْ فى وَقَّتَتْ ، وإِعاء فى وِعاء ..... إلخ أو فى حشوها ، نحو : جَأنَّ فى جانّ ، وعالَّم فى عالم ، وبأز فى باز ، ومؤسى فى موسى ..... إلخ . أو فى آخرها ، نحو : حُبلأ ، وقُولأ وقولِىءْ ، وقولُؤْ فى قولا ، وقولى ، وقولوا ، وقد وردت القراءات بالوجهين ، فقرىء « مِنْ إِعَاء أخيه » [3] و « أُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ » [4] و « وَلا جَأنٌّ » [5] و « عَلَى سُؤْقِهِ » [6] و « اشْتَرَؤُا الضَّلالَةَ » [7] و « كَوكَبٌ دَرِّىءٌ » [8] .

---

(١) انظر الكتاب ٣/٥٤١ ـ ٥٤٣ وسر الصناعة ١/٤٨ ، ٤٩ والحجة للفارسى ١/٢٨٥ ـ ٢٩٠ وانظر دروس فى علم أصوات العربية ١٢٤ .

(٢) انظر اللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٢ وفى الأصوات اللغوية ١٨٠ .

(٣) سورة يوسف آية ٧٦ وانظر مختصر الشواذ ٦٥ والمحتسب ١/٨٤٨ والبحر المحيط ٥/٣٣٢ .

(٤) سورة الزمر آية ٦٠ وانظر مختصر الشواذ ١٣١ والبحر المحيط ٧/٤٣٧ .

(٥) سورة الرجمن آية ٣٩ وانظرمختصر الشواذ ١٤٩ ، ١٥٠ والمحتسب ١/٤٦ ، ٤٧ ، ٢/٣٠٥ .

(٦) سورة الفتح آية ٢٩ وانظر البحر المحيط ٨/١٠٣ .

(٧) سورة البقرة آية ١٦ انظر مختصر الشواذ ٢ والمحتسب ١/٥٥ .

(٨) سورة النور آية ٣٥ انظر مختصر الشواذ ١٠٢ والمحتسب ١/١٥٦ .

ونلاحظ فى هذا ونحوه : أن الهمزة تناوبت مع نصف المد الواقع فى أول الكلمة من نحو « وِعاء » و « وِشاح » وهو ظاهرة سامية قديمة (١) ، بقيت آثارها فى العربية ، فاحتفظ بعض العرب بنصف المد ، وأثر بعضهم إبداله بصوت صامت قريب منه ، وهو الهمزة ، وقد مالت إلى هذا القبائل البدوية ، وبعض القبائل الحضرية كهذيل (٢) .

كما نلاحظ أيضا أن إيثار طائفة من العرب الهمز وطائفة أخرى التسهيل خاضع أولا إلى قانون الوقوع بين علتين intervocalic Position السابق ، وقد وضح أثره فى إضعاف الهمزة فى نطق الحجازيين ، وهم أهل التسهيل ، ولكنه لم يكن ذا فاعلية فى نطق التميميين ومن جاورهم من القبائل النجدية ، ولعل هذا من أثر اعتزازهم بصفة النبر المستحسنة لديهم .

وأنه خاضع ـ ثانيا ـ إلى اختلاف طبيعة الإيقاع الصوتى ، فبينما تجنح القبائل الحجازية إلى تأليف مقطعى متتابع الحركات تبدو فيه استمرارية انطلاق الهواء بالصوت ، ووضوحه ، واتساع مداه ، تميل القبائل البدوية إلى المقاطع المغلقة فرارا من تتابع الحركات ، وكلتا الحالتين سائغة الأداء فىءالعربية ؛ ومقصدهما واحد ، وهو : تحقيق صوت أو مقطع من بين أصوات أو مقاطع الكلمة ، غير أن الوسيلة مختلفة ، فطبيعة البدوى تؤثر نبر التوتر ، وطبيعة الحضرى تؤثر نبر الطول ، والهمز فى حالات وقوع النبر عليها ـ وهى غالبة ـ تؤدى تلك الغاية بالإضافة إلي مايصاحبها من حبس وتوتر فى الحنجرة وانفجار .

---

(١) فقه اللغات السامية ٥٢ وفي الأصوات اللغوية ٢٤ ، ١٨٢ .

(٢) انظر جمهرة اللغة ٥٤٠ وديوان الهذليين ٨٣/٢ ، ٤٩/٣ واللهجات العربية فى التراث ٣٤٣/١ .

قراءة النبى ﷺ : « وَجِبْرَائِلَ وَمَيكَائِلَ »

لم يحسم الرواة ضبط هذه القراءة فيما روى عن النبى ﷺ على أنه فى « جبريل » خمس عشرة قراءة ، وفى « ميكال » تسع قراءات (١) .

ورواية حفص عن عاصم ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ (٢) وهى القراءة المشهورة .

ورواية أبى داود بسنده إلى أبى سعيد الخدرى أن قراءة النبى ﷺ « جبرائل ومِيكائل » هكذا غير مشكولة ، وقد ذكر أبو داود بعد هذا قولَ خَلَفٍ : « منذ أربعين سنة لم أرفع القلم عن كتابة الحروف ماأعيانى شيىء ماأعيانى جبرائل ومِيكائل » (٣) ، و « جِبْرائِل » بزنة جِبْراعِل : قراءة الحسن بن على رضى الله عنهما ، وعكرمة ، ونافع ، وفياض بن غزوان (٤) .

و « مِيكَائِلَ » بزنة مِيكَاعِل : قراءة نافع ، وأبى جعفر ، وقنبل من طريق ابن شنبوذ (٥) ، وفى رواية ـ ذكرها الفارسى بسنده إلى شبل بن عباد ـ عن ابن كثير (٦) ونسبها بعضهم إلى قراء أهل المدينة بعامة (٧) .

---

(١) انظر زاد المسير ١١٧/١ ـ ١١٩ والبحر المحيط ٣١٧/١ ، ٣١٨ والدر المصون ١٩/٢ ، ٢٠ والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٩٧ ـ ٢٩٩ .

(٢) المبسوط ١٣٣ والكشف ٢٥٤/١ ، ٢٥٥ والتيسير ٧٥ وإرشاد المبتدى ٢٢٩ ، ٢٣٠ والنشر ٢١٩/٢

(٣) سنن أبى داود ٣٦/٤ ، ٣٧ ح ٣٩٩٨ ، ٣٩٩٩ والتيسير ٧٥ .

(٤) المختصر فى شواذ القرآن ٨ وحجة الفارسي ١٦٣/٢ والكشف ٢٥٥/١ والدر المصون ٢٠/٢ والإقناع ٦٠١/٢ .

(٥) الحجة للفارسى ١٦٣/٢ والكشف ٢٥٥/١ والمبسوط ١٣٣ وحجة أبى زرعة ١٠٨ والتيسير ٧٥ والإقناع ٦٠١/٢ وإتحاف فضلاء البشر ١٤٤ .

(٦) حجة الفارسى ١٦٣/٢ .

(٧) ارشاد المبتدى ٢٢٩ وانظر جامع البيان ٤٣٦/١ ، ٤٣٧ .

وهـذه القـراءات متطابقـة مع رواية أبى داود ، والأعـمش ، وقـد بَيَّنَتْ تَقْيِيـدَها ، ودَلَّتْ نسبتُها إلي قرائها على أنها ـ فى الغالب ـ مدنية ، مما يؤكد صحة نسبتها إلي النبى ﷺ ، وعليـه فيكون النبى ﷺ والمدنيون قد قرأوا بالهمز فى « جبريل » و « ميكال » كما قرأ به فى « جبريل » فياض بن غزوان الكوفى ، وفى « ميكال » ابن كثير المكى .

وثمـة روايـة أخـرى ذكـرها الزجاج تدل علي أن النبى ﷺ قـرأ « جَبْرَئِيلَ » و « مِيكائِيلَ » قـال : « أجـود اللغات « جَبْرَئِيل » بفتح الجيم ، والهمز ؛ لأن الذى يروى عن النبى ﷺ فى صاحب الصور : « جَبْرَئِيلُ عن يمينه ومِيكَائِيلُ عن يساره » هذا الذى ضبطه أصحاب الحديث ، ويقال جِبْرِيل بفتح الجيم وكسرها ..... » (١) .

ولايسعنا إلا التسليم بهذه الرواية أيضا ، فقد نص الزجاج (٢) على أن أكثر مايرويه من القراءة فى كتابه عن أبى عبيد ، من طريق إسماعيل بن إسحاق عن إبى عبد الرحـ ن عن أبى عبيد ؛ ولاحتمال تعدد وجوه هذه القراءة عن النبى ﷺ . وهى أيضا مهموزة قراءة حمزة ، وخلف ، والكسائى ، وأبى بكر فى رواية العليمى ، وعاصم برواية أبان ، والأعمش (٣) وجعلها بعضهم عامة فى قراءة أهل الكوفة (٤) .

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ١/١٧٩ .

(٢) السابق ١/١٨٠ ، ١٨١ .

(٣) السبعة ١٦٦ ، ١٦٧ وحجة الفارسى ٢/١٦٤ والتيسير ٧٥ والمبسوط ١٣٣ ، ١٣٤ والكشف ١/٢٥٤ ، ٢٥٥ والنشر ٢/٢١٩ والبحر المحيط ١/٣١٨ والدر المصون ٢/١٩ ، ٢٠ وإتحاف فضلاء البشر ١٤٤ .

(٤) جامع البيان ١/٤٣٦ وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٥٠ .

وذكر الرواة عن ابن كثير قراءة أخرى قال فيها « رأيت النبى ﷺ فى المنام ، وهو يقرأ : « جَبْرِيل وَمِيكَالَ » فلا أقرؤهما أبدا إلا هكذا » كذا ذكرها الفارسى (١) ، ونقلها السمين الحلبى « وجبريل وميكائيل » (٢) وهى الصحيحة .

وقد أجمع الرواة على نسبة هذه القراءة لابن كثير ، وهى أيضا قراءة الحسن البصرى ، وابن محيصن (٣) . ونقلوا أن الفراء قال : لاأحبها ؛ لأنه ليس فى الكلام « فَعْلِيل » بفتح الفاء . وردَّ بهذه القراءة ، وبأن فيه « سَمْويل » وهو فى قول الربيع بن زياد ، أو الربيع الكامل أحد أخوال لبيد بن ربيعة :

بحيث لو وُزِنَتْ لَخْمٌ بأجمعها لَم يعدلوا ريشةً من ريش سَمْوِيلاَ (٤)

وعلي ذلك نكون بصدد ثلاث قراءات ـ غير القراءة المشهورة ـ فيما نسبت قراءته إلى النبى ﷺ خاصة :

الأولى : « وجبْرَائِل ومِيكَائِل » على زنة جبراعل وميكاعل .

والثانية : « وجَبْرَئِيل ومِيكَائِيل » على زنة جبرعيل وميكاعيل .

والثالثة : « وجَبْرِيل ومِيكَائِيل » وتروى « وجبريل وميكال » .

والمشهورة : « وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ »

---

(١) في الحجة ١٦٣/٢ ونسب إليه أيضا قراءة « ميكائيل » و « ميكائِل » .

(٢) فى الدر المصون ١٩/٢ ، ويوافقه رواية ابن مهران فى المبسوط ١٣٣ .

(٣) جامع البيان ٤٣٦/١ والكشف ٢٥٤/١ وإعراب النحاس ٢٥٠/١ وزاد المسير ١١٧/١ والبحر المحيط ٣١٨/١ والدر المصون ١٩/٢ والإتحاف ١٤٤ .

(٤) انظر تفسير الطبرى ٤٣٦/١ وإعراب النحاس ٢٥٠/١ والبحر المحيط ٣١٨/١ والدر المصون ١٩/٢ واللسان (سمل) وسمويل اسم طائر .

ويلاحظ أن الأولى والثانية بالهمز ، وأن « جبريل » فى الثالثة بغير همز ، و « ميكائيل » فيها بالهمز ، وقد يكون بغير همز ، كما فى رواية الفارسى ، وأن القراءة المشهورة من غير همز فى الاثنين .

مصدرها اللهجى

نسبت القراءة المشهورة ﴿ جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ » من غير همز بالإجماع إلى لغة أهل الحجاز (١) ، وهم أصحاب التسهيل . ونسبت القراءة الثانية : « جَبْرَئِيلَ وميكائيل » بالهمز إلى لغة تميم ، وقيس ، وأكثر أهل نجد ، وهم أصحاب التحقيق .

قال الطبرى « وأما جبريل فإن للعرب فيه لغات ، فأما أهل الحجاز فإنهم يقولون : جبريل وميكال بغير همز ، بكسر الجيم والراء من جبريل ، وبالتخفيف ، وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ، أما تميم وقيس وبعض نجد ، فيقولون : جَبْرَئِيل وميكائيل على مثال جبرعيل وميكاعيل ، بفتح الجيم والراء ، وبهمز ، وزيادة ياء بعد الهمزة ، وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل الكوفة ، كما قال جرير بن عطية :

عَبَدوا الصَّليب وكَذَّبوا بمحمد وَبِجَبْرَئِيلَ وكَذَّبُوا مِيكَالاَ (٢)

ولم تنسب القراءة الأولى ، ولا الثالثة ، ولعل هذه لتركبها من اللغتين ، لغة التسهيل فى « جبريل » ولغة التحقيق « ميكائيل » .

---

(١) وانظر إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٥٠ ، ٢٥١ وتفسير الطبرى ٤٣٦/١ ، ٤٣٧ والبحر المحيط ٣١٨/١ والدر المصون ١٨/٢ ، ١٩ وإتحاف فضلاء البشر ١٤٤ .

(٢) جامع البيان ٤٣٦/١ والحجة للفارسى ١٦٧/٢ وديوان جرير ٤٥٠ .

وقراءة النبي ﷺ « جبْرائِل ومِيكائِل » بالهمز ، وكذلك قراءة الحسن بن على ، وعكرمة ، ونافع ، وهم قرشيون ، ومدنيون ، يجعلنا فى شك من قول القائل : « إننا نستطيع أن نرجع جميع صور التخفيف ، أو الحذف مع التعويض أو بدونه إلى أهل الحجاز إجمالا ، وبقية الصور المحققة إلى تميم وقيس » (١) .

كما أن قراءة الحسن وهو بصرى - « جَبْرِيلَ » بغير همز ، وقراءة ابن كثير (٢) ، وابن محيصن - وهما مكيان « مِيكائِيلَ » و « مِيكَائِل » تزعزعان هذا الحكم .

وقد احتج أصحاب تعليل القراءات لتعدد الوجوه فى ﴿ جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ بأنهما علمان أعجميان ، وأن العرب إذا أعربت اسما من غير لغتها ، أو بنته اتسعت فى لفظه ؛ لجهل الاشتقاق فيه (٣) « من حيث كان الأعجمى يُتَلَعَّب فيه بالحروف تَلَعُّبا » (٤) وعن الكسائى : « أنها أسماء أعجمية لم تكن العرب تعرفها ، فلما جاءتها أعربتها فلفظت بها بألفاظ مختلفة » (٥) .

وقد ورد استعمال العرب لهذين العلمين على وجوه مختلفة فى بيئات متباينة ، فقد ورد فى شعر حسان (٦) :

وجِبْـــريلُ أَمِينُ اللهِ فِينَا ... ورُوحُ القُدْسِ ليس له كِفَاءُ

---

(١) د/عبد الصبور شاهين فى القراءات القرآنية فى أضواء علم اللغات الحديثة ٣٩٣ .

(٢) انظر حجة الفارسى ٦٣/٢ .

(٣) الحجة فى القراءات السبع لابن خالوية ٨٦ والمحتسب ٩٧/١ ، ٩٨ والخصائص ٢١/٢ وإعراب النحاس ٢٥٠/١ ، ٢٥١ ، وانظر الحجة للفارسى ١٦٤/٢ - ١٦٨ .

(٤) المحتسب ٦٨/١ .

(٥) حجة القراءات لأبى زرعة ١٠٨ .

(٦) ديوانه ٧٥ وحجة الفارسى ١٦٨/٢ وحجة أبى زرعة ١٠٧ والبحر المحيط ٣١٨/١ .

وفى شعر كعب بن مالك (١) :

شَهِدْنا فما تُلْقى لنا مِن كتيبةٍ يَدَ الدهرِ إلا جَبْرَئيلُ أمَامُهـــا

وفى شعره أيضا (٢) :

ويومَ بَدْرٍ لقـــيناهم لنا مَدَدٌ فـــيـــه لدى النصـــرِ مِيكالُ

وسبق فى شعر جرير « جَبْرَئيل »

وهكذا يرد فى شعر حسان أو كعب بن مالك « جِبْريل ـ جَبْرَئيل ـ مِيكال » وهما مدنيان ، وإن ورد فى شعر جرير ، وهو تميمى « جَبْرَئيل » إلا أن للشعر ضرورات ، ولو اضطر واحد منهم إلى وضع أحد الاسمين موضع الآخر لفعل . ولذا لايجوز أن نأخذ بقول من قال (٣) : قرىء كذا ؛ لقول الشاعر كذا .

وليس من المقبول أيضا احتجاج بعضهم (٤) بأن « من كسر الجيم أتى به على مثال كلام العرب ..... ومن فتح أتى به على خلاف كلام العرب ؛ ليعلم أنه ليس من كلام العرب ، وأنه أعجمى ، وكذلك فعل من همز ، ومن أثبت ياء بعد الهمزة أتي به على

---

(١) نسب هذا أيضا إلى حسان ، وهو فى ديوانه ٣٩٦ وكذا نسبه إليه أبو حيان فى البحر المحيط ٣١٨/١ وتابعه السمين فى الدر المصون ١٩/٢ ونسب فى الخزانة ١٩٩/١ ، ٣٧٤ إلى كعب بن مالك ، وكذا فى إعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج ٤٥٠/٢ وهو فى اللسان ، والتاج (جبر) لكعب .

(٢) السيرة لابن هشام ١٤٧/١ وحجة الفارسى ١٦٨/٢ . ونسب إلى حسان فى اللسان (مكا) وهو فى ديوانه ٣٩٤ .

(٣) أبو زرعة فى حجة القراءات ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤) مكى فى الكشف ٢٥٥/١ .

خلاف كلام العرب ؛ ليعلم أنه أعجمى ، ليس من أبنية كلام العرب ..... » وكذلك ذكر فى ميكال ؛ لأن القراءة في المقام الأول رواية وتلق وسنة متبعة ، والأعلام الأعجمية ليست فى حاجة إلى هذا التمييز لشهرتها ، والتوقف على هذا يدخل القراءات كلها فى باب الصنعة .

والأوفق هنا : الاحتجاج بقراءات النبى ﷺ ولله در الزجاج حين قال : « فأجود اللغات « جَبْرَئيل » لأن الذى يروى عن النبى ﷺ « جَبْرَئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره » وحين قال فى بيت كعب : « وهذا البيت على لفظ مافى الحديث ، وماعليه كثير من القراء » (١) .

والنبى ﷺ يقرئ الناس على حروف مختلفة تألفا لهم ، وتيسيراً عليهم ، وهذه خاصة له وحده ، ومن ثم لايخضع اختياره ﷺ لتعليل ، وهو أفصح العرب قاطبة ، وأعلم الخلق بما أنزل عليه ، ثم الأمر بعد ذلك فى تحقيق الهمز أو تسهيله على مابيناه سابقا .

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ١٧٩/١ ، ١٨٠ .

قراءة النبى ﷺ ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾

وهذه هى القراءة المشهوره ، وقرأ بها : ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو الأسود ، وابن أبى إسحاق وأبو عمرو ، وعيسى البصرة ، وحمزة ، والكسائى ، وعاصم ، ويعقوب ، وخلف ، والحسن ، وابن محيصن (١) وأطلق بعضهم أهل العراق (٢) ، وبعضهم الكوفيين والبصريين (٣) ، وأكثرهم يستثنى أصحاب القراءات المختلفة ثم يقول : وقرأ الباقون (٤) .

ومعنى ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ هلم لك ، وادن وتقرب وتعال ، تدعوه إلى نفسها (٥) ، وأنشد أبو عمرو على هذا المعنى قول بعض أهل العراق يدعو عليا رضى الله عنه :

أبلغ أميرَ المؤمنيـ ... ـنَ أُخا العِراقِ إذا أُتَيْتا

أنَّ العِراقَ وأهْلَهُ ... عُنُقٌ إليك فَهَيْتَ هَيْتَا (٦)

---

(١) انظر البحر المحيط ٢٩٤/٥ والمبسوط ٢٤٥ والسبعة ٣٤٧ والتيسير ١٢٨ والكشف ٨/٢ والعنوان ١١٠ وإرشاد المبتدى ٣٨٠ ، والنشر ٢٩٣/٢ وحجة أبى زرعة ٣٥٧ وزاد المسير ٢٠٢/٤ .

(٢) ارشاد المبتدى ٣٨٠ وحجة أبى زرعة ٣٥٧ .

(٣) البحر المحيط ٢٩٤/٥ وجامع البيان ١٧٩/١٢ .

(٤) المراجع السابقة .

(٥) انظر مجاز القرآن ٣٠٥/١ وجامع البيان ١٧٩/١٢ ، ١٨٠ .

(٦) السابقان ، والعين ٨١/٤ وجمهرة اللغة ٢٥١ ، ٤١٣ تح بعبلكى ، ومعانى الفراء ٤٠/٢ ومعانى الزجاج ١٠٠/٣ والمحتسب ٣٣٧/١ والخصائص ٢٧٩/١ والمخصص ٤٨/١٧ والصحاح ، واللسان ، والتاج « هيت » وزاد المسير ٢٠٢/٤ .

وقد استجادها الزجاج (١) ، قال : « وأجودها وأكثرها ﴿ هَيْتَ ﴾ فهو أكثركلام العرب » وأنشد البيتين السابقين . وكلام أبى عمرو ، والفراء ، والزجاج يشير إلى أنها عربية ، ولكن نقل عن ابن عباس أنها بالحورانية ، وعن السدى أنها بالقبطية ، وعن الحسن أنها بالسريانية (٢) ، وعنه أيضا أنها بالعبرية « هَيْتَلَخ » أو « تَابَخْ » (٣) ، وذكرأبوعبيدة أن الكسائى كان يحكيها ، ويقول : هى لغة لأهل حَوْران وقعت إلى الحجاز ، ومعناها : تعال . وعن أبى عبيد : سألت شيخا عالما من أهل حوران ، فذكر أنها لغتهم يعرفها (٤) .

وروى عن مجاهد أنها عربية ، وعن ابن الأنبارى : قيل إنها من كلام قريش ، إلا أنها مما درس وقل فى أفواههم آخرا ، فأتى الله به ؛ لأن أصله من كلامهم (٥) . وقد رجح الدكتور السيد يعقوب بكر هذا (٦) بناء على الشعر المذكور ، والاشتقاق فى قولهم : « هَيَّتَ بالرجل وهَوَّتَ به : صاح » .

وقرئت على أوجه منها : « هِئْتُ لَكَ » ، و « هِئْتَ لَكَ » بكسر الهاء وهمزة ساكنة ، وضم التاء وفتحها ، وهاتان من الهيئة ، أى : تهيأت لك ، على ضم التاء ، من

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٣/١٠٠ .

(٢) معانى الفراء ٢/٤٠ وانظر جامع البيان ١٢/١٧٩ ، ١٨٠ وزاد المسير ٤/٢٠٢ ، ٢٠٣ والبحر المحيط ٥/٢٩٣ والدر المصون ٦/٤٦٣ والاتقان ١/٣٨ والمهذب ٢٢٦ ودراسات مقارنة فى المعجم العربى ١٤٢ ونصوص في فقة اللغة العربية ٢/٣٢ ومن تراث لغوى مفقود ١٣٥ .

(٣) المختصر في شواذ القراءة ٦٣ .

(٤) جامع البيان ١٢/١٨٠ وانظر معانى الفراء ٢/٤٠ وزاد المسير ٤/٢٠٢ .

(٥) انظر الدر المصون ٦/٤٦٣ وزاد المسير ٤/٢٠٢، ٢٠٣ .

(٦) انظر نصوص فى فقه العربية ٢/٣٢ .

قولهم : هِئْتُ للأمر أهِيءُ هَيْئَةً [1] ، وهى قراءةٌ لعلىّ ، وابن عباس ، وأبى الدرداء والسلمى ، وعكرمة ، وقتادة ، ومجاهد ، وطلحة وأبى وائل وأبى رجاء ، ويحيى وفى رواية عن هشام ، وفى رواية عن أبى عمرو ، وفى رواية عن ابن عامر [2] . وهذه أنكرها الكسائى ، وأبو عمرو ، ذكره أبو عبيدة ، والطبرى [3] ، غير أن القراءة ثابتة .

وعلى فتح التاء مع كسر الهاء ، وبالهمز : تكون بمعنى تَهَيَّأ أمرك لى أو حَسُنَت هيأتُك . وهذه القراءات مشهورة عن هشام [4] وقد حمل عليه جماعة فخطأه الفارسى ، ومكى ، وتابعهما جماعة ، وردَّ عليهم بأن الرواية ثابتة عن هشام ، وأنها أيضا رواية الوليد بن مسلم عن ابن عامر ، وأن المعنى : تهيأ أمرك لى ؛ لأنها ما كانت تقدر على الخلوة به فى كل وقت أو : حسنت هيأتك ، و « لك » على الوجهين : بيان ، أى : لك أقول [5] .

ويتصل بتلك القراءات :

قراءة « هَيْتُ لَكَ » : بفتح الهاء ، وضم التاء ، وهى مشهورة عن ابن كثير ، وأهل مكة [6] .

---

(١) انظر معانى الزجاج ١/ ١٠٠ ومعانى الفراء ٢/ ٤٠ وجامع البيان ١٢/ ١٨٠ ، ١٨١ والكشاف ٢/ ٣١٠.

(٢) السابقة ، والمحتسب ١/ ٣٣٧ وشواذ الكرمانى ١١٧ وابن خالويه ٦٣ والنشر ٢/ ٢٩٤ والبحر المحيط ٥/ ٢٩٤ .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٠٥ ، ٣٠٦ وجامع البيان ١٢/ ١٨١ .

(٤) التيسير ١٢٨ وحجة الفارسي ٤/ ٤١٥ والكشف ٢/ ٨ والسبعة ٣٤٧ والنشر ٢/ ٢٩٤ والعنوان ١١٠ والإقناع ٢/ ٦٧٠ والبحر المحيط ٥/ ٢٩٤ وزاد المسير ٤/ ٢٠١ والدر المصون ٦/ ٤٦٤ .

(٥) ذكره في الدر المصون ٦/ ٤٦٤ ، ٤٦٥ والنشر ٢/ ٢٩٤ .

(٦) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ١٠٠ والحجة للفارسى ٤/ ٤١٩ والتيسير ٢٨ والمبسوط ٢٤٥ والكشف ٢/ ٨ وإرشاد المبتدى ٣٨٠ والعنوان ١١٠ رالإقناع ٢/ ٦٧٠ وحجة أبى زرعة ٣٥٨ والبحر المحيط ٥/ ٢٩٤ وزاد المسير ٤/ ٢٠١ والدر المصون ٦/ ٤٦٣ .

وقـراءة « هِيتَ لَكَ » : بكسـر الهـاء ، وفـتح التـاء ، وهى قـراءة أهل المدينة ، (١) ورويت عن على رضى الله عنه (٢) .

وقراءة « هَيْتِ لَكَ » بفتح الهاء وكسر التاء ، ونسبت لابن عباس ، وابن محيصن ، وابن أبى إسحاق ، وأبى الأسود ، وعيسى الثقفى ، وأبى رزين ، وحميد (٣) .

فالقراءات ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ و « هَيْتُ لَكَ » و « هِيتَ لَكَ » و « هَيْتِ لَكَ » كلهـا بمعنى واحد ، وهو : هلم لك ، أى : تعال وادنُه وتقرب ، فهيت : اسم فعل ، كصَهْ ، ومَه ، وأصل التـاء السكون ، ولكنهـا حركت بالفـتح والكسـر ، والضم ؛ لأن قـبلهـا نصف مد ساكن ، فمن حركها بالفتح جنح إلى الخفة ، ومن حركها بالضم فقد شبهها بقبل وبعد حين يقطعان عن الإضافة ، ومن حركها بالكسر جاء به على الأصل فى التقاء الساكنين ، ولم يبال بتتابع نصف المد « الياء الساكنة ، وحركة الكسرة » (٤).

وقـد نقل الرواة أنهـا لغـات (٥) ، وأنشـد أبو عـمـرو على « هَيْتَ لَكَ » الشـاهد

---

(١) قرأ بها أبو جعفر ، ونافع ، والأعرج ، وشيبه ، وابن عامر ، وابن ذكوان انظر المبسوط ٢٤٥ والكشف ٨/٢ وحجة الفارسي ٤١٨/٤ وحجة أبى زرعة ٣٥٨ وزاد المسير ٢٠١/٤ وإرشاد المبتدى ٣٨٠ والبحر المحيط ٢٩٤/٥ ، الدر المصون ٤٦٣/٦ .

(٢) زاد المسير ٢٠١/٤ .

(٣) المحتسب ٣٣٧/١ ومختصر شواذ القرآن ٦٣ وشواذ القراءة ١١٧ وزاد المسير ٢٠٢/٤ .

(٤) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٠/٣ والحجة للفارسى ٤١٩/٤ والمحتسب ٣٣٧/١ وشرح المفصل ٣٢/٤ .

(٥) الأزهري : قال الأخفش : « هَيْتَ لَكَ » مفتوحة معناها : هلم لك ، قال : وكسر بعضهم التاء ، وهى لغة ، فقال : « هَيتِ لَكَ » ورفع بعض التاء ، فقال : « هَيْتُ لَكَ » وكسر بعض الهاء ، وفتح التاء ، فقال : « هِيتَ لَكَ » كل ذلك بمعنى واحد » تهذيب اللغة ٣٩٣/٦ وكذا نقله عن الأخفش أبو على في الحجة ٤١٧/٤ وابن جنى فى الخصائص ٢٧٩/١ والمحتسب ٣٣٧/١ ومثله ذكر الزجاج فى المعانى ١٠٠/٣ .

السابق ، وانشد قطرب (١) على « هَيْتُ لَكَ » ماأنشده إياه بعض أهل الحجاز لطرفة :

ليس قَوْمِى بالأبْعدِيَن إذا مَا ... قال داعٍ مِنَ العَشِيرَةِ هَيْتُ

هُمْ يُجِيبُونَ ذَا هَلُمَّ سِراعًا ... كالأبابِيلِ لا يُغَادَرُ بَيْتُ

والقراءة الأولى أجود اللغات وأكثرها استعمالا ، تليها الثانية ، فالثالثة ، فالرابعة.

وقراءة : « هِئتُ لَكَ » بكسر الهاء ، وبالهمز ، وضم التاء .

وقراءة « هِئْتَ لَكَ » بكسر الهاء ، وبالهمز ، وفتح التاء .

يحتمل أن يكون اشتقاقهما من قولهم : هِئْتُ للأمر أهِيءُ هَيْئَةً ، وهَيَّأتُ الأمرَ تَهْيِئَةً فهو مُهَيَّأ . وأن يكون من قولهم : رجل هَيِّئٌ صَيِّئٌ شَيِّئٌ : إذا كان حسنَ الهيئة ، والصورة ، والشارَة (٢) .

فعلى هذا يكون الأصل فى هِئْتُ : هَيِئْت على فَعِلْت من هَيَأ ، وحذفت الياء هنا للإسناد ، كما حذفت فى فئت ، وجئت ، وشئت .

والتاء للمتكلم ، أو للمخاطب ، فى قراءة ضم التاء ، أو فتحها ، ويجوز تخفيف الهمزة ، كما تخفف فى نحو شِيتُ ، وجِيتُ ، وفِيتُ ، ومن ثم تلتقى قراءة الهمز وقراءة التخفيف ، وبخاصة فى قراءة من قرأ بكسر الهاء وضم التاء ، أو فتحها ،

---

(١) ذكره الزجاج فى المعانى ٣/ ١٠٠ وابن جنى فى المحتسب ٣٣٧/١ والطبرى فى جامع البيان ١٨١/١٢.

(٢) انظر تهذيب اللغة ٤٨٥/٦ وحجة الفارسى ٤١٩/٤ والكشف ٨/٢ ، ٩ .

مـــن غير همـــز ، كقـراءة أهـــل المديـــنة « هِيتَ لَكَ » وهى أيضا قـراءةُ لعلى ابن أبـــى طالب ، وقـــراءة زيد بن على ، وطلحة بن مصرف ، وابن أبى إسحاق « هِيتُ لَكَ » (١) .

وكذلك يحتمل « هَيْتَ » الذى هو اسم للفعل أن يكون فعلا ، والتاء فيه مضمومة أو مفـــتوحة للمخاطب ، أو للمتكلم ، ويكـون من هاء يهيىء هيئة ، وقد أشار إلى نحـــو ذلك الفارسى (٢) ، وقـــال مكى : « وقد تحتمل قراءة من لم يهمز أن تكون على إرادة الهمز ، لكن خفف الهمزة ، فيكون من تهيأت ، فيكون فعلا » (٣) .

وكذلك ذكر السـمين فى التعليق على قراءة « هِيتُ لَكَ » بكسر الهاء ، وضم التاء من غـير همز ، قال : « فيحتمل أن تكون فيه اسم فعل بنيت على الضم كحيث ، وأن تكـون فعلا مسندا لضمـــير المتـــكلم من هاء الرجل يهيىء كجاء يجيىء ، وله حينئذ معنيـان ، أحدهما : أن يكون بمعنى حَسُنَ هَيْئَةً ، والثانى : أن يكون بمعنى تهيأ » (٤) .

وهكذا تتلاقى قراءات التحقيق وقراءات التسهيل يفسر بعضها بعضا ، ويدل بعضها على أصول بعضها الآخر .

---

١) مختصر الشواذ ٦٣ والبحر المحيط ٢٩٤/٥ وزاد المسير ٢٠١/٤ ، ١٠٢ والدر المصون ٦٦٤/٦ .

(٢) الحجة ٤٦٤/٤ .

(٣) الكشف ٨/٢ ، ٩ .

(٤) الدر المصون ٤٦٤/٦ .

قراءة النبى ﷺ : « تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ » ؟ « حَمِئَةٍ » ؟ .

ترددت قــراءة « حَمِئَةٍ » فى هذه الآية بين « حــامِيَة » و « حَمِئَة » و « حَمِيَة »

والمادة مختلفة بينهما ، فحامية : فاعلة من حَمِيَت الشمسُ تَحْمَى حَمْياً وحُمِيًا ، وحُمُوّاً : اشتد حرها ، وحَمْيُها وحَمْوُها : حرها ، فالمادة معتلة واوية يائية .

وحَمِئَة : فَعِلَة من : حَمِئَت الركيةُ تَحْمَأُ حَمَأً : إذا صارت ذات حَمْأ ، وأحمأتُها أنا إحْماءً : إذا نقيتها من حَمْأتها ، وحَمَأتها : إذا ألقيتَ فيها الحمْأة ، وقيل العكس ، وهو الطين الأسود المنتن (١) . فالمادة هنا مهموزة .

وحَمِيَة : تخفــيف حَمِئَة ، ولايجوز غيره ، وعلــى ذلك فالمادة والمعنى مختلفان بين « حامية » و « حمئة » ومتفقان بين « حمئة » و « حمية » .

وقد نص أبو داود على أن النبى ﷺ قرأ « تَغْرُبُ فى عَيْنٍ حَمِئَةٍ » مخففة . ولكن علامة الهمزة فى اللفظ (٢) .

وتؤكده رواية الدورى ينتهى إلى سند مصدع عن ابن عباس ، قال : أقرأنى أبى كما أقرأه رسول الله ﷺ « تَغْرُبُ فى عَيْنٍ حَمِيَةٍ » (٣) . كذا مشكولة بالقلم .

وإن كنا لا نستبعد هذه القراءة إلا أننا نرجح أن تكون مهموزة ؛ وذلك لما يأتى : ـ

ـ ذكر مكى فى الكشف (٤) نفس الحديث الذى ذكره الدورى ، وأبو داود ، وقيد

---

(١) تهذيب اللغة ٥/٢٧٤ ، ٢٧٦ والصحاح ، واللسان (حمأ ـ حما) ومجاز القرآن ١/٤١٣ .

(٢) السنن ٤/٣٤ ح ٣٩٨٦ .

(٣) فى جزئه ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٤) ٢/٧٤ .

القراءة بأنها مهموزة ، وعبارته : « روى أبى بن كعب أن النبى ﷺ قرأ « حَمِئَةٍ » بالهمز ، وبذلك قرأ ابن عباس ، وكذلك قرأ على رضى الله عنهما » .

ـ ولهذه القراءة خبر مشهور ، مفاده : أن معاوية قرأ « تغرب فى عين حامية » فقال ابن عباس : إنها عين حمئة ، فجعلا كعب الأحبار بينهما ، فأرسلا إليه ، فسألاه فقال كعب : أما الشمس فإنها تغيب فى ثأطٍ ، فكانت على ماقال ابن عباس » والثَّأطُ : الطين . وفى رواية أخرى : قال كعب : أنتم أعلم بالقرآن منى ، ولكنى أجدها فى الكتاب تغيب فى طينة سوداء (١) . وكان ثمة رجل ، فأنشد لتبع أو لأمية :

فرأى مَغيبَ الشمس عند مَآبها فى عَيْنِ ذى خُلُبٍ وثَأطٍ حَرْمَدِ (٢)

ـ والمشهور فى الآية قراءتان :

ـ « حَمِئَةٍ » وهى قراءة الجمهور ، ومنهم : ابن عباس بالإجماع ، ونافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم ، ويعقوب ، وحميد ، وشيبة ، وابن أبى ليلى ، وأبو حاتم ، وابن جبير ، واليزيدى (٣) .

---

(١) جامع البيان ١١/١٦ والكشاف ٤٩٧/٢ وتفسير ابن كثير ٤٢١/٤ وحجة أبى زرعة ٤٢٩ والدر المصون ٥٤١/٧ .

(٢) الكشاف ٤٩٧/٢ والبحر المحيط ١٥٩/٦ والدر المصون ٥٤١/٧ واللسان (خلب ـ حرمد ـ ثأط) والحرمد : المتغير اللون والخلب : الطين والحمأة .

(٣) معانى الفراء ١٥٨/٢ والسبعة ٣٩٨ والتيسير ١٤٥ والمبسوط ٢٨٢ والكشف ٧٣/٢ والإقناع ٦٩٢/٢ والعنوان ١٢٤ والبحر المحيط ١٥٩/٦ والدر الصون ٥٤١/٧ والنشر ٣١٤/٢ وإتحاف فضلاء البشر ٢٩٤ وحجة أبى زرعة ٤٢٨ .

- « حامِيَة » وهى قراءة ابن مسعود ، وابن الزبير ، وابن عمر ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله بن عمرو ، والحسن ، وزيد بن على ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائى (١) .

- أكثر مانسب لابن عباس من تفسيرات يوافق قراءته « حَمِئَةٍ » ، ومنها : قوله : فى طين أسود ؛ ذات حمأة ؛ هى : الحمأة ؛ حمأة سوداء تغرب فيها الشمس .

- وقد ذكر سعيد بن جبير ـ وهو ممن يقرأ « حَمِئَةٍ » كابن عباس ـ قال : « كان ابن عباس يقرأ هذا الحرف ﴿ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ ويقول : حمأة سوداء تغرب فيها الشمس » (٢) .

- أكثر أهل التفسير على هذا المعنى ، ومن أهمهم عكرمة ، وهو مولى ابن عباس ، وأكثر الناس رواية عنه ، وعبدالرحمن الأعرج ، ومجاهد بن جبر الذي عرض على ابن عباس ثلاثين عرضة ، وسأله في ثلاث منها عن كل آية فيما كانت (٣) .

والذين قرأوا « حامية » بمعنى شديدة الحرارة ، يستندون إلى حديث أبي ذر (٤) : « كنت ردف النبي ﷺ على حمار فرأي الشمس حين غابت ، فقال : « يا أبا ذر تدرى أين تغرب هذه ؟ فقال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تغرب في عين حامية » وحديث ابن عمر : « نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت ، فقال : في نار الله الحامية في نار الله الحامية لولا مايزعها من أمر الله لأحرقت ماعلى

---

(١) معانى القراء ١٥٨/٢ والبحر المحيط ١٥٩/٦ والمراجع السابقة .

(٢) جامع البيان ١١/١٦ ، ١٢ وتفسير ابن كثير ٤٢١/٤ وزاد المسير ١٨٥/٥ .

(٣) غاية النهاية فى طبقات القراء ٤١/٢ .

(٤) المستدرك ٢٤٤/٢ والمسند ١٦٥/٥ وتفسير ابن كثير ١٠٢/٣ والكشف ٧٣/٢ ، ٧٤ .

الأرض » (١) وبقوله تعالى : ﴿ نَارٌ حَامِيَة ﴾ (٢) .

وهـذه القـراءة أيضـا تأولهـا بعض اللغـويين على تسهيل الهمز ، فجعل أصلها « حامئة » من حمىء المهموز ، ثم سهلت ، وقد صرح بهذا أبوحاتم ، قال : « وقد يمكـن أن تكـون « حاميـة » مهمـوزة بمعنى : ذات حمـأة ، فتكون القراءتان بمعنى واحد » (٣) وهذا يعنى أن الأصل واحد مهموز ، ثم سهل بإبدال الهمزة ياء . ويلاحظ أن أبا حاتم كان ممن يقرأ « حمئة » .

وقد أخذ بهذا مكى ؛ إذ ذهب إلى جواز أن تكون الياء بدلا من همزه ، فيكون فاعلا من الحمأة ، وقال معلقا على كلام كعب الأحبار : فهذا يدل على أنها من الحمأة ، وهو الاختيار ؛ لأن القراءتين قد ترجعان إلي معنى واحد ، ولاترجعان إلى أنهما من « حَمِيَ يَحْمَى » بمعنى الحارة ؛ لأنه لاسبيل إلى الهمز في « فاعل » من « حَمِيَ يَحْمَى » (٤) .

كما حاول كثير من العلماء التوفيق بين المعنيين بالجمع بين الصفتين ، فتكون العين حارة ذات حمأة (٥) ، وقد عقب الطبرى على وجهي القراءة بأن « كلا الوجهين غير مفسد لصاحبه ؛ وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين » (٦) وتعلق بهذا أيضا مكى ، فقال : « وأيضا فإن القراءة بالهمز لاتنافى

---

(١) جامع البيان ١٢/١٦ وتفسير ابن كثير ١٠٢/٣ والكشف ٧٤/٢ .

(٢) سورة القارعة آية ١١ .

(٣) البحر المحيط ١٥٩/٦ .

(٤) الكشف ٧٣/٢ ، ٧٤ .

(٥) انظر معانى الزجاج ٣٠٨/٣ وتهذيب اللغة ٢٧٦/٥ والبحر المحيط ١٥٩/٦ والدر المصون ٥٤٠/٧ وحجة أبى زرعة ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٦) جامع البيان ١٢/١٦ .

القراءة بغير همز ، قد تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة ، فيجتمع فى ذلك المعنيان جميعا ، والقراءتان جميعا » (١) .

وكل هذا يدل على أن قراءة ﴿ حَمِئَةٍ ﴾ هى الأصل ، وأنه يجوز أن تكون « حامية » أصلا آخر بمعنى آخر ، ويجوز أن تكون تخفيفا من المهموزة ، وحينئذ يكون التغيير صوتيا فحسب ولاتأثير له فى المعنى ، كما يرجح أن قراءة ابن عباس التي رواها عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ « حَمِئَة » بالهمز .

وهذا ترجيح ، وليس تأكيدا ؛ لأن احتمال التسهيل في « حمئة » وارد ، ولايمنع منه مانع ، لما ذكرناه من تبادل الهمزة مع الصوائت وأنصاف الصوائت ، وكما في تبادلها مع نصف الصامت « الياء المتحركة » في « حامِيَةٍ » .

وقد وجدت أبا حيان ينسب قراءة للزهرى في « حَمِئَةٍ » يقول : « والزهرى يُلَيِّنُها » (٢) فهذا يقوى احتمال ثبوتها ، ورأيت الطبرى يفرد حديث ابن عباس عن أبي بن كعب بعد ذكره للقراءتين المشهورتين ، غير أنه أورد الكلمة مشكولة بصورة الهمزة هكذا « حَمِئَةً » ولم يقيدها ، ثم إن أبا داود حجة ثبت بشهادة المحققين من العلماء ، ويضاف إلى ذلك أن كثيرا من القراءات قد ذهب بكتابة المصحف الإمام ، وربما يجود الزمان بكشف كنوز تراثنا الجليل ، ويفتح الله علينا مستغلقات الأمور .

---

(١) الكشف ٢/٧٤ .

(٢) البحر المحيط ٦/١٥٩ .

قراءة النبى ﷺ ﴿ كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ و « دَرِّىٌّ »

﴿ دُرِّىٌّ ﴾ قراءة حفص عن عاصم ، وأبى جعفر ، ونافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وخلف ، والحسن ، وابن محيصن (١) ، وعلى الجملة فهى قراءة الجمهور (٢) .

وهى قراءة النبى ﷺ ذكره أهل الحديث (٣) عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : « إن الرجل من أهل علِّيين ليشرف على أهل الجنة فتضيىء الجنة لوجهه كأنها كوكب دُرِّىٌّ ، وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعما » قال أبو داود : وهكذا جاء الحديث « دُرِّىٌّ » مرفوعة الدال لاتهمز .

والنسبة فيه : إما إلى الدرّ ؛ لنقائه وضيائه وحسنه (٤) ، وإما على التشبيه بأحد الدرارى الخمسة ، وحينئذ يكون أصله « دُرَّىء » على فُعَّيل الهمزة لام الكلمة ، من الدرء بمعنى الدفع ، ثم خففت الهمزة بإبدالها ياء فأدغم (٥) وقد قرأ « دُرَّىء » على الأصل حمزة ، وأبوبكر ، وعاصم ، والأعمش ، وله نظائر فى كلام العرب ، منها : مُرِّيق للعصفور ، ومُرِّيخ لما فى داخل القرن اليابس (٦) .

---

(١) المبسوط ٣١٨ ، ٣١٩ وإتحاف فضلاء البشر ٣٢٤ وحجة أبى زرعة ٤٩٩ والبحر المحيط ٤٥٦/٦ والكشف ١٣٧/٢ .

(٢) جامع البيان ١٤٠/١٨ والتيسير ١٦٢ والعنوان ١٣٩ ، وإرشاد المبتدى ٤٦٢ والنشر ٣٣٢/٢ .

(٣) المسند ٦١/٣ وسنن أبى دواد ٣٤/٤ ح ٣٩٨٧ وصحيح مسلم « كتاب الجنة » .

(٤) معانى القراء ٢٥٢/٢ ومعانى الزجاج ٤٤/٤ ومعانى الأخفش ٤٢٠/٢ ومجاز القرآن ٦٦/٢ وجامع البيان ٤١/١٨ والحجة لابن خالويه ٢٦٢ .

(٥) المراجع السابقة ، والمحتسب ١٥٦/١ والكشف ١٣٨/٢ وحجة أبى زرعة ٤٩٩ والكشاف ٦٧/٣ .

(٦) معانى القراء ٢٥٢/٢ والمحتسب ١٥٨/١ ، ١٥٩ والبحر المحيط ٤٥٦/٦ والحجة لابن خالويه ٢٦٢/٢ والكشف ١٣٨/٢ وإتحاف فضلاء البشر ٣٢٤ .

وأما قراءة النبى ﷺ : « دَرَىً » فقد عمَّاهَا ابن خالويه بعدم ضبطها ، ونصه : « دَرِيُّ » بالتخفيف قتادة ، وأبان عن عاصم ، والنبى ﷺ و « دَرْيُّ » أبان عن عاصم » (١) وقد نسب إلى عاصم روايات ، منها : « دُرَىءٌ » السابق ذكرها ، و « دِرَىءٌ » رواها عنه المفضل الضبى بكسر الدال والهمز ، وذكره الفراء (٢) ، وهذه قيدها الكرمانى بكسر الدال من غير همز ، و « دُرَىٌّ » فى رواية حفص عنه . فلم نعد نعرف أيتها يقصد ابن خالويه ، وإن كان قوله : « بالتخفيف » يحددها فى غير المهموزات .

ونلاحظ أنه أشرك قتادة ، وأبان بن عثمان في قراءة النبى ﷺ ، ولقتادة أيضا قراءات ، منها : « دَرَىءٌ » بفتح الدال والهمز ذكرها أبوحيان ، والكرمانى (٣) ، وهذه غير مقصود ابن خالويه ؛ لأنها مهموزة ، و « دَرِيٌّ » بفتح الدال ، وتخفيف الراء ، وتشديد الياء ، ونسبها الكرمانى له ، وللضحاك ، و « دَرَىٌّ » وهذه ذكرها له أبو حيان ، وقيدها بفتح الدال وتشديد الراء والياء ، وذكرها له أيضا الكرمانى ، وقيدها بفتح الدال وتشديد الياء .

ويحتمل أن تكون إحدى القراءتين هى التى يعنيها ابن خالويه ، ونرجح أن تكون « دَرَىٌّ » بفتح الدال ، وتشديد الراء والياء ؛ لأن أبا حيان ذكرها ، ونسبها إلى قتادة ، والضحاك ، وسعيد بن المسيب ، وزيد بن على ونصر بن عاصم ، وأبى رجاء . ومن هؤلاء ثلاثة نسبها إليهم الكرمانى : ابن المسيب ، ونصر بن عاصم ، وقتادة .

---

(١) مختصر الشواذ ١٠٢ .

(٢) معانى القرآن ٢/٢٥٢ .

(٣) فى البحر المحيط ٦/٤٥٦ وشواذ القراءة ١٧١ .

أمـا « دَرْىٌ » التى ذكرها ابن خالويه ، ونسبها إلى أبان عن عـاصم ، فنعتقد أنها « دَرِىٌّ » التـى نص عليها الكرمانى ونسبها إلى الضحاك وقتادة ؛ لأنها مخففة أصلا ، وتخفيفها مرة أخرى يخرجها عن المعنى .

وعلى ذلك تكون قراءة النبى ﷺ « دَرِّىٌّ » ويؤكـد هذا أن ابن جنى (١) نسبها إلى قتادة والضحاك ، كما نسبها الكرمانى .

وقد ذكر الفارسى أن هذه القراءة منسوبة إلى الدُّرّ على غـير قـياس ، ولايكون على التخفيف ؛ لأن فَعّيلاً ليس من كلامهم ، إلا ماحكاه أبو زيد من قولهم : سَكّينة .

ولله الحمد فى الأولى والآخرة ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

دكتور / مصطفـى عبـدالحفيظ سـالم
مكـة المكرمـة

---

(١) المحتسب ٢/١١٠ .

فهرس قراءات النبى ﷺ

القراءة	الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
- « فَمَنْ تَبِعَ هُدَىَّ »	٨٣	٧
- « وَجِبْرَائِلَ وَمِيكائِلَ »	٩٨	١٣٠، ١٤٧
- « فى السِّلم كَافَّةً »	٢٠٨	٥٩
- « يَحْسِبُهُمُ الجاهِلُ »	٢٧٣	١٩
سورة آل عمران		
- « لاتَحْسِبَنَّ الَّذِين يَفْرَحُونَ »	١٨٨	٥٩
سورة المائدة		
- « أَوْ عِدْلُ ذلِكَ »	٩٥	٦٠
سورة الأنعام		
- « إنَّ الَّذينَ فَارَقُوا »	١٥٩	٩٩ ، ١٢٧
- «ونُسكى وَمَحْيَىَّ »	١٦٢	٧
سورة الأعراف		
- « قَالُوا نَعِمْ »	٤٤	٦٠

القراءة	الآية	رقم الصفحة
سورة الأنفال		
- « وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ »	٦١	٥٩
سوره يوسف		
« يَابُشْرَىٰ »	١٩	٧
- « هَيْتَ لَكَ »	٢٣	١٣٠، ١٥٤
- « أَحْسَنَ مَثْوَىَّ »	٢٣	٧
- « أَفْتُونِى فِى رُؤْيَىَ »	٤٣	٨
سورة الكهف		
- « مِن لَّدُنِّى عُذْرًا »	٧٦	٩٠
- « لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ »	٧٧	٩٩ ، ١٠٢
- « فى عَيْنٍ حَمِئَةٍ »	٨٦	١٣٠، ١٦٠
سورة مريم		
- « يايَحْيَى »	١٢	٢٣
سورة طه		
- « طِهِ »	١	٢٣

القراءة	الآية	رقم الصفحة
- « هِيَ عَصَيَ »	١٨	٨
سورة النور		
- « كَوكَبٌ دُرِّيٌّ »	٣٥	١٣٠، ١٦٥
سورة الروم		
- « مِنَ الَّذينَ فَارَقُوا »	٣٢	٩٩ ، ١٢٧
- « مِنْ ضُعْفٍ »	٥٤	٧٧ ، ٨٧
سورة محمد		
- « وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ »	٣٥	٥٩
سورة الحجرات		
- « مَيْتاً فكَرِهْتُمُوهُ »	١٢	٩٩ ، ١١٧
سورة ق		
- « وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ »	١٠	٤٤
سورة النجم		
- « وإبْراهِيمَ الَّذى وَفَى »	٣٧	١٠٠، ١٠٧

القراءة	الآية	رقم الصفحة
سورة القمر		
- « فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ »	١٥	٤٤
سورة الرحمن		
- « عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ »	٧٦	٩٠
سورة الواقعة		
- « شَرْبَ الْهِيمِ »	٥٥	٧٨ ، ٨٤
- « فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ »	٨٩	٧٨ ، ٨٩
سورة الحاقة		
- « ومَنْ قِبَلَهِ »	٩	٦٠
سورة الإنسان		
- « قَدَرُوهَا تَقْدِيراً »	١٦	١٠٠ ،١١
سورة المرسلات		
- « عُذْراً أو نُذْراً »	٦	٩٠

القراءة	الآية	رقم الصفحة
سورة التكوير		
ـ « فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ »	١٥	١٠١، ١٢٤
ـ « الْجَوَارِ الْكُنَّسِ »	١٦	١٠١، ١٢٤
سورة الانفطار		
ـ « فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ »	٧	١٠١، ١١٣
سورة الفجر		
ـ « وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ »	٣	٩٠
سورة البلد		
ـ أيَحْسِبُ أَن لَّن يَقْدِرَ »	٥	٦٠
سورة الضحى		
« مَاوَدَّعَكَ »	٣	١٠١، ١١٩

فهرس المصادر والمراجع

(١) الإبدال لأبى الطيب اللغوى . تح عز الدين التنوخى ـ دمشق ١٩٦١ م .

(٢) إبراز المعانى من حرز الأمانى لأبى شامة ـ ط مصطفى الحلبى ١٣٤٩ هـ .

(٣) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى د/ عبد الغفار هلال ـ دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ م .

(٤) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبناء ـ تصحيح على محمد الضباع ـ ط عبد الحميد أحمد حنفى القاهرة .

(٥) الإتقان فى علوم القرآن . للسيوطى ـ تح محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .

(٦) الأحرف السبعة للقرآن لأبى عمرو الدانى ـ تح د/ عبد المهيمن طحان ـ السعودية ١٤٠٨ هـ .

(٧) إرشاد المبتدى وتذكرة المنتهى فى القراءات العشر لابن بندار الواسطى ـ تح عمر حمدان الكبيسى ـ ط الفيصلية ـ مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ .

(٨) أسرار العربية للأنبارى ـ مطبوعات المجمع العلمى العربى ـ دمشق ١٣٧٧ هـ .

(٩) أسس علم اللغة ـ مريوباى ـ ترجمة د/ أحمد مختار عمر ـ عالم الكتب ١٩٨٣ م ط ٢ .

(١٠) الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى ـ بيروت ١٩٨٤ م .

(١١) الاشتقاق لابن دريد ـ تح عبد السلام هارون ـ مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨ هـ .

(١٢) إصلاح المنطق لابن السكيت تح أحمد محمد شاكر ـ عبد السلام هارون ـ دار المعارف ١٩٧٠ م .

(١٣) أصوات اللغة د/ عبد الرحمن أيوب ـ مطبعة الكيلانى ١٩٦٨ ط ٢ .

(١٤) أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار هلال ـ مطبعة الجبلاوى ١٩٨٨ م .

(١٥) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤ م ط سادسة

(١٦) الأصول فى النحو لابن السراج ـ تح د/ عبد الحسين الفتلى ـ بيروت ١٩٨٥م.

(١٧) الأضداد لابن الأنبارى ـ تح محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الكويت ١٩٦٠ م .

(١٨) إعراب القرآن لابن النحاس ـ تح زهير غازى زاهد ـ مكتبة النهضة العربية ١٩٨٥ م .

(١٩) الإقناع فى القراءات السبع لابن خلف الأنصارى ـ تح د/ عبد المجيد قطامش مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٣ هـ .

(٢٠) إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك ـ تح د/ سعد بن حمدان الغامدى السعودية ١٤٠٤ هـ .

(٢١) الإمالة فى القراءات واللهجات العربية = فى الدراسات القرآنية واللغوية .

(٢٢) الأمالى لأبى على القالى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .

(٢٣) البحر المحيط لأبى حيان ـ دار الفكر ـ بيروت .

(٢٤) بغية الآمال فى معرفة النطق بجميع مستقبلات الأفعال للفهرى اللبلى ـ تح د/ سليمان العايد ـ السعودية ١٤١١ هـ .

(٢٥) بغية الوعاه فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى ـ تح محمد أبو الفضل إبراهيم ط الحلبى ١٩٦٤ م .

(٢٦) البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادى ـ تح محمد المصرى ـ الكويت ١٩٨٧ م .

(٢٧) تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين ـ جورج مونين ترجمة بدر الدين القاسم ـ وزارة التعليم العالى ـ دمشق ١٩٧٢ م .

(٢٨) تاريخ اللغات السامية ـ إسرائيل ولفنسون ـ دار القلم بيروت ١٩٨٠ م .

(٢٩) التشكيل الصوتى فى اللغة العربية ـ فونولوجيا العربية ـ د/ سلمان حسن العانى ترجمة د/ ياسر الملاح ـ بيروت .

(٣٠) التصريح على التوضيح ـ للشيخ خالد الأزهرى ط عيسى الحلبى ـ القاهرة .

(٣١) التطور النحوى ـ برجشتراسر ـ ترجمة د/ رمضان عبد التواب ـ ط الخانجى والرفاعى ١٩٨٢ م .

(٣٢) تفسير الطبرى ـ جامع البيان عن تأويل آى القرآن ـ بيروت ١٩٨٤ م .

(٣٣) تفسير القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن ـ ط دار الكتب ١٩٣٩ م .

(٣٤) تفسير ابن كثير ـ طبع الاستقامة ـ القاهرة ١٩٥٦ م .

(٣٥) تهذيب اللغة للأزهرى ـ تحقيق جماعة من العلماء ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٣٦) التيسير فى القراءات السبع ـ لأبى عمرو الدانى ـ تح أوتوبرتزل ـ إستانبول ـ مطبعة الدولة ١٩٣٠ م .

(٣٧) جزء فيه قراءات النبى ﷺ للدورى ـ تح د/ حكمت بشير ـ مكتبة المدينة المنورة ١٤٠٨ م هـ .

(٣٨) الجمل للزجاجى تح ابن أبى شنب ـ مطبعة جول كربونل ـ الجزائر ١٩٥٧ م .

(٣٩) جمهرة أنساب العرب ـ لابن حزم ـ تح لجنة من العلماء ـ بيروت ١٩٨٣ م .

(٤٠) جمهرة اللغة لابن دريد ـ تح د/ رمزى منير بعلبكى ـ بيروت ١٩٨٧ م .

(٤١) الحجة فى علل القراءات السبع ـ لأبى على الفارسى ـ تح على النجدى ناصف ـ عبد الحليم النجار ـ عبد الفتاح شلبى ـ القاهرة ـ وتح بدر الدين قهوجى ـ وجويجاتى ـ ط دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ بيروت ١٩٨٧ م .

(٤٢) الحجة فى القراءات السبع ـ لابن خالويه تح د/ عبد العال سالم مكرم ـ دار الشروق ١٩٧٧ م .

(٤٣) حجة القراءات لأبى زرعة تح سعيد الأفغانى ـ بيروت ١٩٨٢ م .

(٤٤) الخصائص لابن جنى تح محمد على النجار ـ بيروت .

(٤٥) دراسات فى علم أصوات العربية د/ داود عبده ـ الكويت .

(٤٦) دراسات فى علم اللغة د/ كمال بشر ـ دار المعارف ـ مصر .

(٤٧) دراسات مقارنة فى المعجم العربى د/ السيد يعقوب بكر ـ بيروت ١٩٧٠ م .

(٤٨) دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس ـ د/ على حلمى موسى ـ الكويت .

(٤٩) دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح ـ د/ على حلمى موسى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م .

(٥٠) دراسة الصوت اللغوى د/ أحمد مختار عمر ـ عالم الكتب ١٩٧٦ م .

(٥١) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى تح د/ أحمد محمد الخراط ـ دمشق ١٤٠٦ م .

(٥٢) دروس فى علم أصوات العربية ـ جان كانتينو ـ ترجمة صالح القرماوى ـ تونس ١٩٦٦ م .

(٥٣) ديوان الهذليين ـ طبع دار الكتب ١٩٤٥ م ، ١٩٤٨ م ، ١٩٥٠ م .

(٥٤) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ـ بيروت ١٩٨٤ م .

(٥٥) الساميون ولغاتهم ـ د/ حسن ظاظا ـ دمشق ـ بيروت ١٩٩٠ م ط ٢ .

(٥٦) السبعة فى القراءات لابن مجاهد ـ تح د/ شوقى ضيف ـ دار المعارف .

(٥٧) سر صناعة الإعراب ـ لابن جنى ـ تح د/ حسن هنداوى ـ دار القلم ـ دمشق وبيروت ١٩٨٥ م .

(٥٨) سنن أبى داود ـ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ـ بيروت .

(٥٩) السيرافى النحوى فى ضوء شرحه لكتاب سيبويه دراسة وتحقيق د/ عبد المنعم فائز ـ دار الفكر .

(٦٠) شرح أبيات سيبويه لابن السيرافى ـ تح د/ محمد على سلطان ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٦ هـ .

(٦١) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ـ ط دار إحياء الكتب العربية .

(٦٢) شرح ديوان الهذليين للسكرى ـ تح عبد الستار فراج القاهرة ١٩٦٥ م .

(٦٣) شرح شافية ابن الحاجب للرضى ـ تح جماعة من العلماء ـ بيروت ١٩٧٥ م .

(٦٤) شرح الكافية للرضى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٦٥) شرح الكافية لابن مالك ـ تح د/ عبد المنعم هريدى ـ مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٢ هـ .

(٦٦) شرح المفصل لابن يعيش ـ عالم الكتب ـ بيروت .

(٦٧) الشعر والشعراء ـ لابن قتيبة تح د/ فؤاد قميحة ـ بيروت ١٩٨٥ م .

(٦٨) شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخليل للشهاب الخفاجى تح د/ محمد عبد المنعم خفاجى ـ ط مكتبة الحرم الحسينى ١٩٥٢ م .

(٦٩) شواذ القراءة للكرمانى ـ مخطوطة مكتبة الجامع الأزهر ـ رقم ٢٠٠٧٣ ب .

(٧٠) الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى ـ تح / احمد عبد الغفور عطار ـ القاهرة .

(٧١) صحيح مسلم ـ الجامع الصحيح .

(٧٢) صفة جزيرة العرب ـ للهمدانى ـ ليدن ١٨٨٤ م .

(٧٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ـ تح اللجنة الجامعية لنشر التراث بيروت .

(٧٤) طبقات النحويين واللغويين ـ للزبيدى تح محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ١٩٥٤ م .

(٧٥) العرب فى سوريا قبل الإسلام ـ رينيه ديسو ـ ترجمة د/ عبد الحميد الدواخلى الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة .

(٧٦) العقد الفريد لابن عبد ربه ـ تح أحمد أمين ـ وأحمد الزين ـ والإبيارى ـ بيروت .

(٧٧) علم الأصوات ـ مالبورج ـ تعريف ودراسة د/ عبد الصبور شاهين ـ مكتبة الشباب القاهرة ١٩٨٥ م .

(٧٨) علم اللغة د/ محمود السعران ـ دار المعارف ١٩٦٢ م .

(٧٩) علم اللغة د/ على عبد الواحد وافى القاهرة ١٩٧٢ م .

(٨٠) علم اللغة العام د/ كمال بشر دار المعارف ١٩٧٥ م .

(٨١) عناية القاضى عياض وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ـ حاشية الشهاب الخفاجى ـ دار صادر ـ بيروت .

(٨٢) العنوان فى القراءات السبع ـ لابن خلف الأنصارى ـ تح د/ زهير زاهد ، وخليل العطيه بيروت ١٩٨٥ م .

(٨٣) العين للخليل بن أحمد ـ تح د/ مهدى المخزومى ـ د/ إبراهيم السامرائى ـ بغداد .

(٨٤) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ـ تح برجشتراسر ـ بيروت ١٩٨٢ م .

(٨٥) غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام ـ الهند ١٩٦٤ م .

(٨٦) غريب القرآن وتفسيره لابن اليزيدى ـ تح د/ عبد الرزاق حسين ـ بيروت ١٩٨٧ م .

(٨٧) الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام تح محمد مختار العبيدى ـ تونس .

(٨٨) الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى تح على محمد البجاوى ـ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط الحلبى .

(٨٩) فعل وأفعل للأصمعى تح العزباوى ـ مجلة مركز البحث العلمى وتحقيق التراث ـ مطبوعات جامعة أم القرى .

(٩٠) فى الأصوات اللغوية ـ دراسة فى أصوات المد العربية د/ غالب المطلبى ـ العراق ١٩٨٤ م .

(٩١) فى الدراسات القرآنية واللغوية ـ الإمالة فى القراءات واللهجات د/ عبد الفتاح شلبى القاهرة ١٩٧١ م .

(٩٢) فى القرآن والعربية من تراث لغوء، مفقود للفراء د/ علم الدين الجندى مطبوعات جامعة أم القرى ١٤١٠ هـ .

(٩٣) فى اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس ـ مكتبة الأنجلو القاهرة ١٩٧٣ م ط ٤ .

(٩٤) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث د/ عبد الصبور شاهين ـ دار الكتاب العربى ـ القاهرة .

(٩٥) قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندى تح إبراهيم الإبيارى مطبعة السعادة ١٩٦٣ م .

(٩٦) الكامل فى القراءات الخمسين للهذلى ـ مخطوطة الجامع الأزهر رواق المغاربة ٣٦٩ .

(٩٧) الكتاب لسيبويه تح عبد السلام هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م .

(٩٨) كتاب الكتاب لابن درستويه تح د/ إبراهيم السامرائى د/ عبد الحسين الفتلى الكويت ١٩٧٧ م .

(٩٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ـ طبع الحلبى .

(١٠٠) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكى القيسى تح د/ محيى الدين رمضان ـ بيروت ١٩٨٧ م ط رابعة .

(١٠١) لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلانى تح الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٧٢ م .

(١٠٢) لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها مأريوباى ـ ترجمة الدكتور صلاح العربى ـ القاهرة ـ نيويورك ١٩٧٠ م .

(١٠٣) اللغات فى القرآن المنسوب لابن عباس تح د/ صلاح الدين المنجد ـ بيروت ١٩٧٢ ط ٢ .

(١٠٤) اللغة ـ فندريس تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ـ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠ م .

(١٠٥) لغة تميم دراسة تاريخية وصفية د/ ضاحى عبد الباقى ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٩٨٥ م .

(١٠٦) اللغة العربية معناها ومبناها د / تمام حسان ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

(١٠٧) اللغة والتطور د / عبدالرحمن أيواب ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٦٩م .

(١٠٨) اللهجات العربية فى التراث د / علم الدين الجندى ـ الدار العربية للكتاب ليبيا ـ تونس ١٩٨٣م .

(١٠٩) اللهجات العربية نشأة وتطورا د / عبدالغفار هلال ١٩٩٠م ط ٢ .

(١١٠) ليس في كلام العرب لابن خالويه ط السعادة .

(١١١) ما ذكره الكوفيون من الإدغام لأبى سعيد السيرافى تح د / صبح التميمي ـ السعودية ١٩٨٥م .

(١١٢) المبسوط فى القراءات العشر لابن مهران الأصبهانى ـ تح سبيع حمزة حاكمى دمشق ١٩٨٦م .

(١١٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ـ تح محمد فؤاد سزكين بيروت ١٩٨١ م.

(١١٤) مجالس العلماء للزجاجى ـ تح عبدالسلام هارون ط الخانجى والرفاعى ١٩٨٣م .

(١١٥) المجموع المغيث في غريبى القرآن والحديث لأبى موسى المدينى ـ تح العزباوى مطبوعات جامعة أم القرى .

(١١٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جنى ـ تح على النجدى ناصف ود / عبدالفتاح شلبى طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩م .

(١١٧) المحكم فى نقط المصاحف لأبى عمرو الدانى تح د/ عزه حسن ـ دمشق ١٩٦٠ م .

(١١٨) مختصر شواذ القرآن لابن خالوية ـ تح برجشتراسر ـ المطبعة الرحمانيه بمصر ١٩٣٤ م .

(١١٩) المخصص لابن سيده ـ القاهرة ١٩١٩ م .

(١٢٠) المذكر والمؤنث للفراء تح د/ رمضان عبد التواب ـ دار التراث بالقاهرة ١٩٧٥ م .

(١٢١) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى تح محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ١٩٥٥ م .

(١٢٢) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى تح محمد جاد المولى وآخرين طبع الحلبى .

(١٢٣) المسائل البصريات لأبى على الفارسى تح د/ محمد الشاطر أحمد طبع المدنى ١٩٨٥ م .

(١٢٤) المستدرك على الصحيحين ـ للحاكم مطبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ .

(١٢٥) المسند للإمام أحمد ـ الطبعة الأميرية .

(١٢٦) معانى القرآن للأخفش الأوسط تح د/ فايز فارس الكويت ١٩٧٩ م .

(١٢٧) معانى القرآن للفراء ـ تح أحمد يوسف نجاتى ومحمد علي النجار ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .

(١٢٨) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ـ تح د/ عبد الجليل شلبى بيروت .

(١٢٩) معجم البلدان لياقوت الحموى دار صادر بيروت ١٩٧٩ م .

(١٣٠) المغنى لابن هشام تح مازن المبارك وحميد الله دار الفكر بيروت ١٩٧٩ م .

(١٣١) المقتضب للمبرد تح د/ عبد الخالق عضيمة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٥ هـ .

(١٣٢) مقدمتان فى علوم القرآن ـ نشر آرثر جفرى ـ تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوى ط الخانجى ١٩٧٢ م .

(١٣٣) الممتع في التصريف لابن عصفور تح د/ فخر الدين قباوة حلب ١٩٧٠ م .

(١٣٤) مناهج البحث فى اللغة د/ تمام حسان دار الثقافة المغرب ١٩٧٠ م .

(١٣٥) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزرى ـ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠ هـ .

(١٣٦) المنصف لابن جنى ـ تح إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط الحلبى ١٩٥٤ م .

(١٣٧) نسب معد واليمن الكبير للكلبى تح د/ ناجى حسن ـ بيروت ١٩٨٨ م .

(١٣٨) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ـ تصحيح على محمد الضباع ـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(١٣٩) نقائض جرير والفرزدق ـ لأبى عبيد ـ أوروبا ـ بيروت .

(١٤٠) النكت فى تفسير كتاب سيبويه للشنتمرى ـ تح زهير عبد المحسن سلطان الكويت ١٩٨٧ م .

(١٤١) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ـ تح الطناحى والزواوى القاهرة ١٣٨٣ هـ .

(١٤٢) النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى تح محمد عبد القادر أحمد ـ بيروت ١٩٨١ م .

(١٤٣) همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع للسيوطى تصحيح النعسانى طبع السعادة القاهرة ١٣٢٧ هـ .

فهـــــرس الموضـــــوعات

مقدمة تمهدية

في التماثل بين الصوائت وأنصاف الصوائت ٧

- قراءات النبى ﷺ فى هذه الظاهرة ٨،٧
- تفسير الظاهرة صوتيا ٨
- توجيه القدامى لهذه القراءات ١٥
- مصدرها اللهجى ١٩

فى الأمالة ٢٣

- الوصف الصوتى للحركات الأصلية والفرعية ٢٦
- الحركات الأصلية ٢٦
- الحركات الفرعية ٢٨
- قراءات النبى ﷺ بين معايير الإمالة ٣٤
- مصدرها اللهجى ٣٩

فى المماثلة بين الصوامت ٤٤

- قراءات النبى ﷺ فى هذه الظاهرة ٤٤

- العلاقة بين السين والصاد وأصوات التفخيم ٤٥

- القراءة بالصاد ٤٨

- مصدرها اللهجى ٤٩

- التفسير الصوتى لهذه القراءة ٥٣

فى التبادل بين الحركات القصيرة ٥٩

- قراءات النبى ﷺ فى هذه الظاهرة ٥٩ ، ٦٠

- بين الفتح والكسر فى فاء الاسم « السلم » ٦١

- بين الفتح والكسز فى عين الفعل « يحسب » ٦٢

- بين الفتح والكسر فى حرف الجواب « نعم » ٦٢

- بين الفتح والكسر فى الظرف « قبل » ٦٣

- التفسير الصوتى للتناوب بين الحركات القصيرة ٦٣

- القراءات بين مقاييس المحدثين فى الظواهر اللهجية ٦٦

- أكثر القراءات غير معبر عن البيئات اللغوية للقراء ٧٠

- توجيه العلماء للقراءات المذكورة ٧٢

التناوب بين الحركات القصيرة فى فاء الكلمة ٧٧

- بين الفتح والضم ٧٧

ـ قراءات النبى ﷺ فى هذه الظاهرة	٧٧ ، ٧٨
ـ العلاقة الصوتية بين الفتح والضم	٨٠
ـ الفتح والضم لغتان فصيحتان	٨٢
ـ مظهرها اللهجى	٨٤
ـ توجيه القدماء لهذه القراءة	٨٨
بين زيادة الحركة وحذفها « التثقيل والتخفيف »	٩٠
ـ قراءات النبى ﷺ فى هذه الظاهرة	٩٠
ـ التوجيه الصوتى	٩١
ـ أى الصيغتين أصل فى الأخرى ؟	٩٢
ـ مظهرها اللهجى	٩٤
فى ظاهرة التخفيف والتشديد	٩٩
ـ قراءات النبى ﷺ فى هذه الظاهرة	٩٩ ، ١٠١
ـ بين فَعِلَ وافْتَعَلَ	١٠٢
ـ التوجيه اللغوى للقراءة « تَخذَ »	١٠٢
ـ مظهرها اللهجى	١٠٥
ـ بين فَعَل وفعَّل	١٠٧

ـ التوجيه اللغوى للقراءة « وَفَى »	١٠٧
ـ قراءة النبى ﷺ « قَدَرُوها »	١١٠
ـ التوجيه اللغوى لهذه القراءة	١١٢
ـ قراءة النبى ﷺ « فَعَدَلَكَ »	١١٣
ـ تعليق على نسبتها اللهجية	١١٦
ـ قراءة النبى ﷺ « فكُرُّهتموه »	١١٧
ـ قراءة النبى ﷺ « ماوَدَعَكَ »	١١٩
ـ التوجيه اللغوى للقراءة	١١٩
ـ بين التشديد والتخفيف فى عين الاسم	١٢٤
ـ قراءة النبى ﷺ « الخُنْس » ، « الكُنْس »	١٢٤
ـ قراءة النبى ﷺ « فارقوا دينهم »	١٢٧
ـ التوجيه اللغوى لهذه القراءة	١٢٧
بين الهمز والتسهيل	١٣٠
ـ قراءات النبي ﷺ فى هذه الظاهرة	١٣٠
فى الهمز والتسهيل	١٣٢
ـ العلاقة بين الهمزة وأصوات المد	١٣٨

- مناقشة الثقل والخفة بين الهمز والتسهيل ١٤٠
- التفسير الصوتى للهمز والتسهيل ١٤٣
- قراءة النبى ﷺ « وَجِبْرائِلَ وَمِيكَائِلَ » ١٤٧
- مصدرها اللهجى ١٥٠
- قراءة النبى ﷺ « هَيْتَ لَكَ » ١٥٤
- قراءة النبى ﷺ « فى عَيْنٍ حَمِيَةٍ » ١٦٠
- قراءة النبى ﷺ « كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ » و « دَرِئٌ » ١٦٥
- فهرس قراءات النبى ﷺ ١٦٩
- فهرس المصادر والمراجع ١٧٤
- فهرس الموضوعات ١٨٧